

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 2 علي لونيسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال نماذج من كتابه المحتسب في تبين

وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في: اللغة العربية وآدابها

تخصص: الدراسات اللسانية العربية والتطبيقية

إشراف الدكتور:

محمد العيد رتيمة

إعداد الطالبة:

فايزة حريزي

السنة الجامعية: 2015 / 2016

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 2 علي لونيسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من كتابه المحتسب

في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في: اللغة العربية وآدابها

تخصص: الدراسات اللسانية العربية والتطبيقية

إعداد الطالبة: فايزة حريزي

أمام اللجنة المشكلة:

عمار الساسي أستاذ.....جامعة البليدة 2..... رئيساً
محمد العيد رتيمة.....أستاذ.....جامعة الجزائر 2..... مشرفاً و مقرر
فوزية سرير عبد الله أستاذة.....جامعة البليدة 2..... عضوا مناقشا
عماد بن عامر أستاذ.....جامعة البليدة 2..... عضوا مناقشا
حفيظة جنيح أستاذة.....جامعة الجزائر 2..... عضوا مناقشا
عمر بوقمرة أستاذ.....جامعة الشلف..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2016/2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي

* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُكْ

عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا

قَوْلِي

الإهداء

إلى روح والدي الذي لم ير ثمار غرسه.....

إلى مثلي الأعلى والدتي الغالية المكافحة الصبورة.....

إلى أخواتي وأخي الغالي.....

إلى رفيق دربي مصطفى وعائلته.....

إلى بنات أخواتي وأبنائهن وأزواجهن.....

إلى عائلة الدكتورة نسيبة.....

إلى الأستاذ سهلي عبد القادر وعائلته.....

إلى الأستاذ ملاحي وعائلته.....

إلى كل من نذر نفسه لإعلاء كلمة الله أهدي هذا البحث

الباحثة

شكر وعرفان

مصدقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

أرفع أسمى آيات الشكر والامتنان إلى ذلك العقل المثقف أستاذي الفاضل وقدوتي الأستاذ الدكتور محمد العيد رتيمة لقبوله الإشراف على أولاً وثانياً على الجهد الذي بذله معي رغم انشغالاته العلمية إلا أنّ صدره كان أرحب ولم يبخل علي بوقته الثمين وجهده إلى إن إستوى هذا البحث على ما هو عليه وإن كان هذا لا يكف في حقه.

وكذلك شكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور محي الدين بن عمار الذي أفادني في هذا البحث بما يملك من رعاية وتوجيه ومساعدة منذ البداية فله الشكر والتقدير والامتنان.

والشكر الخالص للدكتورة نسيبة فاطمة الزهراء التي كانت عوناً لي في هذه المسيرة البحثية.

ولكل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها وعلى رأسهم الدكتور محمد طيبي والأستاذ سعيد تومي والأستاذ محمد بن عمور وغيرهم من لم أذكره بقلمى لا بقلبي ممن أفادني بنصيحة أو بمصدر أو مرجع أو ممن دعا لي في ظهر الغيب بالنجاح فلهم جميعاً شكري وامتناني وجميل عرفاني.

الباحثة:فايزة حريزي

ملخص:

تعتبر القراءات من حيث الأنواع مشهورة وشاذة من بين المصادر التراثية التي كانت محل للنوع الثاني من القراءات القرآنية كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني وهو موسوعة لغوية وفقهية ومنطقية محضة من خلال هذا كتاب أعطى مميزات الخاصة والخطوط التي تحيز منهجه النحوي بحيث ظهرت معالمه من خلال توجيه القراءات الشاذة التي جمعها ابن جني في هذا الكتاب وظهرت من خلال هذا البحث شخصية ابن جني اللغوي والنحوي والفقيه والمنطقي وهذا ليس غريب عن شخصي العالم اللغوي ابن جني باعتباره سيد العربية وبقاها في القرن 4 هـ .

من بين المؤلفات التي تركها في العربية المحتسب الذي هو محل الدراسة والخصائص وسر صناعة الإعراب وغيرها ، وإذا تحدثنا عن كتاب المحتسب فهو كتاب احتسب به إلى الله سبحانه وتعالى وكان في أواخره عمره، بحيث عنوان هذا الكتاب يبين أنه في شاذ من القرآن وتوجيهه والإيضاح عنه ولكن في طياته نجده كتاب فقهي لأنه أعطى العديد من أحكام الفقهية والتي تقاطع في معظمها مع غيره من الفقهاء وكانت أرائه في معظمها توافق الأحناف وتساند رأيه ، ووجه الكثير من القراءات استنادا إلى المنطق في تبين وتوضيح وجهها اللغوي وتفسير وجوه بعض القراءات بالاستناد إلى الطرق الاستدلال اللغوية من سماع وقياس وإجماع ومن خلال بحثنا هذا الموسوم بـ: " المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من كتابه المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، كانت أهم اشكالياته :

- ما هي حقيقة هذه القراءات الشاذة؟
- ما هي ماهية المنهج النحوي وما هي أسسه؟
- ما هي البطاقة التعريفية لهذا الكتاب؟
- هل القراءات الشاذة الواردة في الكتاب متساوية أم متفاوتة وفق جهات الشذوذ؟
- ما هي طبيعة المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة صوتيا وصرفيا ونحويا؟

الكلمات المفتاحية:

المنهج، النحوي، ابن جني، نماذج، كتابه، المحتسب، تبين، شواذ، وجوه، القراءات، الإيضاح.

فهرس الموضوعات:

الإهداء.....	
شكر وعرفان	
ملخص.....	
مقدمة.....	14
مدخل الباب ..	21
سيرة ابن جني	22
اسمه.....	22
مولده.....	23
مؤلفاته العلميّة.....	24
مكانته العلميّة.....	26
-القراءات	28
تعريف القراءات.....	28
أنواع القراءات.....	29
فوائد تعدد القراءات.....	30

32	الباب الأول : حقيقة القراءات الشاذة و المنهج النحوي.....
33	الفصل الأول : القراءات الشاذة.....
34	المبحث الأول: القراءات الشاذة.....
34	المطلب الأول: التعريف بالقراءة الشاذة
38	المطلب الثاني: ضوابط القراءات الشاذة.....
43	المطلب الثالث: أقسام القراءات الشاذة
48	المطلب الرابع: أشهر أئمة القراءات الشاذة
52	المبحث الثاني: الاهتمام بالقراءات الشاذة
52	المطلب الأول: جهات تشذيب القراءات
55	المطلب الثاني: توجيه القراءات الشاذة
59	المطلب الثالث: المراحل التاريخية لحركة الشذوذ
65	المطلب الرابع: الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية
80	الفصل الثاني : المنهج النحوي العربي.....

المبحث الأول : المنهج النحوي العربي	81
المطلب الأول:تعريف المنهج النحوي:	81
المطلب الثاني:بؤادر منهج النحو العربي:	83
المطلب الثالث:تأليف المحدثين في المنهج النحوي العربي:	94
المبحث الثاني: أسس المنهج النحوي:	108
المطلب الأول: السماع.....	108
المطلب الثاني: القياس:	136
المطلب الثالث :الإجماع.....	147
المطلب الرابع :استصحاب الحال.....	156
مدخل الباب التطبيقي المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها	162
التعريف بكتاب المحتسب	163
أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن جنّي في كتابه المحتسب:	174
الباب الثاني : المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال نماذج من كتابه المحتسب	190
الفصل الأول : المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال نماذج من القراءات الشاذة صوتيا	191

192	المبحث الأول: نماذج من سورة الفاتحة والبقرة.
192	نماذج من سورة الفاتحة:
203	نماذج من سورة البقرة :
256	المبحث الثاني : نماذج من سورة آل عمران و النساء و الأنعام و الأعراف
257	نماذج من سورة آل عمران:
267	نماذج من سورة النساء :
276	نماذج من سورة الأنعام:
281	نماذج من سورة الأعراف:
291	المبحث الثالث: المنهج النحوي من خلال نماذج من سورة الأنفال ومريم وإبراهيم والنجم
291	نماذج من سورة الأنفال
295	نماذج من سورة يونس ومريم:
310	نماذج من سورة إبراهيم.
315	نماذج من سورة النجم
318	الفصل الثاني : المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة صرفيا

المبحث الأول : نماذج من سورة البقرة و آل عمران	319
نماذج من سورة البقرة:	319
نماذج من سورة آل عمران :	337
المبحث الثاني: سورة الأنعام والأعراف والتوبة :	351
نماذج من سورة النساء :	351
نماذج من سورة الأنعام.....	357
نماذج من سورة الأعراف.....	369
نماذج من خلال التوبة.....	372
الفصل الثالث : المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة نحويا.....	375
نماذج من سورة البقرة	376
نماذج من سورة آل عمران	384
المبحث الثاني : نماذج من سورة النساء والأنعام	395
نماذج من سورة النساء	395
نماذج من سورة الأنعام.....	401

409	المبحث الثالث: نماذج من سورة الأنفال وإبراهيم
409	نماذج من سورة الأنفال
413	نماذج من سورة إبراهيم
422	خاتمة
427	قائمة المصادر والمراجع
445	الملخص باللغة الأجنبية

مقدمة

مقدمة

موضوع البحث:

يعنى موضوع هذا البحث بالمنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها فهو موضوع له مزية لصلته بالقرآن الكريم، باعتبار القرآن والقراءات من أنبل العلوم قاطبة وتضافرها مع العلوم اللغة العربية بين وجلي ويمثل كل منها معين للآخر ولذلك كان عنوان هذا البحث وفق ما يلي ربط بين اللغة وعلم القراءات، وكما هو معروف أنّ الدرس اللغوي كان وليد الحاجة لفهم القرآن.

وكانت بدايته بتتبع اللحن فتطور إلى النحو وبتتبع المعاني المفردات فتطورت إلى العمل المعجمي وبتتبع تفسير تراكيب الآيات فتطورت إلى المباحث البلاغية وكل هذا من أجل فهم النص القرآني ولذلك كل فقيه ينبغي أن يكون ضليعا في العربية لذلك فإنه يمكن أن نستخلص قواعد العربية صوتا وصرفا ونحوا ودلالة من كتب الفقه وكما يمكن أن نستخلص قواعد الفقه من كتب اللغة، ولذلك فكتاب المحتسب هو كتاب مشحون بالنصوص اللغوية التي يستعين بها المؤلف ويحتاجها في استنباط وتوجيه القراءات التي رميت بالشذوذ وكانت الغاية منه إنصاف هذه القراءات وقد كان تأليفه في آخر عمره بحيث بلغ من العلم مالا يمكن أن يقارن به أحد من أهل زمانه .

لقد جاء هذا المؤلف ضامما لشتى علوم العربية التي جندّها لتوجيه هذه القراءات الشاذة وتبيين وجوها و الاحتجاج لها مجندا في ذلك مختلف الطرق الإستدلالية التي كانت وليدة ثقافته وموسوعيته التي رسم من خلالها الملامح الخاصة بمنهجه النحوي كما ظهر من خلال تتبع توجيهاته لهذه النماذج التي اختيرت وفق جهات شذوذ القراءات الثلاث (صوتية، صرفية، نحوية) مع إغفال الجانب الدلالي باعتبار المستويات

الثلاثة تهدف إلى هذا المستوى إلا أننا نجد هناك من يستحضره في جهات شذوذ القراءات وهناك من يستبعده ويكتفي بهذا التقسيم الثلاثي فقط .

الإشكالية:

- تتحدد الإشكالية الخاصة بهذا البحث بالتساؤل عن طبيعة المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج في كتابه المحتسب.

وهناك أسئلة فرعية تحدد وتوضح جوانب هذه الإشكالية:

- 1- ما هي حقيقة هذه القراءات الشاذة؟
- 2- ما هو التعريف الذي يمكن أن يعطى للمنهج النحوي وما هي أهم الأسس التي يقوم عليها؟
- 3- ما هي البطاقة التعريفية التي يمكن أن تعطى لهذا الكتاب؟
- 4- هل القراءات الشاذة التي وردت في المحتسب هي متساوية من ناحية العدد حسب جهات الشذوذ؟
- 5- ما هي طبيعة المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة صوتيا وصرفيا ونحويا؟

الفرضيات:

-ننطلق من الفرضيات التالية للإجابة عن الإشكالية:

- 1-المنهج النحوي هو مجموع الطرق الاستدلالية المعتمدة في توجيه شواذ القراءات ومن أهم أسسه السماع والقياس.

2-القراءات الشاذة هي التي خالفت الرسم العثماني وساهمت في استنباط الأحكام الشرعية ولكن لا يقرأ بها تعدياً.

3-القراءات الشاذة الواردة في المصحف متفاوتة العدد، بحيث حضور القراءات ذات الشذوذ الصوتي أكبر باعتبار القراءات هي أداء ونطق.

4-طبيعة منهج ابن جني من خلال القراءات الشاذة صوتيا وصرفيا ونحويا ليس بمنهج نحوي خالص وذلك نتيجة ثقافته متعددة المشارب فطبيعة منهجه فرضتها طبيعة ثقافته.

المنهج المتبع:

- المنهج التاريخي القائم على التأصيل للقراءات الشاذة وتوثيقها.
- المنهج الوصفي والتحليلي المتمثل في تتبع النماذج المختارة من الكتاب وفق جهات شذوذها ووصف وجهها اللغوي وتحليل الأقوال الواردة في الأحكام المطلقة عليها والمبيّنة لوجهها في العربية للكشف بطريقة غير مباشرة عن طبيعة منهج ابن جني النحوي.
- المنهج الإحصائي و الإستقرائي وكان من خلال إحصاء وإستقراء القراءات الشاذة الواردة في كتاب المحتسب وتصنيفها وفق جهات شذوذها وكذلك كان المنهج الإحصائي حاضرا من خلال إحصاء مؤلفات المحدثين في المنهج النحوي والقراءات الشاذة في هذا الكتاب.
- المنهج الاستنباطي والذي به نستنتج معالم المنهج النحوي عند ابن جني.
- النقد و الموازنة بينه وبين غيره من القراء والنحويين.

دوافع اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع دوافع وأسباب من أهمها:

- الارتباط الوثيق للموضوع بكتاب الله عز وجل.

- ارتباطه بعلم القراءات ولا سيما الشاذ منها فالبحث فيه فرصة سانحة للتعرف على تلك القراءات.

- إلقاء الضوء على مؤلف لم يدرس من قبل من هذه الزاوية.

- وكذلك القيمة العلمية التي لمسناها في المؤلف باعتباره من آخر إنتاجاته الفكرية لابن جنّي.

- الكشف عن طبيعة منهج ابن جنّي النحوي من خلال هذا الكتاب في القراءات الشاذة باعتبار الكتاب كان موسوعيًا.

- وهناك سبب ذاتي تمثل في ميولي وإعجابي بفكر ابن جنّي في هذا الكتاب الذي جمع فيه بين القرآن واللغة بطريقة عجيبة، وما توصل إليه بحيث جمع حوصلة كتبه السابقة.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات فيما يخص التراث اللغوي لابن جنّي ولكن تناولته تناولًا خاصًا من زاوية معينة فهناك من الباحثين من تناول ظاهرة من الظواهر الواردة في كتابه الخصائص وهناك من تناول كتابًا من كتبه بالوصف والتحليل أمّا فيما يخص الموضوع الذي تناولته فالدراسات قليلة فيه وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك بحث في هذا تحت عنوان " التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جنّي " رسالة دكتوراه للباحث غانم كامل سعود الحسناوي قدمها لجامعة السعودية وبحث تحت عنوان " أصول

النحو عند ابن جني -دراسة في كتابيه الخصائص والمحتسب " للباحث رشيد حليم ،والقراءات الشاذة وتوجهها النحوي" للباحث محمود أحمد الصغير .

الصعوبات:

من بين هذه الصعوبات صعوبة فكر ابن جني وعمقه في هذا الكتاب باعتباره ألفه في آخر عمره وكان حوصلة وثمره لجهوده السابقة ولذلك تطلب الكثير من البحث والتنقيب والمقارنات وقلة الدراسات السابقة في هذا الموضوع وكذلك قلة المصادر والمراجع في القراءات الشاذة وكذلك الإسهاد بالأقوال والأبيات المجهولة القائل مما ضاعف البحث في محاولة لتأصيل هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها والتي يمكن إدراجها ضمن عمل المحقق وكذلك صعوبة القراءات الشاذة فهي لاتخضع لمقياس معين يمكن من خلاله الحكم عليها.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون الرسالة في مقدمة وباب نظري مكون من فصلين وباب تطبيقي مكون من ثلاثة فصول مع مدخل للباب النظري ومدخل للباب التطبيقي وخاتمة وفهرس للآيات القرآنية الذي كان ترتيبه وفق ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف وفهرس للأشعار والذي كان ترتيبه وفق ورود الأبيات في البحث ثم قائمة المصادر والمراجع ثم فهرس للموضوعات.

أما المقدمة فأودعتها كلام عن موضوع البحث وكذلك الإشكالية والمنهج المتبع في الدراسة ودوافع اختيار الموضوع والدراسات السابقة للموضوع والصعوبات التي واجهتني في البحث وختمتها بالشكر و الإمتنان لأستاذي المشرف.

أما مدخل الباب النظري تناولت فيه سيرة ابن جني والقراءات بصفة عامة والقراءات الشاذة بخاصة.

- أما الباب الأول الموسوم بـ: " حقيقة القراءات الشاذة والمنهج النحوي " فكان في فصلين فكان الأول موسوم بـ "القراءات الشاذة " فكان في مبحثين خصصت الأول منها للقراءات الشاذة والثاني خصصته للاهتمام الذي أولي للقراءات الشاذة ، وأما الفصل الثاني الموسوم بـ " المنهج النحوي " فكان في مبحثين خصصت الأول للحديث عن المنهج النحوي وما يتعلق به والثاني تحدثت فيه عن أهم الأسس التي يقوم عليها المنهج النحوي ورغم حضور أسس أخرى في المدونة كالسبر والتقسيم والاستحسان والتعليل وإن كان الحديث عنه بشكل جزئي في أساس القياس والسماع .

أما الباب التطبيقي فبدأته بمدخل تحت عنوان " المحتسب " عرفت فيه بمؤلف البحث وسبب تأليفه ومنهجه والمصادر التي اعتمدها المؤلف في تأليفه وختمته بجداول إحصائية وأعمدة بيانية للقراءات الشاذة المدرجة في هذا الكتاب وفق جهات شذوذها الثلاث وأهملت جهة الدلالة لأنها متضمنة في الجهات الأخرى حتى يتبين أي نوع من القراءات الشاذة كان حضوره أكبر وعلى أساسه يكون إختيار النماذج التي تدرس انطلاقاً من هذه العملية الإحصائية والتمثيل البياني لها لذلك كان هناك عدم توازن بين المباحث في الباب التطبيقي من هذا المنطلق .

والباب التطبيقي كان الموسوم بـ " المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من كتابه المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها " قسمته إلى ثلاث فصول حسب جهات شذوذ القراءات ثلاث فكان الفصل الأول تحت عنوان " المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة صوتياً " ، والفصل الثاني كان تحت عنوان " المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة صرفياً " والفصل الثالث كان تحت عنوان " المنهج النحوي عند ابن جني من خلال نماذج من القراءات الشاذة نحوياً " .

وختمته بخاتمة أودعت فيها الكلام عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وأقدم
أخلص الشكر والتقدير لأستاذي المشرف " محمد العيد رتيمة " الذي قبل الإشراف علي وعلى الجهد الذي
بذله في توجيهي ومساعدتي في هذه المسيرة البحثية فله جزيل الشكر والتقدير و الاحترام.

وأخيرا فإنني أرجو من الله أن يتقبل عملي خالصا لوجهه الكريم خدمة للسان العربي المبين الذي ارتضاه
لقرانه الحكيم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين.

مدخل الباب النظري

1-سيرة ابن جنّي:

1-1-اسمه:

هو أبو الفتح عثمان بن جنّي¹، الموصلي الجنّي²، وكان جنّي أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي³، وفي شعره ما يؤكد روميّة أصلته فقد قال:

فإنّ أصبح بلا نسب	فعلمي في الوري نسبي
على أنّي أوّل إلى	فدوم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا	أرم الدهر والخطب
أولاك دعا النبي لهم	كفى شرفا دعاء نبي ⁴ .

وجني بكسر الجيم وتشديد النون وكسرهما وسكون الياء علم رومي، وهو معرب(كني)وتكتب بالحروف اللاتينية الممثلة للفظ اليوناني GENNAIUS، معناه كريم، نبيل، جيد التفكير، مخلص⁵.

¹ أبو الفتح عثمان بن جنّي، سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي، دار العلم، دمشق، ط3، 1993، ج1، ص: 08.

² جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج2، ص: 132.

³ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1993، ج4، ص: 1585.

⁴ المصدر نفسه، ص: 1585.

⁵ فاضل صالح السامرائي، ابن جنّي النحوي، دار النذير للطباعة والنشر، بغداد (د.ط)، 1939، ص: 23.

1-2-مولده:

وهناك اختلاف بين المؤرخين في السنة التي ولد فيها، قيل أنه ولد بالموصل قبل الثلاثين وثلاث مئة¹، وقيل قبل الثلاث مئة، وهذا مستبعد لأنه لم يعمر طويلا حسب ما روي وقيل إن ولادته كانت في بدء العصر العباسي الثاني حين استولى بنو البويه على بغداد سنة 334 هـ وهذا بعيد أيضا، لأن أبا الفتح صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة².

اتفق المؤرخون على أن ابن جني نشأ بالموصل وتلقى مبادئ التعلم فيها، وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش³، إلى جانب هذا أخذ عن الكثير من رواة اللغة والأدب واستفاد منهم ومن هؤلاء أبو بكر محمد وهو أحد قراء بغداد وكان عالما باللغة والشعر، فقد قرأ عليه في مجالس ثعلب، وقد ورد اسمه كثيرا في كتبه ففي (سر صناعة الإعراب) يقول في أحد مواضعه (أخبرنا محمد بن الحسن أحمد بن يحيى)⁴.

وكان أبو علي الفارسي في طليعة هؤلاء، بحيث تعلق به وأخذ عنه الكثير، الأستاذ العظيم الذي ظهرت عظمته في تخريجه لتلميذه هذا وعلاقته لم تبدأ إلا من حادثة الاعتراض عليه في مسألة قلب الواو

¹ ياقوت الحموي، معجم الأدياء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1993، ص: 1585.
² شهاب الدين بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي ابن هشام، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق-بيروت، ط1، 1988، ج3، ص: 141.

³ المصدر نفسه، ن ص.

⁴ المصدر نفسه، ص: 142.

ألفا في النحو، وقال له مقولته المشهورة (تزببت وأنت حصرم)¹ ومن هنا بدأت ملازمته التي دامت أربعين سنة²، وصرح بذلك ابن الأنباري بقوله (لازمه مصاحبة أربعين سنة)³.

وهذه المصاحبة كان لها دور في تمكنه وتفوقه في أصول العربية وإثراء رصيده اللغوي وهذه المصاحبة قامت على مدى التوافق القائم بينهما كما يقول السامرائي: (كانت في التلميذ صفات حبيته إلى شيخه وفي الشيخ صفات حبيته إلى التلميذ دعتهما إلى التوافق ودوام الألفة الطويلة)⁴.

1-3: مؤلفاته العلمية:

ترك ابن جني مؤلفات متنوعة من ناحية الكم والكيف وهذه الكتب تخير لها أسماء حسان وهي تتجاوز الخمسين في شتى علوم العربية حتى قيل أنّ الشيخ إسحاق الشيرازي المتوفى سنة (476 هـ) أستاذ المدرسة النظامية، قد سمى بعض كتبه بأسماء كتب ابن جني، وذلك أنّ لأبي إسحاق التنبيه في الفقه (رفقة الشافعية)، واللمع والتبصرة في أصول الفقه وهذه أسماء كتب لابن جني⁵، وهذه المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط:

* الخصائص.

* سر صناعة الإعراب.

* التمام وذكر هذا الكتاب بعنوانين "كتابنا في شعر هذيل" و"كتابي في ديوان هذيل".

¹ أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص15.

² المصدر نفسه، ن ص.

³ فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: 41.

⁴ فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: 41.

⁵ المرجع السابق، ص: 26.

*تفسير تصريف المازني ويسمى المصنف.

*شرح متعلق بأبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها وذكر باسم آخر "أعراب الحماسة".

*شرح المقصور والممدود لابن سكيت.

*تعاقب العربية.

*تفسير ديوان المتنبي.

*تفسير معاني ديوان المتنبي وهو شرح ديوان المتنبي الصغير.

*اللمع في العربية.

*كتاب مختصر التصريف ويبدو أنه معروف كما يقول صاحب مقدمة خصائص التصريف الملوكي.

*كتاب مختصر العروض والقوافي.

*كتاب الألفاظ المهموزة.

*كتاب المقتضب.

*كتاب تأييد تذكرة أبي علي.

*المحاسن العربية.

*النوادر.

*كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

*تفسير العلويات.

*كتاب البشرى والظفر.

*كتاب المذكر والمؤنث.

*رسالة في مد الأصوات ومقادير المدّات.

*كتاب مقدمات أبواب التصريف.

*كتاب المعرب في شرح القوافي¹.

1-4: مكانته العلمية:

كانت مكانته العلمية راقية أقرها له المتقدمون والمتأخرون وهذا فاضل السامرائي يقول فيه: "كان مثارة إعجاب بالغ، ومن قرأ نصوص المترجمين له يقر أنه بلغ مكانة في العربية لم يبلغها أحد سواه"²، ولذلك يقول محمد علي النجار: "بلغ أبو الفتح من علوم العربية من الجلالة والحظ ما لم يبلغه إلا القليل"³. وهو "يعد بحق فيلسوف العربية وبقاها"⁴، والثعالبي يرى أنه "هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب وكان شعر أقل خلاله بعظم قدره، وارتفاع حاله"⁵، وأثنى عليه شيخه بما صنف

¹ ابن جنّي، الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 60.

² المصدر نفسه، ص: 26.

³ المصدر نفسه، ص: 26.

⁴ المصدر نفسه، ص: 26.

⁵ أبو منصور الثعالبي عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1973، ج1، ص: 121.

بحيث قال القفطي "وقف أبو علي على تصانيفه واستجداها"¹ ومكانته هذه بقيت على مر العصور كما يقول صاحب معجم الأدباء "أنه صنف كتباً أبر بها المتقدمون وأعجب بها المتأخرين".²

1-5: وفاته:

كانت وفاته في ليلتين بقيتا من صفر سنة (392 هـ) في خلافة القادر ومعظمهم يرى أنه توفي سنة (393 هـ)³، ويقول القفطي: (أنه توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة)⁴ وهو راجح الأقوال.

وقال القفطي: (كانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة)⁵.

ودفن ابن جني بالشوتيزي من مقابر بغداد عند قبر أستاذه أبي علي الفارسي وهي مقبرة جنيد الحالية وأكثر مدافنها من المتصوفة.⁶

¹ جمال الدين أبو الحسين القفطي، أنباء الرواة عن أنباء الرواة، تع: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986، ج1، ص: 336.

² ياقوت الحموي، معجم الأدباء، المصدر السابق، ج4، ص: 1535.

³ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاء، المصدر السابق، ج3، ص: 132.

⁴ أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، د، ط، ج8 ص: 215.

⁵ السيوطي، أنباء الرواة عن أنباء النحاة، المصدر السابق، ص: 336.

⁶ فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: 25.

2-القراءات:

2-1: تعريف القراءات:

لغة:

ورد الفعل الثلاثي(قرأ) في كتب اللّغة بمعنى الجمع وضم أجزاء الشيء بعضها إلى بعض ومفردا قراءة بمعنى وجه مقروء به وهي مصدر للفعل قرأ، وقد يطلق عليها الأولون حرف، فيقال: قرأ بحرف عاصم والقراءات جمع قراءة وقولهم قرأ فلان الكتاب قراءة بمعنى تلاه تلاوة¹.

وقال ابن الأثير في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته، فقد قرأته².

اصطلاحاً: تعددت التعريفات فمنها:

* علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقلة³.

*القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرها⁴.

2-2: أركان القراءة الصحيحة: للقراءة الصحيحة أركان ثلاثة لا بدّ من توفرها هي:

الركن الأول: تواتر القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد بالتواتر في اللغة: التتابع⁵.

¹ ابن المنظور، لسان العرب، (المصدر السابق) مادة قرأ، ج1، ص: 128.

² ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: صلاح بن محمد عويضة، مصدر علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص: 50.

³ قدري بن محمد بن عبد الوهاب، الآداب والمنح الربانية في أصول الشاطبية ودرة المضية، إدارة الدراسات الإسلامية، الكويت: ط2، 2007، ص: 141.

⁴ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط3، 1984، ج1، ص: 31.

⁵ ابن المنظور، لسان العرب (المصدر السابق)، ج6، ص: 270.

الركن الثاني: موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

الركن الثالث: موافقة وجه من وجوه العربية سواء أكان أفصح أم فصيحا، أو مجمعا عليه أو مختلفا فيه¹.

2-3: أنواع القراءات:

يرى السيوطي أنّ القراءات أنواعا انطلقا من الشروط الثلاثة التي وضعت لصحة القراءة أولها القراءات الصحيحة وهي التي أجمع أمصار على أئمتها الثقات وهي الواردة مع ابن مجاهد في كتابه (السبعة) وعرف أصحاب هذه القراءات السبع بالقراء السبع وهم:

1. عبد الله بن عامر الشامي (ت 118 هـ).

2. عبد الله بن كثير الملكي (ت 120 هـ).

3. عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 129 هـ).

4. أبو عمر بن العلاء البصري (ت 154 هـ).

5. حمزة بن حبيب الكوفي (ت 156 هـ).

6. نافع بن أبي نعيم المدني (ت 189 هـ).

7. علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ)².

وتأتي بعدها القراءات الثلاث المشهورة التي تتم العشر من الأرجح نسبت إلى:

¹ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار السعد الدين، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص:11.

² أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، تح: بدر الدين قهوجي، دار التراث، دمشق، (د.ط)، 1984، ج5، ص: 259.

1. أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت 130 هـ).

2. يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ).

3. خلف بن هاشم البزاز (ت 229 هـ).

* ما عداه فهو شاذ أو أحاد¹.

والقراءات السبعة يؤخذ بها دون طعن (محكمة) حيث لا يقصد بها إلا تلك الوجوه التي سمح بها الرسول صلى الله عليه وسلم لكن نجد القراءات العشر استتكرها بعض الأئمة وعدوها من الشواذ بل إن بعضهم يُحضر التعبد أو الصلاة بغير القراءة المتواترة².

وتبقى هذه القراءات الثلاث المكملة للعشرة محل اختلاف هل من المتواتر أو غير ذلك (الشاذ).

ولكن من خلال ما ورد تنقسم وتتنوع القراءات إلى قسمين:

القسم الأول: الصحيحة وتتوفر فيها الشروط الثلاثة التي ذكرت من قبل.

القسم الثاني: الشاذة عند العلماء ما اختل فيها ركن من هذه الأركان الثلاثة.

2-4: فوائد تعدد القراءات:

لها فوائد كثيرة منها:

1. التسهيل والتخفيف على الأمة، ورفع الحرج عنهم.

2. إنها دليل قاطع وبرهان ساطع على أنها إعجاز من الله تعالى لجميع البشر.

¹ عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الاتفاق في علوم القرآن، تع: مركز الدراسات القرآنية، ج1، ص: 58.

² التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وآثارها في النحو العربي والفقهاء الإسلامي، دار الوعي، (د.ط)، (د.ت)، ص: 06

3. الاحتفاظ بلهجات القبائل العربية من همزة وتسهيل وفتح وإمالة وإظهار وإدغام وغير ذلك¹.

4. المحافظة على العربية الفصحى كتابة ونطقا، فقد نقلت القراءات القرآنية إلينا نقلا دقيقا متوترا كتابة

ونطقا.

5. الاحتجاج بها².

¹ المرجع نفسه، ن ص.

² المرجع السابق، ن ص.

الباب الأول: حقيقة القراءات الشاذة والمنهج النحوي

الفصل الأول = القراءات الشاذة

المبحث الأول: القراءات الشاذة

1-تعريف القراءة الشاذة:

1-1- لغة: فمصطلح الشذوذ يتمحور حول المعاني الآتية:

التفرق، التفرد، الغرابة، الندرة، القلة، المخالفة.

***التفرق والتفرد:** قال ابن فارس: "الشين والذال، يدل على الإنفراد والمفارقة شذَّ، يشذُّ شذوذاً وشذاذ

الناس: الذين يكونون في القوم، وليسوا من قبائلهم ولا منازلهم، وشذان الحصى المتفرقة منه¹.

وقال الأزهري في هذا "قال الليث شذ الرجل، إذا انفرد عن أصحابه"².

وقال الزمخشري: "شذ عن الجماعة شذوذاً: انفرد عن الجمهور، فهو شاذ"³.

يقول الجوهري: "شذ، يشذ، شذاً، وشذوذاً: انفرد عن الجمهور، فهو شاذ"⁴.

وفي ذلك قول امرئ القيس:

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْءِ حِينَ يَشُدُّهُ صَلِيلٌ يُسْتَقْدَرُ بِعَبْرَةٍ⁴

وقوله: تَطَايَرَ شُدَّافِ الْحَصَى الْمَنَاسِمِ صَلَاةُ الْعُجْمَى مَلْثُومَهَا غَيْرَ أَمْعَرٍ⁵.

1 ابن فارس. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الإعلام الإسلامية. دط/د، ت، مادة شذ

2 محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية، مادة شذ

3 محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دارالمعرفة، بيروت، د، ط/1394، مادة شذ.

4 البيت من الطويل هو لامراً القيس في تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، من جواهر القاموس. تح: مصطفى حجازي،

المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط1/2001، مادة شذ

5. البيت من الطويل لامراً القيس في معجم المقاييس (مصدر السابق)، مادة شذ.

-**الغربة والندرة:** ويقول السيوطي: " معرفة الحواشي والغرائب والشواذ والنواد، وهذه الألفاظ متقاربة وكلها بخلاف الفصيح"¹.

القلة: "الشاذ الذي يكون وجوده قليلا، لكن لا يجئ عن القياس"²

المخالفة: قال صاحب التعريفات: "الشاذ ما يكون مخالفا للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته"³

ويقول ابن سيده: "شذ الشيء يشذ شذا وشذوذا: خرج عن جمهوره"⁴.

وبناء على ما سبق يتضح أنّ مادة (ش.ذ.ذ) في كلامهم فهو التفرق والتفرد ثم يذكر أنّ أهل علم العربية جعلوها ما فارق عليه بقية بابه، وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذاً⁵.

وهذا المعنى اللغوي له أثر في المعنى الاصطلاحي لأنّ القراءة الشاذة كما سنرى هي التي (انفردت وخرجت عما عليه الجمهور)⁶.

والشاذ عند النحاة هو ما يكون مخالفا للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته⁷.

وبقابل عندهم الاطراد الذي يعني (التتابع والاستمرار) ويعدها ابن جنّي على أضرب أربعة:

* مطرد في القياس والاستعمال جميعا.

* مطرد في القياس وشاذ في الاستعمال.

¹ عبد الرحمن السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد السجاوي، دار الجيل، ج1، ص: 233.

² أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان دروس، محمد المصري، دار النذير بيروت، ط1، 1992، ص: 528

³ علي محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، لبنان، د، ط/ 1985، ص: 121

⁴ عبد الفتاح هلال، القراءات الشاذة ومعاييرها، المرجع السابق ص: 86.

⁵ المرجع نفسه، ن ص.

⁶ المرجع نفسه، ن ص.

⁷ إبراهيم أنيس، معجم الوسيط، دار المعارف، ط2، مادة شذ.

* مطرد في الاستعمال وشاذ في القياس.

* شاذ في القياس والاستعمال جميعاً¹.

1-2- التعريف الاصطلاحي: للعلماء مجموعة من التعريفات للقراءات الشاذة ولكن أشهرها ما يلي:

1- يقول ابن الجزري في تعريفه: "متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت من السبعة أو عن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام أبو عمرو الداني وصرح به في أكثر من موضع الإمام أبو محمد المكي بن أبي طالب وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهداوي وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه"².

2- ويرها بعضهم: "أنها تلك التي لم يصح سندها، لأن الصحة ضرورية وهي المعتمدة في تثبيت القرآن الكريم، ويساندها الموافقة لرسم المصحف ولو احتمالاً، أما موافقة القراءة للعربية فالمقصود منه توفر وجه للمقروء به من اللغة العربية، لأن القرآن بها نزل، ويترتب على هذا الشرط أن كل قراءة يوجد بها وجه في العربية ولو مرجوحاً، فلا تقبل قراءة لا يتوفر فيها ذلك ولو كانت مما سمي بالقراءة الشاذة"³.

3- أما الحافظ أبو عمرو بن الصلاح شيخ الشافعية فيعرفها بأنها: "ما نقل قرأنا من غير تواتر واستفاضة بالقبول من الأمة"⁴.

¹ ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص: 98.93.

² محمد بن محمد الجزري، النشر في القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: (د.ط) (د.ت)، ج 1، ص: 09.

³ عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد: ط 1/ 1976، ص: 234.

⁴ محمد بن محمد الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، المطبعة الوطنية الإسلامية، القاهرة: د.ط/د.ت، ص: 20.

4-أمّا الصفاقسي (ت118 هـ) فيعرفها بأنّها: " ما ليس بمتواتر وكل ما زاد الآن على القراءات العشرة فهو غير متواتر"¹.

5-السيوطي فيعرفها: "ما لم يصحّ سنده"².

6-يذهب ابن الحاجب(ت646هـ) إلى أنّ: "الشاذّ نقل أحاد"³.

7-أمّا ابن دقيق العيد(ت702هـ) فيعرفها بأنّ: "الشواذ هي ما نقلت نقلاً أحاداً"⁴.

كما يذهب مكّي بن أبي طالب القيسي إلى أنّ الشاذّ في القراءة هو: "ما خالف الرسم أو العربية ونقل ولو بثقة أو وافقها ونقل بغير ثقة، أو ثقة لكن لم يشتهر"⁵.

ويرى البعض أنّ القراءة الشاذة: "كل قراءة فقدت أحد الأركان الثلاثة: التواتر ورسم المصحف وموافقة وجه من وجوه العربية أو واحد منها، فهي قراءة لا يقرأ بها ولا تسمى قرأناً"⁶.

حسب ما يؤلف في القراءات الشاذة ويعتمد كمطلق للحكم على شذوذها ورفضها فكل معيار من المعايير الثلاثة لا يأخذ بعين الاعتبار، ولكن معيار الرسم حيث تكون له أولوية في الحكم على شذوذ القراءة أو عدمها وكثر رائدوا هذا التوجه وبنيت على أساسه مؤلفاتهم.

¹ علناصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب، بيروت: د، ط / د، ت، ص: 16.

² ابن الجزري، منجد المقرئين، المرجع السابق: 20.

³ المرجع نفسه، ص: 19

⁴ شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص: 133.

⁵ مكّي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح شلبي، القاهرة، د، ط / د، ت، ص: 18.

⁶ ابن الجزري، منجد المقرئين، ص: 20.

2-ضوابط القراءات الشاذة:

2-1-تعريف الضابط:

لغة: أمر كلي ينطبق على جزئياته، التي هي من باب واحد¹.

اصطلاحاً: شاع مصطلح الضابط بين الأئمة القراء وذكره المحققون من أهل العلم بإقراره ضابطاً حسناً في تمييز ما يعتمد عليه من القراءات، وما يطرح فقالوا: كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلف أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك شاذة أو ضعيفة².

ونجد أنّ القراءات العشرة هي محل الاتفاق وما عداها اختلفوا فيه، ووضع ضابط القراءة هو تنبيه المقرئ أنّ الناقل للقراءة قد يخطئ في نقلها ومن ثم ينبغي نسبة عدم الضبط والخطأ له لا للقراءة إذ الناقل قد يهم وقد يسهو ويقل ضبطه وهذا ما أكده ابن الجزري بقوله: "ولا يصدر هذا عن وجه السهو والغلط وعدم الضبط، وهو قليل جداً بل لا يكاد يوجد"³.

2-2-ضوابط القراءة الشاذة: وتتجسد هذه الضوابط فيما يلي:

أولاً: الحكم على شذوذ القراءة لمخالفتها رسم المصحف.

أولها تعريف الرسم: أصله الأثر والمراد أثر الكتابة في اللفظ وهو تصوير الكلمة بحروف هجائية بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها، وقد انحصر الرسم في ستة قواعد، قال الشيخ محمد العاقب:

¹المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة: ضبطه.

أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب الفريد، تح: طيار قولاج، دار الصادر بيروت: د ط1/ 1975²، ص: 171.

³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ص: 16.

حذف زيادة وهمزة وبديل

الرسم في ست قواعد استقل

مؤافقا للفظ أو للأصل

وما أتى بالوصل أو بالفصل

فيه على إحداها ما قد اقتصر¹

وذا قرأتين مما قد شهر

فمن خلال هذه الأبيات ينحصر الرسم في ست قواعد: الحذف، الزيادة، الابدل، الهمز، الفصل والوصل.

يعتبر الضابط أساسي في قبول القراءة والقراءة بها أو في تضعيفها و تشديدها وترك القراءة بها وهذا الذي يؤكدده أحمد عزوز بقوله: "أن موافقة القراءة لهجاء الكلمات في المصاحف العثمانية، صارت مقياسا لقبولها وصحة روايتها ونقلها وقد صارت موافقة خط المصحف أحد أركان القراءة فما وافق خط المصحف قرئ به وصح نقله، وما كان غير ذلك اعتبر من الشاذ"²، وكذلك يطلق ابن الجزري حكمه على شنود القراءة انطلاقا من الرسم بقوله "ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة ولا تجوز القراءة بها"³.

وكذلك يقال: "إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافة⁴ ويرى عبد الصبور شاهين" حين يجتمع الأول والثالث دون موافقة الرسم تصبح القراءة شاذة، وهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادهم صحيحا، فلا تجوز القراءة بها

¹ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن -روافدها ودفعها- مكتبة وهبه-القاهرة: ط، 4 (1415-1999)، ص: 5.

² محمد السيد أحمد عزوز، موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة، عالم الكتب بيروت، لبنان: ط 1/1412 هـ م ص: 27.

³ ابن الجزري، منجد المقرئين، المرجع السابق، ص: 96

⁴ أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف رجاني محمد علي النجار، دار الكتب القاهرة: د، ط/د، ت، ج 2، ص: 293.

في الصلاة ولا في غيرها"¹. وسار على هذا المنهج في الحكم على شذوذ القراءة جملة من العلماء الذين اشتغلوا بالقراءات أمثال محمد الصغير²، عبد الراجحي³، عبد العال سالم مكرم⁴.

وهناك الكثير من التراث الفكري النصي يقرّ بضرورة السند للحكم على القراءة بالقبول والشذوذ ما رواه نافع من بين هذه النصوص الموثقة في بحوث المصادر التراثية يقال: "قرأت على سبعين فنظرت ما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذ فيه تركته حتى ألفت هذه القراءات" وثبوت الرواية مع صحة الإسناد هو أهم ما علق عليه العلماء صحة القراءة فلا بد أولاً من ثبوت النقل ثم ينظر في توافر الشروط الأخرى بعد ذلك⁵.

والأئمة القراء الذين شذذوا القراءة من طريق السند، فعلي بن أبي طالب الذي يرى "أنّ القراءة الشاذة هي ما نقلت نقل آحاد"⁶.

ومن اللغويين سيبويه حين يقول: "إلا أنّ القراءة لا تخالف لأئمة سنة"⁷.

ومن المحدثين الذين يرون أنّ الرسم ضابط مهم في شذوذ القراءة أو صحتها يعتبرونه كحكم، عبد الصبور شاهين حين يقول: "وقد ظل مقياس الإسناد هو المقياس الوحيد لصحة القراءة أو شذوذها"⁸.

¹ عبده الصبور شاهين، تاريخ القرآن، دار القلم: د، ط/1966، ص:206.

² محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها اللغوي، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان دارالفكر، دمشق، سورية، ط1: 1419هـ/1989، ص:33

³ عبد العال سالم مكرم، أثر القراءة القرآنية في الدراسات النحوية، مؤسسة على جراح الصباح، الكويت، ص:46.

⁴ رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية، ص: 633/634.

⁵ مكّي بن أبي طالب القيسي، الإبانة في معاني القراءات، تح: محمد وحي الدين رمضان، دار المأمون للتراث ط1 11979، ص:50.

⁶ أبو البشر عمرو عثمان بن قنبر، اكتاب، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ط3، 1998.

⁷ المصدر نفسه، ص: 148.

⁸ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: 279.

ثانيها: الحكم على شذوذ القراءة لضعف السند.

تعريف السند: هو الطريق الموصلة إلى القراءة¹.

القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ولهذا الغاية جعل صحة السند من أركان القراءة الصحيحة ويعتبر من الأركان المهمة لقبول القراءة أوردها، ومقصوده أن تروى القراءة عن واحد أو أكثر من الصحابة الذين سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم وقرءوا بين يديه ويقال: "من السهل أن تعرف شذوذ الرواية حين نجدها منقطعة السند، أو حين تروى عن مجهول، إلى غير ذلك من المقاييس الأصولية"².

ومن خلال هذا يمكن الحكم على القراءة بالشذوذ من السند إذا حدث انقطاع أو جهل الراوي أو قلة في الرواة، والمدة طويلة وفي حدود الرسم العثماني³.

ثالثها: الحكم بالشذوذ لعدم موافقة العربية

فضابط القراءة من جهة العربية لمجيء القراءة على الفصح من لغة العرب هو أمر في إبعاد القراءة عن وجه الشذوذ وكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ويقصد منه الوجه النحوي وهناك من القراءات ما جاءت على غير الفصح من لغة العرب، ولها وجود في مصاحف الشواذ وهي بخلاف المتواترة والصحيح من القراءات التي لها وجه في العربية سواء من الأفصح أو الفصح أو ما هو مختلف فيه، وقال عنه ابن الجزري: "مثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية، ولا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط، وعدم

¹ شهاب الدين أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: الشيخ عامر السيد وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية للتراث، القاهرة، د، ط / 1972، ج1، ص: 68 .

² عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة: ص: 279

³ عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، المرجع السابق، ص: 201.

الضبط ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون، وهو قليل جدا، بل لا يكاد يوجد، وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع (معائش) بالهمز¹.

ويرى عبد الصبور شاهين: أنَّ مقياس موافقة الرسم والسند الصحيح لم ينفرد بالحكم على سلامة القراءة أو تشذيبها، فقد ظهرت الحاجة الماسة إلى صيانة النص القرآني من اللحن وانحراف الألسنة منذ عصر مبكر قد يصل إلى عمر بن الخطاب، وفي رواية للذهالي في كلامه أنَّ أعرابيا سمع أحدا يقرأ في عهد عمر بن الخطاب (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)² بالكسر فقال: إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه وبهذا يتضح أنَّ سلامة العبارة القرآنية من الخطأ النحوي، كانت تعني أيضا (نص القراءة وقبولها منذ عهد مبكر)³.

إذن موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية هي موافقة قواعد العربية وخروجها عن القواعد، وعدم انطباقها يجعل منها شاذة، ومنتهية بالضعف من حيث الوجه، وهي مصدر من مصادر اللّغة وتعكس واقعها وخصائصها الصوتية و الإفرادية والتركيبية والدلالية ولذلك قيل: "والقراءات مهما كانت من حيث الشذوذ والصحة هي أصدق تعبير عن واقع العربية في فترة الظهور من حيث الأصوات والمفردات والتراكيب"⁴.

رابعها: وهو خاص بالقراءات لزيادتها عن السبعة أو العشرة دون تحديد للشرط الذي افتقدته القراءات: فما قيل في هذا الضابط قليل إذا ما قورن ببقية الضوابط المذكورة سابقا ونجد في البداية أنَّ ابن مجاهد قال: "بشذوذ ما خرج عن قراءات الأئمة السبعة، إذ أنَّه حين سبع السبعة أوجد نوعا من الشذوذ النسبي إذ

¹ المكي القيسي، الإبانة، المرجع السابق، ص: 40

² التوبة، الآية: 03.

³ عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن (المرجع السابق)، ص: 202.

⁴ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (المرجع السابق) ص: 07

عدّ ما عداها شاذًا، إلا أنّه لم يعتبر كل ورود عن الأئمة السبعة صحيحًا، وإن كان ما عداه شاذًا بالنسبة إلى غيرهم من أئمة القراء، وقد ذكر ابن جنّي من هذا ما وجد له في علم النحو أو اللّغة ما يدعمه وبقويه¹.

هذه القراءات مهما اختلفت الضوابط التي تحكمها والتي جعلت الحكم يطلق عليها باب الشاذ، إلا أنّه يبقى الموقف الذي لا يختلف فيه العلماء والقراء المهتمون بهذا النوع من القراءات أنّ هذه القراءات هي من القرآن الكريم.

3- أقسام القراءات الشاذة:

يرى غسان حمدون أنّ القراءات الشاذة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القراءة التي يرويها غير ثقة ووافقت الرسم العثماني.

القسم الثاني: القراءة التي تخالف العربية في الفصح والأفصح ولو وافقت الرسم سواء كانت عن غير ثقة أو ثقة وأندر من النادر أن تروى عن ثقة.

القسم الثالث: القراءة الشاذة التي صح سندها ولكنها لم تتواتر وجاءت بأخبار الآحاد ولم تستفص وتشتهر ووافقت العربية وخالفت الرسم أمّا النوع الأول والثاني فمردود عند علماء الإسلام لعدم صحة ثبوته إطلاقاً فضلاً عن التواتر المطلوب لثبوت القراءة.

أمّا النوع الثالث فإنّ علماء الإسلام لا يعتبرونه من القرآن لعدم توفر أركان القراءة الصحيحة للقرآن².

¹ عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، المرجع السابق، ص: 10-11.

² غسان حمدون، كتاب الله في إعجازه، يتجلى وردود على أحدث الغارات المستهدفة لإعجاز القرآن، صنعاء مركز الدراسات، د، ط، 2001، ج3، ص: 44.

هناك أراء متعددة حول أقسام القراءات الشاذة فهناك من يرى أنها ثلاثة أقسام وآخرين يرون أنها أربعة أقسام وآخر يرى أنها قسمين ومنطلق هذه التقسيمات الاختلاف الواقع في ضوابط وشروط القراءات الشاذة وحتى الاختلاف الواقع في ماهيتها:

-الرأي الأول: (أحمد البيلي): يقر أن القراءات الشاذة ثلاثة أقسام:¹

*القسم الأول (القراءة المشهورة): وهي القراءة التي وافقت العربية والرسم وصح سندها ولكنه لم يبلغ درجة التواتر ومن هذا كما يقول ما رواه الحكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ"²، بفتح الفاء.

القسم الثاني (قراءة الأحاد):

وتحتها قسمان: القسم الأول كل قراءة وافقت العربية وخالفت الرسم سواء صح سندها أو لم يصح وقسم الثاني كل قراءة وافقت العربية ووافقت الرسم ولم يصح سندها³.

القسم الثالث:(القراءة المدرجة):هذا النوع من شواذ القراءات هو الذي زيد في الآية على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي الوقاص " وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ"⁴، أو بقراءة ابن الزبير "وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"⁵.

¹ أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، دار السودانية، الخرطوم، ط1، 1988، ص: 110.

² التوبة: 128.

³ جلال الدين السيوطي، الاتفاق فيعلو ما القرآن، تح: محمد ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، 1988، ج1، ص: 264.

⁴ النساء، الآية: 12.

⁵ آل عمران، الآية: 104.

-الرأي الثاني: (جمهور العلماء): يروا أنَّ القراءة الشاذة أربعة أقسام:¹

القسم الأول: هو ما وافق الرسم والعربية ولم يصح في النقل بشكل يفيد القطع ومثاله قراءة ابن

السميفغ وغيره: "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ"²،
فقرأها بالحاء المهملة في "ننجيك" وافتتح اللام في "خلفك".

القسم الثاني: ما وافق الرسم وصح نقله وله وجه في العربية، وهذا النوع قال عنه ابن الجزري: "لا يصدر مثل هذا إلا عن وجه السهو، والغلط ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون وهو قليل جدا لا يكاد يوجد"³، ومثاله رواية خارجة عن نافع في كلمة (معائش) بالهمز⁴.

القسم الثالث: هو ما صح نقله ووافق العربية ولكن مخالف للرسم⁵، ومثاله قراءة عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود⁶، وقراءة ابن شنبوذ "يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا"⁷.

القسم الرابع: ما وافق الرسم ولم ينقل البتة⁸، ومثاله: كما قال ابن الجزري (رده أحق ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لفظي من الكبائر، وقد ذكر جواز تلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي وقد عقد

¹ عبد الحلیم قابة، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، معانيها، وحجيتها، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1999ص: 202.

² يونس، الآية: 92.

³ محمد بن محمد الجزري، النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ص: 16.

⁴ المصدر نفسه، ص: 203.

⁵ المصدر نفسه، ص: 203.

⁶ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وكيف الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، فتحي عبد الرحمان، مكتبة العبدلي، الرياض، ط1، ج4، ص: 105.

⁷ الكهف: الآية: 79.

⁸ عبد الحلیم قابة، المرجع السابق، ص: 204.

له بسبب ذلك مجلسا ببغداد حضره الفقهاء والقراء أجمعوا منعه وأوثقوه للضرب فتأب ورجع وكتب عليه بذلك محضرا¹.

-الرأي الثالث(عبد الحليم قابة):ومن خلال بحثه في القراءات وتاريخها وخاصة الشاذ منها، أعطى تقسيما لهذا النوع من القراءات بحيث قسمها قسمين وهذا التقسيم منطلقه من رفضه لصيغ كثيرة للمؤلفين حين يرون أنّ مصطلح القراءة الشاذة قسما للقراءة أحادية ويقصدون بها ما صح سندها، مع مخالفتها للرسم أو العربية وقسما للقراءة الضعيفة ويقصد بها ما لم يصح سندها ولا يخفى أنّ كلا القسمين من أنواع القراءة الشاذة أو مما لا يصح سندها ،مصطلح عليه بالقراءة الشاذة². وبناء على هذا قسم القراءات القراءات الشاذة إلى قسمين: وقال "كان الأليق أن تقسم القراءة الشاذة إلى قسمين:³

-القراءات الأحادية الصحيحة والقراءات الأحادية الضعيفة.

-القسم الأول: أربعة أقسام على التحقيق الذي تقتضيه القسمة العقلية.

1- ما صح سنده ووافق الرسم والعربية إلا أنّه لم يشتهر ولم يتلق القبول وعدّ من الشاذ أو الغلط.

2- ما صح سنده وخالف الرسم.

3- ما صح سنده وخالف العربية.

4- ما صح سنده وخالف كليهما.

القسم الثاني: إمكانية تقسيمه إلى أربعة أقسام مع إبدال الصحة بالضعف.

¹ ابن الجري، النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ج1، ص: 17.

² عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية والتواتر، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، ص: 289.

³ المرجع نفسه، ن ص.

الأول: ما ضعف السند ووافق الرسم والعربية إلا أنه لم يشتهر ولم يتلق القبول وعدّ من الشاذ أو الغلط.

الثاني: ما ضعف سنده وخالف الرسم.

الثالث: ما ضعف سنده وخالف العربية.

الرابع: ما ضعف سنده وخالف الرسم والعربية كليهما¹.

الرأي الرابع: (ابن عطية): وهو يجعلها نوعين (قسمين)²:

القسم الأول: المقبول المعتمد روايته: وهو المروي عن الصحابة والعلماء التابعين، قال ابن

عطية: "أما أن المروي (منه الشاذ) عن الصحابة رضي الله عنهم، ومن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلاّ

أهم رواة ويواصل قوله بأنّ: هذا النوع يجوز العمل به في الأحكام، ولكنه لا يثبت قرآناً، ولا تصح الصلاة

به، لأنّه خبر أحاد، واعتقاد روايته عنهم راجع إلى دقتهم في الضبط ورفعته عن الكذب"³.

القسم الثاني: المردود الذي لا يوثق به: وهو المأثور عن أبي السمال العدوي ومن قاربه، وذكر ابن

عطية أن النوع لا يوثق به، حيث يقول: "أما ما يؤثر عن أبي السمال ومن قاربه، فلا يوثق به، وإنّما

أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل"⁴.

¹ المرجع نفسه، ن ص.

² القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، المرجع السابق، ص: 49.

³ ابن عطية القاضي أبي محمد الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد العال السيد إبراهيم وآخرون، دار الكتب العلمية، مصر، ط 1 / د، ت، ج 1، ص: 49.

⁴ سامي عبد الفتاح جلال، القراءات سيرتها و معاييرها، ط 2001، ص: 78.

-الرأي الخامس: (ابن جنّي) يرى أنّ جميع ما شذّ وخرج عن القراءات السبعة ضربان كما ورد ذلك في كتاب المحتسب¹.

الضرب الأول:

شذّ عن القراءة عاريا من الصنعة، ليس فيه إلّا ما يتناولها الظاهر مما هذا سبيله فلا وجه للتشاغل به، وذلك لأنّ كتابنا هذا ليس موضوعا على جميع القراءات الشاذة عن قراءات السبعة وإنّما الغرض منه إبانة ما لطفت صفاته و أعزيت طريقته.

الضرب الثاني:

وهو يقول " هذا الرأي الذي نحن على سمته، أعني ما شذّ عن سبعة وغمض عن ظاهرة الصنعة، وهو المعتمد المعول عليه المولي جهة الاشتغال به ونحن نورد ما رويناه ثم على ما صح عندنا عن طريق رواية، وعلى أنّنا ننحى فيه كتاب أبي بكر بن نافع بن عبد الرحمان بن أبي النعيم الليثي مولى الهذلي²."

4- أشهر أئمة القراءات الشاذة:

للقراءات الشاذة أهمية تاريخية بالغة، ويمكن لها أن تكون في منزلة المشهور من الفصاحة ويمكن أن تكون أفصح منها، ولكن هكذا شاء لها القدر أن تكون في مستوى الشذوذ، وهذه القراءات التي صنفنا ضمن هذا التصنيف أصحابها إمّا من الصحابة الكرام أو من التابعين أو تابعي التابعين، ومنها ما نسب إلى أصحابها ومنها ما لم تنسب، وتعتبر من الناحية اللغوية مصدرا مهما من مصادر الدرس اللغوي ويرى

¹ أبو الفتح عثمان بن جنّي، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429-1998، ج1، ص: 102.

² المصدر السابق، ص: 102.

كريم حسين ناصح" أنه إذا رجعنا تراجم أكثر القائلين بالشذوذ نجدهم أنهم أناس فضلاء علماء، لم تصانعهم الأقدار، وقد من عليهم من هم دونهم بالمنزلة، والملاحظ أنّ معظم القراءات ليست شاذة بالمعنى الحقيقي للشذوذ وإنما رميت بالشذوذ، لأنّها كانت معهود العامة، وخلاف ما يعرفه شيوخ القراء في الأمصار"¹.

وهناك من القراءات الشاذة ما لا تحمل المعنى الحقيقي للشذوذ لذلك نجد هناك مواقف مدافعة عن هذا النوع من القراءات باعتبار أصحاب هذه القراءة هم دون هذا الطعن وكذلك يلتبس لها وجه من القوة في معيار من المعايير الثلاثة أو أكثر من هذا و" جدير بذكرهم هنا أنّ أكثر القراءات الشواذ إنّما شذت لكونها خالفت الأصل الأعظم، وفقدت الركن الأقوم من أركان القراءة المقبولة الثلاثة، وهو التواتر"².

وهؤلاء الأئمة هنا فريقان:

الفريق الأول (الأئمة الأربعة):

1-الحسن البصري: وهو الحسن بن أبي الحسن اليسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ولد في بيت أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة سنة 12هـ لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه³. وهو من أنبل أهل زمانه علما ونبلا وقرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى

¹ كريم حسن الناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، ط1، 2006. ص: 130.

² حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، دار الصحافة للتراث، مصر، ط1 2006، ج1، ص: 27.

³ ابن خلكان، وفيات الأحياء وأبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار المعارف، د.ط، دن، ج2، ص: 69.

الأشعري وعلي أبي العالية وعن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب وروى عنه أبو عمرو بن العلاء، وسلام العدلي، وعاصم الجحدري، وعيسى الثقفي وغيرهم وتوفي 110هـ¹.

2-الإمام الأعمش: وهو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسد الكاهلي الكوفي، ولد بالكوفة في

محرم يوم عاشوراء في أيام يزيد بن معاوية ولد سنة 61هـ، سنة مقتل الحسين وأخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي، وزيد بن حسين، وعاصم بن أبي النجود، ومجاهد بن جبير وغيرهم.

وروى القراءة عنه عرضاً وسماعا من ابن أبي ليلى، وزائدة بن قدامة، وغيرهم وعرض عليه طلحة بن مصدق وإبراهيم التميمي، ومنصور بن المعتمر، وروى عنه الحروف محمد بن عبد الله المعروف بالزاهر ومحمد بن ميمون².

3-ابن محيصن: وهو محمد بن عبد الرحمان بن محيصن أبو عبد الله السهمي المكنى القريشي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، روى له مسلم، عرض على مجاهد بن جبير وعرض عليه شبيل ابن عباد وأبو عمرو بن علاء، وسمع منه حروفاً إسماعيل ابن مسلم المكي، وعيسى ابن عمر البصري، قال ابن مجاهد وكان ممن تجرد للقراءة وقام بها في عصر ابن كثير وقال أبو عبيد: وكان من قراء مكة عبد الله بن كثير، وحמיד بن قيس ومحمد بن محيصن، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية وأقواهم عليها، وقال ابن مجاهد

¹ عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1981 ص 15.

² محمد بن محمد بن محمد الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ط2، 1402-1982، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص: 167.

كان لابن محيىن اختيار في القراءة على مذهب العربية وخرج به عن اجماع أهل بلده ورغب الناس عن قراءته وأجمعوا عن قراءة ابن كثير لإتباعه¹.

4-اليزيدي: هو يحيى ابن المبارك المغيرة البصري، أبو محمد المعروف باليزيدي لصحبته ليزيد ابن منصور، كان يعلم أولاده ولد 122 هـ في أيام مروان بن محمد ثم اتصل بالرشيد وتوفي في 202 هـ، وفيه اختلاف في هذا التاريخ².

أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء، وهو الذي خلفه بالقيام بها، وأخذ أيضا عن حمزة وسمع من عبد الله الملك بن جريح وأخذ عن الخليل بن أحمد³.

وقال الحافظ الذهبي: " كان ثقة وعلامة وفصيحا، مفوها بارعا في اللغات والآداب، أخذ عن الخليل بن أحمد وغيره حتى قيل أنه أملى عشرة آلاف ورقة عن أبي عمرو، وله عدة تصانيف منها كتاب النوادر في اللغة وكتاب في النحو المختصر، قال ابن مجاهد وإنما عولنا على اليزيدي وإن كان سائر أصحاب أبي عمرو، أجل منه لأنه انتصب للرواية عنه وتجرد لها ولم يشتغل بغيرها⁴.

الفريق الثاني: ويمثله من أعطوا رواية القراءة الشاذة عن بعض الصحابة في بعض ما نسب إليهم من القراءات كابن مسعود(32هـ) وأبي موسى الأشعري (52 هـ) وابن الزبير(37 هـ) وغيرهم ومن التابعين كالضحاك ومحمد ابن سيرين (110هـ)⁵.

¹ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، المرجع السابق، ص: 11.

² شمس الدين الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، تح: بشار عواد معروف وشعيب رأود، صالح المهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط2، 1408-1988، ج1، ص: 151.

³ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، المرجع السابق، ص: 14.

⁴ **معرفة القراء الكبار**، المرجع السابق، ج1، ص: 152.

⁵ سامي عبد الفتاح جلال، **القراءات سيراتها ومعاييرها**، ط1، 2001، ص: 78.

المبحث الثاني: الاهتمام بالقراءات الشاذة

1- جهات شذوذ القراءات في العربية:

1-1- القراءات الشاذة صوتياً

وهي تتعلق بشذوذ القراءة من الناحية الصوتية والمناسبة بين الحروف وهذا يعتبر مهم في القراءات القرآنية وقبول قرآنيها فإذا حدث تنافر واضطراب على المستوى الصوتي حدث شذوذ في القراءة فالتلاؤم والانسجام بين الحروف ضروري وعامل أساسي لصحة القراءة وهناك توجيهات صوتية مادام هناك شذوذ على هذا المستوى وباعتبار الجانب الصوتي يعدّ جانباً مهماً في الدراسة اللغوية. وعلماء الدرس اللغوي كان معظمهم من القراء أمثال الكسائي وأبي عمرو بن العلاء مما جعلهم يتأملون الأصوات اللغوية رغم تعدد صور هذا المستوى من إبدال وهمز وإدغام وغيرها وكانت مجسدة في القراءات الشاذة فنجد:

الإبدال: كقوله تعالى: "ثُمَّ أَنْزَلْنَاكَ الْكَوْثَرَ"¹.

والنون جاءت بدلا من العين في القراءة المشهورة (أَعْطَيْنَاكَ) وهذا الإبدال هنا أنّ النون والطاء لما تجاورتا تتنافرتا لأنّ هناك تقارب في المخرج²، وكذلك في قراءة و(حَتَّى حِينَ)³ ومن ذلك ما رواه عمرأنه سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ (عَتَى حِينَ) فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَ قَالَ: ابن مسعود، فكتب إليه إنّ الله عزوجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام. قال أبو الفتح بن

¹ سورة الكوثر. الآية: 1

² ابن الجزي، النشر، المصدر السابق، ج 1، ص: 278.

³ ابن جني، المحتسب، ج 2، ص: 14 - 15.

جنّي: "العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج كقولهم بحثر أي بعثر، وضيعت الخيل أي ضيعت وهو يحنظي ويعنظي: إذا جاء بالكلام، فعلى هذا يكون عنى وحتى، لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً وهذا الآخر جائز وغيره خطأ¹.

وكذلك قراءة (لَقَدْ جَعَلَ رَيْشَ تَحْتَسِ سَرِيَا) وفي المصحف (جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا)² أبدلت الكاف شينا وفي القراءات أخرى أبدلت السين زايًا ففي قراءة (ذُوقُوا مَسَ سَقَرٍ) قرأ (ذُوقُوا مَسَ زَقَرٍ). وهذا الإبدال هو من لغة كلب وهناك من يقلبها صادا وهذا التأصيل اللهجي هو ما يجعل للقراءة الشاذة وجه في العربية ويثري أهميتها وقيمتها التاريخية واللغوية³.

الهمز:

ومن قراءة الأعمش (مَذْمُومًا مَذْهُورًا) ومن ذلك قراءة الزهري³ (مذعوما مدحورا) ويرى أبو الفتح في تخفيف الهمزة من مذعوما هي مثل مسئول تخفف مسول.

1-2- القراءات الشاذة صرفياً: هناك ألفاظ مفردة وردت في القراءات الشاذة جعلت من القراءات القرآنية شاذة صرفياً ويكون هذا الشذوذ من كون هذه اللغة قليلة الاستعمال، ومخالفة للقياس المطرد.

ومثال ذلك: قراءة (هَلْ تَنْفَعُونَ مَنَا) وتتقم هي تضارع "نقم" هي مضارع "نقم" وهي لغة حكاها الكسائي وغيره⁴، من باب علم يعلم وقراءة الجمهور فهي "نقم، ينقم" وذكروا أنها اللغة الفصحى، ومن جهة ما ذكر هو قليل الاستعمال، وبسبب هذه القلة في الاستعمال سميت بالشذوذ.

¹ المصدر نفسه. ج2، ص: 14-15.

² سورة مريم، الآية: 24.

³ الزركشي، البرهان علوم القرآن، المصدر السابق، ج1، ص: 220.

⁴ القراءات في ضوء علم اللغة الحديث، المرجع السابق، ص: 49.

ومن ناحية الشذوذ الصرفي هناك إبدال فعل بفعل هو وارد وبكثرة في الشواذ ففي قراءة (أَنْ يُكْمِلَ الرِّضَاعَةَ)¹، بدلا (أَنْ يُيَمَّ الرِّضَاعَةَ)² وقراءة (يَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْصَدَعْنَ)³، بدل (يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ)⁴.

1-3-القراءات الشاذة نحويا: وهي مخالفة للقياس ومن ذلك قراءة " وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ " ⁵. ومن ذلك قراءة الأعمش: (وَمَا هُمْ بِضَارِّي لَهُ مِنْ أَحَدٍ)، وقال أبو الفتح هذا من الشاذ، أعني حذف النون هنا، وأمثلة ما يقال فيه أن يكون أراد: وما هم بضاري أحد، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بحرف الجر وفيه شيء آخر وهو أَنَّ هناك أيضا (من) في (من أحد) غير أَنَّهُ أجرى الجار مجري جزء من المجرور، فَإِنَّه قال: "وما هم بضاري به أحد"، وفيه ما ذكر ⁶.

وقراءة "وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ"⁷، وهي قراءة محمد ابن السميغ والأعمش ويرى أبو الفتح: "أَنَّ هذا مما يعرض مثله للفصيح تداخل الجمعين عليه ، وتشابههما عنده نحو منه قولهم: مسيل فيمن أخذه من السيل وعليه المعنى ، ثم قالوا فيه، مُسَلَّاه، وأمسله ومعينٌ: أقوى معنى فيه أن يكون من العيون، ثم قالوا: سالت مُعْنَاهُ"⁸.

النحو هو العلم الذي يعرف به أحوال الكلم إعرابا وبناء لما يعرف به نظام الجملة، وهو ترتيبها الخاص بحيث تؤدي كل كلمة فيها وظيفة معينة حتى إذا اختلف هذا الترتيب اختلف المعنى المراد وللقراءات العلاقة

¹البقرة، الآية: 234.

²محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص: 222.

³مريم، الآية: 90.

⁴الزمر، المصدر السابق، ج3، ص: 57.

⁵البقرة، الآية: 102.

⁶ابن جني، المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 187.

⁷الشعراء، الآية: 210.

⁸ابن جني، المحتسب، ج1، المصدر السابق، ص: 177.

الوطيدة بالنحو، فقد كان الهدف الرئيسي لمن وضع النحو، هو حماية النص القرآني من اللحن وصونه ولذلك فالشذوذ النحوي لبعض من سور القرآن كان محل اهتمام ودراسة وتوجيه.

وهناك من يضيف مستوى آخر لشذوذ هذه القراءة هو المستوى الدلالي ولكن كل المستويات تهدف إلى المستوى الدلالي يمكن التغاضي عن ذكره لتفادي التكرار.

2- توجيه القراءات الشاذة:

2-1- تعريف التوجيه:

لغة: مأخوذ من الوجه المعروف، والجمع وجوه، وحكى القراء: أنَّ الوجوه والوجه ووجه كل شيء مسند قبله ويقال هذا وجه الفأس أي هذا نفسه، ووجه الجهة بمعنى ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به والتوجه: الإقبال والانتهزام، وتوجه الرجل ولَّى وكبر التوجه في القوائم: كالصرف لأنَّه دونه والتوجيه في قوافي الشعر: يقول ابن جنِّي: "سميت الحركة قبل الراوي المقيد توجيهها، إعلاماً أنَّ للروي وجهين في حالين مختلفين وذلك أنَّه إذا كان مقيداً فله وجه يتقدمه وإذا كان مطلقاً فله وجه يتأخر عنه"¹.

التعريف الاصطلاحي:

عند القراء يقصد به تبيين وجه قراءة ما والإفصاح عنه باعتماد أحد الأدلة الإجمالية للعربية من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال وغيرها، ولها مرادفات منها:

¹ ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مادة: وجه

-**التعليل:** ومنه كتاب التعليل لأبي العباس الموصلي النحوي، وكذلك علل القراءات لأبي منصور الأزهري¹.

-**الإحتجاج:** نجد "احتجاج للقراءة" للمبرد و"احتجاج للقراءة" لابن السراج².

-**الحجة:** كذلك الحجة لأبي على الفارسي وحجة في القراءات لأبي زرعة³.

-**الانتصار:** ومنه الانتصار لحمزة أبي طاهر عبد الواحد البزاز⁴.

الغرض من التوجيه: إنّ الاختلاف بين القراءات كان يحتمل أكثر من وجه للتفسير والقراءة والضبط وهناك من وجه هذه القراءات من ناحية المعنى أو الإعراب حيث أعربوا عن المعنى الذي من أجله جاء الوجه هكذا، والغرض من توجيه القراءات هو جعل جميع القراءات لفظاً ومعنى، محل قبول، فلا يسقط منها شيئاً وهناك اختلاف في المواقف بين النحاة في قبول القراءة، وهناك من كان له إطلاق في قبول القراءات بين النحاة وهناك من ردّ وكره الكثير، وهناك من كان وسطاً في القبول ورد ما هو مكروه مثال "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ"⁵ فقال الزركشي: "أكره التأنيث لما فيه من موافقة دعوة الجاهلية في زعمها إنّ الملائكة إناث، وكذلك كره بعضهم من قرأ بغير تاء لأنّ الملائكة جمع وهذا كله ليس بجيد، والقراءتان متواترتان، فلا ينبغي أن تردّ إحداهما البتة وفي قراءة عبد الله: (فَنَادَاهُ جَبْرِيلُ) ما يؤيد أنّ الملائكة مراد به الواحد"⁶.

¹ عبد العلي مسؤل، الإيضاح في علم القراءات، عالم الكتب اريد الأردن: ط1، 2008، ص: 115

² المرجع نفسه، ن ص.

³ المرجع السابق، ن ص.

⁴ المرجع نفسه، ن ص.

⁵ آل عمران، الآية: 39.

⁶ الزركشي البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج1، ص: 341.

ولابد في توجيه القراءات الشاذة أن تأخذ في الاعتبار مسألتي الإعراب والبناء وهما أساس التركيب من خلال حركات الإعراب والبناء يتم تغيير المعاني وهذه الحركات عبارة عن وحدات دلالية صغيرة بإسقاطها يفرق بين المعاني.

وتوجيه الشاذ كثير عند أهل الصنعة وغيرها ممن كانت بحوثهم حول القرآن لأنها الوسيلة الوحيدة المعبرة عن الوجه الصحيح للقراءة، ولعل الناظر إلى بعض القراءات لأول وهلة يجد بعض الغرابة فيها فكان الكثير من أهل العلم على اختلاف نظراتهم فيما يبحثون عنه توجيهها لهذه القراءات، من هذه التوجيهات ما كان صائبا، ومنها ما لم يحض بالصواب، وقد انحرف التوجيه عن جادته عند بعضهم فبدأ غريبا، حتى أن القارئ لكلامهم يشعر بقسوة تنبعث من تلك الكتابات وكأنهم يتعرضون لكلام بعض الأرباب¹ ولا أدري كيف تجرؤوا على كلام رب الأرباب².

2-2 - توجيه القراءات:

2-1- المتواترة: وفي هذا يقول الزركشي: "هو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها وقد اعتني الأئمة به، أفردوا فيه كتابا منها كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي، كتاب (الكشف) للمكي، وكتاب (الهداية) للمهداوي وفائدته أن يكون دليلا على حسب مدلول عليه، أو مرجحا إلى أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي لأن كليهما متواترة³.

¹ المصدر السابق، ص: 340

² أسامة صباح عبد الله الرفاعي، الأوجه الإعرابية في القراءات أهل البصرة وأثرها في دلالية النص القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة، 2004، ص: 150.

³ علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3 / د، ت، ص: 43.

قال الزمخشري: (قرأ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)¹ ومالك ملك بتخفيف اللام.

وقراءة أبي حنيفة: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، بلفظ الفعل، ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك، وهو نصب على المدح، منهم من قرأ مالك بالرفع وملك: وهو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين، وكقوله: "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ"² لأنَّ الملك يعم ويخص. وفي توضيح معنى القراءة قال: فالإضافة هنا هي إضافة اسم الفاعل إلا الظرف على طريقة الاتساع، جرى مجراه المفعول به كقوله: يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية، ومعناه ملك الأمر قل له يوم الدين، كقوله: (لمن الملك اليوم)³.

2-2- الشاذة: يقول الزركشي في توجيه القراءة الشاذة: "وتوجيه القراءة الشاذة أقوى على الصناعة من توجيه المشهورة، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب (المحتسب) لأبي الفتح إلا أنه لم يستوف، وأوسع منه كتاب أبي السيف العكبري، وقد يستشبع ظاهرة الشاذ بادئ الرأي فيدفعه التأويل كقراءة: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "⁴ وتأويله أنَّ الخشية هنا بمعنى الإجلال والإعظام لا الخوف والقراءة " فإذا عزمْتُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "⁵، بضم التاء على التكلم لله تعالى وتأويله على معنى: فإذا أرشدتك إليه وجعلتك تقصده وجاء قوله: (على الله)، الالتفاف والإقبال: (فتوكل على) فقد نسب العزم إليه⁶.

¹ الفاتحة، الآية: 6.

² غافر، الآية: 16.

³ الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق، ج 1، ص: 21.

⁴ فاطر، الآية: 28.

⁵ آل عمران: 151.

⁶ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج 1، ص: 341.

3- المراحل التاريخية لحركة الشذوذ:

اختلف العلماء في تاريخ شذوذ القراءات (بداية الحقيقة لشذوذ القراءات القرآنية) وفي ذلك آراء كثيرة ومن بين هذه الآراء:

1- يرى عبد الصبور شاهين: (أن ظهور المصحف الإمام كان إيذاناً بالحكم بالشذوذ على ما خرج منه عن نهج المصحف الإمام دون ترجيح)¹. إلا أنه فيما بعد نجده يستدرك قوله هذا بقوله: "وربما يكون مصطلح الشذوذ قد عرف وقتئذ ولكن إحساس الناس بدأ يتجسد تبعاً لنجاح تنفيذ القرار العثماني واطرداه في أمصار وربما كان بدء هذا الإحساس في صورة حديث ابن مسعود إلى أهل الكوفة أن بلغوا ما في أيديهم من مصاحف، قبل أن ينتبع بعمل عثمان"².

2- يرى غانم قدوري في كتابه (رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية): "أن بداية الشذوذ كانت من الرسم العثماني"³ ومال إلى هذا الرأي توفيق ابن أحمد العبقري في كتابه (الرسم القرآني ضابط من ضوابط القراءة الصحيحة) ويرى محمد أحمد الصغير في كتابه (القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي): "كانت مع بداية الجمع البكري"⁴.

ما يلاحظ من خلال هذه الأقوال هو أن تأريخ إلى الشذوذ والاهتمام الحقيقي بدأ في مراحل متقدمة فإذا قلنا أن الشذوذ بدأ من الجمع البكري أو العثماني فهو إغفال وإهمال لجذور حركة التشذيد، فإذا قلنا أن التشذيد بدأ في عهود متأخرة، فكيف نسمي ما كان يرده الرسول صلى الله عليه وسلم أو أين يندرج هذا النوع من القراءات المردودة، من القراءات في عصره.

¹ تاريخ القرآن، المرجع السابق، ص: 194.

² المرجع السابق، ن ص.

³ غانم قدوري، رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية، ص: 145.

⁴ حمدي أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، المرجع السابق، ص: 28.

من خلال مشافهته لصحابته ولأئمته، أفلا يعتبر هذا من الشاذ¹، لذلك فبداية الشذوذ من خلال تتبع نشأة علم القراءات وانتشارها في ربوع الأمة المحمدية كان ذلك في عصور متقدمة (عصر النبوة).

وهذا ما يميل إليه سامي عبد الفتاح هلال في كتابه (القراءات الشاذة) بأنّ بداية الشذوذ كانت مع العرضة الأخيرة وبأخذ بهذا حمدي سلطان العدوي²، فالصحابة نقلوا عن النبي القرآن وقراءاته وكانوا شديدي الحرص في المحافظة عليها والدفاع عليها من ناحية الرمي والردّ سواء من ناحية التأدية أو التلقين، وهذا ما إن دلّ فهو يدل على مكانة هذا الكتاب العزيز عند الصحابة الكرام³.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد أصحابه بتعلم القرآن وحفظه لهم على درجة عالية من التأدية والضبط حتى أصبحت صدورهم سجلا لما نزل من الحق، وقد يحدث أن يقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه القرآن قراءة لم يقرئها الآخر فيسمع أحدهما فينكر عليه عدم سماعه لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدث لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم وحدث هذا لأبي بن كعب رضي الله عنه، مع رجل حتى دب الشك في نفس أبي بن كعب وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره واستعاذ من الشيطان الرجيم⁴.

وتبيّن من الواضعين أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أقرأ كلا منهما بحرف مخالف للآخر.

فقد كان يعارضه على جبريل ويعرضه عليه جبريل، وقد عرض عليه في العام الذي توفي فيه مرتين وعن فاطمة عليها السلام أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه وسلم: "أنّ جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة،

¹ كانوا يطلقون ألفاظا أخرى على الشاذ من القراءات إذا كانوا يقولون قراءة بعضهم، قراءة قليلة، وكل هذه الأوصاف لا تبتعد عن المعاني النادرة والتفرد والتفرق.

² حمدي أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، المرجع السابق، ص: 38.

³ المرجع نفسه، ص: 38

⁴ المرجع السابق، ن ص.

وإنّهُ عرضني هذا العام مرتين ولا أراه إلّا حضر أجلي¹ ومن خلال هذا العرض الذي كان يتم بين النبي وبين جبريل والصحابة يمكن القول أنّ الشذوذ كان منذ عصر النبوة وإنّ كل "ما لم يثبت في العرضة الأخيرة عدّ شاذًا لا يعوّل عليه لأنّه يعدّ منسوخاً"².

فحميد العدوي من خلال قوله هذا وكما ذكرنا سابقاً أنّ مرحلة الشذوذ هي توافق العرضة الأخيرة وهي بداية الحقيقة لتشذيب القراءات.

ومر القرآن في مراحل جمعه بثلاثة جموع وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه حيث يورد أنّ جمع القرآن تم وفق ثلاثة مرات إحداها كانت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن يزيد بن ثابت قال "كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع"³.

قال البيهقي: "يشبه أن يكون المداد بالتأليف من الآيات المتفرقة في صورها وجمعها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية بحضرة أبي بكر الصديق والثالثة هي ترتيب السور في زمن عثمان"⁴.

أمّا الجمع الأول للقرآن هو جمع أبو بكر الصديق يمثل المرحلة الثانية للتشذيب، روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: "أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحر بقرآن وإنّي أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله

¹ المرجع نفسه، ص: 147.

² حمدي أحمد العدوي، القراءات الشاذة، دراسة صوتية ودلالية، المرجع السابق، ص: 38.

³ المرجع السابق، ن ص.

⁴ ابن جني، المحتسب، المصدر السابق، ج 1، ص: 6

رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وقال عمر: وهو والله خير فلم يزل حتى شرح الله صدري لذلك، قد رأيت في ذلك رأي عمر... واختلف في الشاهدين¹.

وكان زيد بن ثابت هو مكلف بهذا الجمع حيث قال زيد: "قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا تتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فأجمعه فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به، من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"، قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدّها مع غيره، (لقد جاءكم)، حتى خاتمة السورة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر².

واعتبر كل ما خرج عن المنهج الذي التزم به زيد بن ثابت عدّ شاذاً ويتلخص منهجه في:

- ألا يجمع إلا ما كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

- ألا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في الشاهدين³.

- ألا يجمع إلا ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

¹ رواه البخاري في صحيحه (4679-4986).

² جلال الدين السيوطي، إتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، ط1، ص: 129، 130.

³ المصدر السابق، ص: 131.

- ألا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه سماعاً عن فم الرسول (ص)¹، وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت عندما أوكل إليهما مهمة جمع القرآن: "أقعدا على باب المسجد فمن جاء بشاهدين على شيء من الله فكتباه"².

- أمّا الجمع الأول للقرآن الكريم كما يعرف بالجمع البكري، وما يلاحظ أنّ مقياس أبي بكر كما هو واضح لم يترك أثراً دالاً في تاريخ الشذوذ وذلك لاقتصار آثاره على أية الرجم ولأنّ العلماء لم يصلوا إلى حل حاسم فيها ولأنّ غاية أبي بكر كانت تهدف أساساً إلى تدوين القرآن³.

وأما الجمع الثاني للقرآن الكريم (الجمع العثماني) يعدّ المرحلة الثالثة لتشييد القراءة وهذا جمع ترتيب سور في زمن عثماني كما سبق الذكر وروى البخاري عن انس: أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة: أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن حارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان لرهط الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّه إنّما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق⁴، والجمع العثماني تم على أساس الشروط الآتية:

¹ القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، المرجع السابق، ص: 39.

² إتيان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص: 130.

³ - المصدر نفسه، ص: 33.

⁴ المصدر السابق، ن ص.

- الأخذ بأشهر الروايات.

- الاعتماد على أفصح اللغات.

- كتابة المصحف برسم معين¹.

مما يدلّ على أنّ هذا الجمع يمثل المرحلة الثالثة من مراحل الشذوذ في القراءة حيث قال محمد أحمد الصغير: "يعدّ صنيع عثمان من توحيد مصاحف الأئمة على رسم واحد وحرقه مصاحف الصحابة العتيقة الخطوة الحقيقية الأولى في تاريخ المقاييس، فقد أبعد عثمان قرآن المسلمين عن عددا من الروايات التي لم يستفصّل نقلها عن النبي وأعلن بطلان العمل بها وسارع إلى تطبيق ذلك"².

وأصبح ذلك "منذ هذا الحين رسم عثمان شرطا أساسيا من شروط صحة القراءة فكل قراءة لا توافق هذا الرسم تبقى خارج المصحف"³، ويرى كذلك كثرة هذه القراءات فيها ولا سيما في عهد عثمان أخذ منحى يناقض مسوغ وجودها، وتثير المخاوف وما لا يمكن الاطمئنان إليه إلا بإجراء اجتهادي يحفظ للقرآن قدسيته وللمسلمين وحدة الكلمة فوجد عثمان المصاحف وجعلها رسما واحدا وترك خارج مصحفه ما لم يجمع عليه من القراءات ولم تكن موافقة لرسمه على درجة واحدة من الذبوع والانتشار، وذلك تبعا للعدد الذين يحملون القراءة ودرجة عمله وتوفيقيهم وقد دفع هذا العلماء إلى الاختيار الذي قاد بالضرورة إلى ترك بعض القراءات التي لا تناسب قناعاتهم"⁴.

¹المصدر نفسه، ص:40.

²المرجع نفسه، ص:32

³المرجع نفسه، ص:34.

⁴القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع سابق، ص31.

ومن بين هذه القراءات قراءة أنس بن مالك (وَلَا تَقْرَبُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَاعْتَزِلُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) وهي في نسخ عثمان " فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ" ¹.

4- الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية (حجية القراءات الشاذة) :

4-1- إجازة الاحتجاج بها: فالاحتجاج بها في العربية أخذ عدة مواقف تبتعد أحيانا وتلتقي أحيانا أخرى حتى وصلت درجة الاضطراب وقد اهتم نحاة العرب: "بالقراءات القرآنية ووظفوها في درسم النحو منذ أن طالعنا أول كتاب متكامل في النحو العربي، وهو كتاب سيبويه ولكل منهم جهود في توجيهها بما يعني الدرس النحوي، فكان لها نصيب موفور في توجيهاتهم للمسائل النحوية" ².

فكتاب سيبويه فيه من القراءات متواترها وشاذها من خلال توجيه المسائل النحوية الواردة فيه، ويرى عبد الصبور شاهين: "أن الدارسين قد عزفوا عن هذا المجال لصعوبة تأديته وعسر مواصلة البحث في دور به ومناهاته" ³.

ونجد الدراسات التي كانت لها علاقة بالقراءات وبأنواعها قليلة نتيجة تشعب مجال هذا العلم وحين ربطه بالدرس اللغوي، يزيد صعوبة وتعقيدا ولذلك كان رائدوه قلائل، وللقراءات الشاذة أهميتها التاريخية وقد تكون القراءات الشاذة في منزلة المشهورة من حيث الفصاحة، بل تكون أفصح منها، ولكن هكذا شاء لها القدر، أن تتدرج في مستوى الشذوذ ⁴.

¹البقرة، الآية: 222.

²-المحتسب، المصدر السابق، ج2، ص:17.

³ ناصر غالب، المبرد القراءات القرآنية، مجلة الموارد، 2001، 29، ص:124.

⁴ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة: ص:80.

والقراءات الشاذة من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة كنه اللغة، ومن هذه القراءات ما نسب إلى أصحابها ومنها لم تنسب، ومنها ما اجتمع على رواية جمهور من الصحابة والتابعين ومنها مجهول الراوي، وكل ذلك يعدّ بصرف النظر عن السند وخير ما يمثل حال اللغة العربية الفصحى ولهجاتها القديمة، بجميع ظواهرها الشائعة والمحدودة، فليس من شاردة أو واردة في لهجات العرب إلا ولها من الشواذ شاهداً أو أكثر¹.

وإذا راجعنا تراجم أكثر القارئين بالشاذ، نجدهم أناساً فضلاء علماء، لم تصانعهم الأقدار وقد من عليهم من هم دونهم بالمنزلة والملاحظ أنّ معظم القراءات ليست شاذة بالمعنى الحقيقي للشذوذ وإنّما رميت بالشذوذ، لأنّها كانت خلاف معهود العامة، وخلاف ما يعرفه شيوخ إقراء الأمصار².

وهذا ما حمل بعض من اللّغويين على الاستشهاد بها والاحتجاج لها في مؤلفاتهم أمثال سيبويه وهو من أوائل النحاة وكان ذلك في مرحلة مبكرة، بحيث يستشهد بالشاذ في كتابه ومن الممكن القول بأنّ القراءات الشاذة هي من أغنى مورثات التراث بالمادة اللغوية التي تصلح أساساً للدراسة الحديثة، التي تلمح فيها تاريخ اللغة الخالدة³، وهذا ما سجله أبو الفتح في كتابه الخالد المحتسب، بحيث دافع عن هذه القراءات بالتماس الوجوه اللغوية لها لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة⁴ ولكن في مقابل هذا الرأي هناك من أبعد عليها صفة القرآنية وهذا على رأي الحنفية بقولهم أنّها كانت قرآن ثم نسخت⁵.

¹ المرجع نفسه، ن ص.

² كريم حسين الناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، ص: 130.

³ القراءات في ضوء علم اللغة الحديثة، المرجع السابق، ص: 87.

⁴ النشر في القراءات العشر، ج 1، المرجع السابق، ص: 14.

⁵ عبد العلي مسنول، الإيضاح في علم القراءات، المرجع السابق، ص: 48.

وذلك لابتعادها عن التواتر والإعجاز والكتابة في المصاحف ولندرجها ضمن الخبر التفسيري "وجمهور المالكية لا يحتجون بها باعتبارها لا خبر ولا قرآن وهذا ظاهرها"¹.

والاهتمام بهذه القراءات لم يتوقف عند ابن جنّي ولم ينحصر في اهتمام ابن جنّي بل امتد إلى أوسع من هذا بكثير عند النحاة والقراء من إعراب وتخريج وتوجيه كل هذا من باب الدفاع عن هذه القراءات و"استغل النحاة والقراء الاحتجاج لها فوجهوها وكشفوا عن عللها وحججها على اختلاف الفريقين في النزعة والمنهج والتناول"².

ويرى المكي: "اتفاق العلماء على جواز تدوين القراءة الشاذة وتعليمها وتعلّمها والاحتجاج بها في ميادين الدراسات اللغوية والاستعانة بها متى صح سندها"³ وإلى جانب هذا "كان اللغويون يستشهدون بالقراءة ونحوها فيما يشرحون من لغوياتهم، وكان الأدباء يغترفون من هؤلاء في أشعارهم وشرح قصائدهم، ولما لا؟ وقد أجمع الناس على أنّ اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن"⁴.

ويقول السيوطي: "كل ما ورد أنّه قرأ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء أكان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وما ذكر من الاحتجاج بالقراءة الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا

¹ القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، المرجع السابق، ص: 214

² موقف اللغويين والنحويين من القراءات القرآنية الشاذة، المرجع السابق، ص: 31.

³ أبو محمد المكي بن أبي طالب القيس، وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرياء الرسالة، بيروت، ط2/1997، ج1، ص: 112.

⁴ النحو والقراءات، المرجع السابق، ص: 53.

أعلم فيه خلافا بين النحاة فالقراءات باختلافها بين المتواتر والآحاد والشاذ هي حجة في العربية لأنها مهما شذت كان إيجاد وجه لها في العربية¹.

ويقول أحمد عزوز: "الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه وأنّ القراءات القرآنية شاذها و متواترها تعدّ المصدر الأول من المصادر اللغوية، وهي عند غالب اللغويين والنحاة مقدمة على الشعر، لأنه توفر لها من الضبط والدقة ما لم يتوفر للشعر"².

ويرى علم الدين الجندي "أنّ الاحتجاج بها في العربية يكون من دون شروط بحيث أنّ الاحتجاج بالقراءة الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ومن وجهة نظر أنّ القراءات ما هي إلا صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل ولكن هذه القبائل لم تنل نصيبا فحكموا بشذوذ قراءتهم التي هي صورة حية للهجاتهم وإن شذت فهي أقوى من تراث النثر والشعر على السواء لأنّ القراء يسجلون نزر الخلاف وهي قليلة وبالتالي هم في ذلك أضبط من رواة الشعر وغيرهم حين نقلوا إلينا إشارات لهجية وقع فيها التحريف تارة والتصحيف تارة أخرى"³.

إنّ القراءات القرآنية تعكس اللهجات العربية التي كانت سائدة آنذاك ولهذه اللهجات شهرتها مرتبطة بشهرة ومجد هذه القبائل ودليل ذلك لهجة قريش، اكتسبت من الشهرة ما اكتسبته هذه القبيلة من الشهرة والقراءة الشاذة وهي رغم قلة ذبوع لهجاتها بموافقة قبيلتها فهي تقدم على مصادر الاستشهاد الشعرية والنثرية.

¹ السيوطي، الإقتراح، المصدر السابق، ص: 85.

² أحمد عزوز، موقف اللغويين والنحويين من القراءات القرآنية الشاذة، المرجع السابق، ص: 36.

³ علم الدين الجندي، مجلة المجمع (مقال الصراع بين القراء والنحاة)، القاهرة، ج1، ص: 143.

وهذا ما يقره سعيد الأفغاني بقوله "أنّ القراء قد أسقطوا القراءة بها لعدم وثوقهم أنّها قراءة النبي نفسه، وإنّ على علماء اللّغة والنّحو أن يعطوا عليها بالنواجد، إذا كان رواتها الأعلون عربا فصحاء وسليمة سلاتقهم تبني على أقوالهم قواعد العربية، وأنت تعرف أنّ النحاة يحتجون بكلام من لم تفسد سلاتقهم من تابعي التابعين، فإن يحتجوا بقراءة أعيان التابعين والصحابة أولى ورجحان القراءات في حجيتها اللّغوية والنحوية على شواهد النحاة عرفت قديما تعاوز العلماء"¹.

والقراءات القرآنية جميعها حجة وما يعاب على النحاة عدم استعمالهم إياها وإضاعتهم على أنفسهم وجهودهم مئات من الشواهد المحتج لها، ولو فعلوا حسب سعيد الأفغاني ذلك (لكانت قواعدهم أشد إحكاما)².

فالاحتجاج بالقراءات الشاذة في مسائل اللّغة أمر لا يخالف حتى وإن كانت الأدلة على درجة من الحجية لأنّ كتب التراث المتصلة بالدراسات الشرعية والدراسات اللغوية تستشهد بالشاذ في المسائل اللغوية وموقف النحاة من بعض القراءات المخالفة لقواعدهم وهم يتعاملون مع القراءات الشاذة في هذا الجانب على حسب الأصول التعيدية التي قعدها النحاة، فلكل مدرسة منهجها فما وافق المنهج، فهو حجة وما خالف المنهج فيخرج على ضرب التأويل"³.

وهذا الأصل (المنهج) اتخذ كمرجع لردّ القراءة وتضعيفها عند بعضهم وقبولها عند بعضهم الآخر، بحيث نجد بعض الكوفيين قبلوها وجعلوها كمصدر من مصادر الاحتجاج، وترفض وتضعف عند البصريين لأنّها تخالف منهجهم في قبول المصادر الاستشهادية فالنحاة يجمعون على الاستشهاد بالقرآن وقراءاته المختلفة

¹ سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المدينة الجامعية، دمشق، د.ط، 1991، ص: 75-76.

² المرجع نفسه، ص 40.

³ أحمد محمد أبو عريش الفاسي، أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية، المرجع السابق، ج 1، 1989.

وهذا ما يؤكده عبد القادر البغدادي (1093 هـ) بقوله "فكلامه جل جلاله أفصح كلام وأبلغه يجوز الاستشهاد به (المتواترة والشاذة) كما بينه ابن جنّي في أول كتابه (المحتسب) وجاد القول"¹.

ويستشهد بالقراءات الشاذة لأغراض في الدرس اللغوي وأهم ما يهدف إليه هذا الاستشهاد هو اغناء الدرس اللغوي بما يفتقر إليه وهذا ما يوضحه الشيخ المقرئ محمد فهد خاروف من خلال قوله: "مما لا شك فيه أنّ القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذ قد أغنت الدرس النحوي غنى يكاد يفوق حد الوصف وأنّها جعلت اللغويين والنحاة يُجدون في التنقيب عن تراثهم، وعلى الأخص منه الشاذ، كما لها ارتباطا وثيقا بعلم التفسير من حيث المعاني في القراءات الشاذة التي يعدّها المفسرون موضحة ومفسرة لوجوه القراءات الصحيحة ومحل ذلك كتب التفسير"².

يمكن القول أنّ الثراء الحقيقي الذي أضافته القراءات الشاذة هو القواعد النحوية المتمخضة عن هذا الاستشهاد والتوجيه والتصوير الذي مسها وحتى وإن كانت هذه القواعد قد سبق ذكرها في الأبواب النحوية فما أفرزته القراءات الشاذة أصبحت أكثر خصوصية ودقة ووضحت بعض ما كان يرى غامضا وشاذا عن لغة العرب ولهذا كان اللغويون يستشهدون بالقراءات ونحوها ويشرحون من معاني لغوياته، وكان الأدباء يغترفون من هؤلاء في أشعارهم وشرح قصائدهم ولماذا؟ وقد أجمع الناس على أنّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن.

¹ عبد القادر بن عمر البغدادي، خزائن الأدب، تح: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان / ط1، 2003،

ج1، ص: 09.

² فهد محمد خاروف، كتاب المسير في القراءات الأربعة عشر، د، ط / د، ت، مقدمة الكتاب.

أ-موقف البصريين من الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية: أعطى البصريون اهتماما بالغاً للقراءات القرآنية ولا ريب أن يجعلوها من المصادر الأولى التي يعتمد عليها الاحتجاج في دراساتهم اللغوية وكذلك باعتبار الرعيّل الأول من النحاة ومعظمهم قراء بالدرجة الأولى حاولوا فيه أن يعتمدوا على ما يملكونه من رصيد قرآني لبناء قواعدهم ومنهج مدارسهم وكان البصريون شديدي الإسراف في التأويل والتقدير لما يخالف قواعدهم اللغوية ومنهجهم العام من القرآن الكريم، وهذا التأويل يقودهم في غالب الأحيان إلى تناسي ما هو من نص قرآني، حتى يبدوا الانسجام والتوافق النص القرآني ونهجهم المتبع والذي كانوا يعجزون عن تأويله ويرمون بالخطأ والسبب راجع لمخالفته لقواعدهم، وهذا ما كان يعاب عليهم بالدرجة الأولى -التشدد في الالتزام القواعد النحوية- وهذا رأي مهدي المخزومي الذي يقول أنهم: "يلجئون إلى التأويل عند مواجهتهم قراءة من القراءات السبعة لا سبيل إلى إنكارها وتغليط ما عداها"¹، ما هو ضمن التسبيع القرآني يأول و ماعدها يرمي بالغربة والشذوذ ولكن هذا القول سيتداركه شوقي ضيف بقوله: (ينبغي أن نعرف أنّ القراء ومن تابعهم من البصريين، لم يكونوا يقصدون إلى الطعن على القراء وإنّما كانوا يثبتون ويتوقفون في مواقف التوقف، حين يُعييهم أن يجدوا للقراءة الشاذة على عامة القراء ما يسندها من كلام العرب)².

ولقد اشتهر وشاع عن البصريين التشدد في قبول الشاذ الخارج عن الصحيح المتواتر وهناك من يرى: "أنّ الاحتجاج بالقراءات الشاذة والقياس عليها، واعتبارها أصلاً من أصول الاستشهاد، فهو ليس من منهج البصريين، لأنّهم لم يكونوا يعتبرون من القراءات حجة إلا ما كان موافقاً لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة، فإن خالفها ردها"³. باعتبار القواعد النحوية عند البصريين ثابتة لا يجوز المساس بها والخروج

¹ مهدي المخزومي، المدرسة الكوفية ومنهج في دراسة اللغة والنحو، المرجع السابق، ص: 314.

² شوقي ضيف، المدارس النحوية، المرجع السابق، ص: 223.

³ المدرسة الكوفية ومنهج في دراسة اللغة والنحو، المرجع السابق، ص 384.

عليها، وقد درجوا على تطويع اللّغة للقاعدة لا العكس وهذا النهج اللغوي أعطى القاعدة اللغوية خصوصية أثبتت على البصريين في تعاملهم مع ظواهر، لأنّهم أرادوا مع ذلك كله حصر اللّغة الصحيحة فأهملوا ما يسمى شاذاً¹.

وكذلك يقول التواتي بن تواتي عن البصريين: أنّهم لم يستقرئوا كل القراءات القرآنية التي تمثل أفصح لغات العرب حتى وإن شذت وهذا رأي إذا أمكن الركون إليه إلا أنّه لا ينطبق على جميع النحاة القدماء وما أبعد البصريون ما اعتبروه شاذاً في بناء قواعدهم اللغوية بعكس القدماء أمثال سيبويه والخليل الذين سنعرض لهم فيها يلي:

***سيبويه: (ت 180 هـ) :** هو أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه هو شيخ نحاة البصريين الذين كانوا يخضعون القراءات لأقسيّتهم وإجماعهم وأصولهم المعتمدة وإن كانت عن القراء الذين اعتمدت قراءاتهم، ونقلت نقلاً متواتراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم ولم يعب قارئاً ولم يخطئ قراءة بل كان يذكرها ويبين وجهها من كلام العربي واللغوي ما ورد عن العرب، وإن كانت من القراءات المفردة لا يخطئها ولا يخطئ القارئ بها، وإنّما يحاول تخريجها على إحدى لغات العرب، لأنّه يرى اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة وإن قل من يتكلم بها ولا يرى المتكلم بها مخطئاً² وهذا ما يبين اعتماده في "الكتاب على القراءة المتواترة والشاذة، فالأخيرة وإن منعت القراءة بها

¹ عبد العزيز برهان، القراءة في الكتب السبعة وتوجيهها نحويًا، جامعة أم القرى مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1982، ص: 31.

² جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، دار المعرفة الجامعية، د، ط/2005، ص: 210.

إلا أنها من حيث الرواية أوثق من الشواهد اللغوية الأخرى، فصنيع سيبويه، صنيع محمود في هذه الناحية، فما وجه إليه بشأن الطعن ناتج عن عدم ذكره لبعضها فأغلب الظن أنها للمتصل إليه¹.

وهو كان يقدر القاعدة النحوية ثم يحتج بالقراءات القرآنية المتواترة والشاذة من أجل إثبات صحتها وكما يتناول القراءة الشاذة ثم يرجح بينهما ويبين غيرها من القراءات ثم يختار ما يراه موقفا للعربية ولكن كان دائما يبقي قراءة الجمهور هي الأرجح ويصف ما عداها بالشاذ وبالقليل والنادر ونجد هذا في كتابه حاضر، وفي هذا يقول أحمد عزوز: "فكان يستشهد لها ويوجهها وقد يختار القراءة الشاذة أحيانا وأحيانا يختار قراءة الجمهور وهذا ما يصرح بموقفه اتجاه الشاذ"².

ويشهد لسيبويه أن: "من موقفه من القراءات (صحيحة وشاذة) موقف معتدل وقد استشهد بها واستخلص منها القواعد، وقاس عليها كلام العرب أو قاسها على كلام العرب، فهو لم يخطيء قراءة ولم يلحن قارئاً ولم يرجح قارئاً من القراء على غيره بل كان يؤيد القراءة أو يؤولها أو يرجحها من غير أن يعتمد شخصية القارئ في ذلك، سواء الذي أورد اسمه في القراءة أم لم يرد، أكان من القراء السبعة أو العشرة أو تواترت قراءاته أم كانت من الآحاد أم من الشاذ، فهو لا يشير إلى نوع القراءة ولا إلى منزلة القارئ أو مذهبه بصري كان أم كوفي أم مدني، أم مكّي"³.

***الأخفش (سعيد بن مسعدة 211هـ):** كان يسمى بإمام الخلاف كان في الاحتجاج للقراءات الشاذة، كان يرفض القراءة المشهورة في بعض الأحيان ويصفها باللحن والرداءة وكان كثيراً ما يرجح القراءات

¹ صلاح محبوب محمد التنفازي، موقف النحاة من القراءات، دراسة تأصيلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ماليزيا، ص 102-103.

² محمد أحمد عزوز، موقف اللغويين من القراءات، المرجع السابق، ص: 78.

³ خديجة حديثي، موقف سيبويه من القراءات والحديث، المرجع السابق، ص: 224.

المشهورة على الشاذة. وكان أغلب الأحيان يخضعها لمقاييسه ويقبل بعضها ويرفض بعضها الآخر¹ وكان يوجه عند الحاجة القراءات الشاذة وعند توجيهها يضعفها في التماس التوجيه لها ويردها ويخطئ القراء ويرميهم بالجهل.

*المبرد: هو (أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمر ولد 210 هـ) فكان في احتجاجاته للقراءات الشاذة مبني على إخضاع هذه القراءات باختلافها إلى مقاييسه النحوية، ضاربا للصفح عن سندها متعاليا بضرورة التحليق بالأسلوب القرآني. وحمله على أشرف المذاهب في العربية²، ودعا في موضع من كتابه (الأشباه والنظائر) إلى تجنب الاحتجاج بالشاذ لما في ذلك من ضرورة على اللغة والنحو ومن هنا كان قوله المعروف "إذا جعلت النوارد والشواذ غرضك كثرت زلاتك"³، ووصفها كذلك باللحن والغلط والقبح وعدم الجواز.

*موقف الكوفيين من الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية: وكان منهج الكوفيين يتميز بالاتساع والتساهل، وأقل تشددا في الأخذ عن العرب والاستشهاد بلغاتهم ويتمثل منهجهم في الاحتجاج بالقراءات متواترها و شاذها⁴.

وكانت القراءات تعتبر مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، بعكس البصريين الذين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم، وأقسيتهم، فما وافق منها أصولهم بالتأويل قبلوه

¹ يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف دجاني ومحمد علي النجار، دار الكتب القاهرة، 1955، ص: 329.

² محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار النهضة، مصدر: د.ط، د.ت، ج3، ص: 39.

³ جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دائرة المعارف، ط2، 1360، ج3، ص: 49.

⁴ خديجة حديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001، ص: 138.

وما أبأها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشواذ كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها¹.

وهذا الفارق بين منهج المذهبين التشدد والتساهل هذا من باب التوسع في الرواية وهو ما يبدو من خلال رأي مهدي المخزومي أنّ الكوفيين كانوا أكثر قبولا للقراءات من البصريين.

وقد "اعتد الكوفيون بالقراءات التي وصلت إليهم سواء كانت من القراءات السبع أم من غيرها، فقبلوها واحتجوا بها، وبنوا على ما جاء فيها كثيرا من أصولهم وأحكامهم، فلم يرفضوا أو يغلطوا فيها شيئا وإن كانت لا تخضع لمقاييس البصريين أو لا تتدرج في أصولهم واكتسبت هذه النصوص أعني القراءات الأهمية والهمة من الوحي الذي نزل بها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبخاصة تلك النصوص التي لها أهمية دينية أو تاريخية أو تراثية مما جعلهم لا يرون شيئا يسمعون عنه العرب احتراما لذلك الموروث فينوب على البيت أو البيتين أو القراءة وإن كانت شاذة"².

ويرى المخزومي أنّ (القراءات المختلفة حتى الشاذة منها من مصادر دراسات قراء ويستشهد بها ويحتج بها)³.

والكوفيون يأخذون بالقراءات السبع وغيرها من القراءات يحتجون بها فيما له نظير من العربية ويجيزون ما ورد مما خالف الوارد من العرب، ويقيسون عليها فيجعلونها أصلا من أصولهم التي يبنون عليها القواعد

¹ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، المرجع السابق، ص: 384.

² إبراهيم سلطان، عواد المساعدة، الاستدلال بالقراءات القرآنية (في كتاب الخصائص) لأبي فتح عثمان بن جني الموصلي، جامعة آل البيت، ص: 23.

³ مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ط2، 1958، ص: 314.

والأحكام وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع عليها القراء فلا يرفضون غيرها ولا يغلطونها ومن بين هؤلاء الكوفيين:

***الكسائي:** أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي النحوي، انتهت إليه رئاسة القراء في الكوفة بعد حمزة الزيات، وأخذ القراءة عن حمزة وكان إمام الناس في القراءة في عصره فأخذ الناس عنه وكان يحتج بالقراءات الشاذة، لى اختلافها وكان لا يطعن في القراءة ولو كانت بعيدة (شاذة ونادرة) بل كان يجد لها مخرج حتى يجعلها مقبولة في الاستعمال النحوي واللغوي¹، ولم يرد من القراءات النادرة المخالفة للمصحف بل كان يقبلها جميعا ويوجهها وفق مذهبه النحوي ويبني من خلالها بعض القواعد الجديدة².

***الفراء:** يحيى بن زياد (207 هـ) هو نحوي شغف بلغة القرآن وقراءاته بل كان من أكثر النحاة ولعا بفنونه ومن أقواله (الكتاب أعرب وأقوم في حجة من الشعر)³، والقراءات تتضمن القراءات المشهورة وما خلى بعضها إلاّ أعمل فيها مقياسه فأباها، وإنّ موقفه العام التسليم والإجلال، أمّا غير المشهورة فهي عنده ثلاثة أنواع، الحروف المخالفة والقراءات الأحادية وغير المشهورة والوجوه النحوية التي أجازها في الآيات وكانت فيها القراءات شاذة⁴، وكان يحتج بالقراءة الشاذة ويوثقها متفقا في هذا مع منهج الكوفيين⁵.

¹ نعيم مرجان، أثر القراءات النحوية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين، مج28، ص: 26.

² محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1990، ص: 30.

³ معاني القرآن، المصدر السابق، ج1، ص: 14.

⁴ المصدر نفسه، ص: 14.

⁵ إبراهيم بن عبد الله الزهراني، توجيه القراءات عند القراء من خلال كتابه معاني القرآن، ماجستير، جامعة أم القرى السعودية، 1427 هـ.

***ثعلب:** أبو العباس أحمد بن يحيى (391 هـ): تبع أساتذة الكوفة في كل ما يقولون وسار على نهجهم في النظر إلى القراءات بل كان يفوقهم احتراماً لها وكان ضمن دائرة قبول القراءات المشهورة منها والنادرة¹، ويقال "إذا اختلفت الأعراب في القراءات لم أفضل فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى"². وهو كان على أساليب سابقه في معالجته للقراءات بنوعيه (المشهورة والنادرة) بحيث يخضعها للقياس ويطويعها للاحتجاج بها فيما يناسب الموضع.

3- موقف البغداديين من الاحتجاج بالقراءات الشاذة:

المدرسة البغدادية ذات المذهب الانتخابي قويت هذه المدرسة بعد ظهور أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جنّي منهجها اختياري وهناك من يقول أنّ الفارسي بصري نتيجة المصطلحات البصرية التي قد طغت في أواخر القرن الثالث الهجري على المصطلحات الكوفية عنده³.

***الفارسي:** هو من الذين أكثروا الاستشهاد بالقراءات القرآنية وكان عازماً على تأليف كتاب في القراءات الشاذة يحتج بها ويدافع عنها إلاّ أنّه حل أجله وتولى عنه هذا تلميذه ابن جنّي وقال هذا الأخير على أنّ (أبا علي رحمه الله قد كان وقت ذلك قد حدث نفسه بعمل للاحتجاج للقراءات الشاذة وتأديتها وهم أن يضع يده فيه ويبدأ به فاعترضت هذا خوالج الدهر دونه) وكان يرجح بعض القراءات على بعض في المواضع عند كثير من القراء لهذه الآية أو لسبب غير هذا أمثال مخالفة نظائرها أو جريانها على ظاهرة

¹ مزيد اسماعيل وفائيل أنيس مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين، 2006، مج 28، ص 121.

² الاتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج1، ص 83.

³ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص 34.

اللفظ والقراءات بصفة عامة تشكل له ثروة لغوية كبيرة بحيث كثر اهتمامه بها وناقشها واحتج لها ودافع عنها في مؤلفاته وأهمها كتاب الحجة¹.

فاعتد الفارسي بالشاذ راجع لإيمانه العميق كغيره من اللغويين بأنّها من لغة العرب لا مانع من الاستشهاد بها، وموقفه لا يمكن حصره في اتجاه واحد وإنّما تراوح بين التضعيف والتوجيه والدفاع والتلحين والخطأ²، وقيل أنّ الفارسي: "أجرى مقاييس العربية على القراءات المروية، وأصدر أحكام الحسن والقبح على هذه القراءات بمقدار ما لها من جريان على القياس فما اتفق عليه من القراءات مع تلك المقاييس كان أحسن وما لم يتفق كان رديئاً، ثم إنّه يعتد بآراء النحاة فيأخذونها ولا يعتد بالقراء السبعة إذا خالفوا في قراءاتهم مذهب النحوي متبعاً في ذلك مسلك القياس والنظر ولا مسلك الرواية والأثر"³.

*ابن جنّي: مذهب هو مذهب اختياري إلّا أنّ هناك من يرى أنّ مذهب ابن جنّي بصري ومن الذين أقرّوا ببصرية مذهب فاضل السامري بقوله: "ابن جنّي هو بصري المذهب وليس بكوفي"⁴، وعبد الفتاح الشلبي بعد عشر سنوات من ظهور دراسة الأول يعلق على الموقف الأول بقوله أنّ "هذا الباحث يرى أنّ ابن جنّي كشيخه أبي علي الفارسي بصري والحقيقة أنّ كلا منهما بغدادي ولكن موقفه من القراءات (متواترها وشاذها) كان متميزاً عن كوفي أو بصري رغم التقاء موقفه معهما في بعض الأحيان إلّا أنّ موقفه طبعته الخصوصية إذا ما قورن بهما"⁵.

¹ خزانة الأدب، المصدر السابق، ج2، ص: 415.

² أبو علي الفارسي، الحجة في القراءات السبعة، تح: بدر الدين القهوجي، دار المأمون، دمشق، د.ط، 1984، ص: 259.

³ عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط1، 1409-1989، ص: 242.

⁴ المرجع نفسه، ص: 242.

⁵ المرجع نفسه، ن.ص.

والقراءات الشاذة تعتبر مصدرا مهما من مصادر المادة اللغوية هذا ما أثبتته ابن جنّي من خلال كتابه المحتسب ودافع عنه في كتابه هذا ويعبر عن موقفه كما سيظهر من خلال التعريف به ودراسته فيما بعد فدافع عنها واحتج لها ووجهها لغويا وهذا كما وضع محمد أحمد الصغير أنّه: "صادر عن إيمانه العميق بقوة الشواذ"¹.

ودافع عن موقفه هذا بكل ما يملكه من مقدرة علميّة وثقافيّة وكان يحاول أن يوجهها وأن يعثر لها عن وجه في العربية وهذا ما جسده في كتابه (المحتسب) وموقفه هذا لم يكن موحدا ومتماسكا بل كان مختلفا فمرة يتحمس ويدافع وهذا ما كان يهدف إليه من خلال كتابه، ومرة أخرى يضعف ويطعن ولكن ليس بكثير ولكن موقفه العام هو القبول والأخذ بها².

وقد قال عن هذا الشاذ (ولعله أو كثير منه مساو للفصيح المجمع عليه)³، وأنّه (أخذ من سمت العربية مهمة ميدانه)⁴، وأعرب عن الأخذ بقوله (أنّه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه وإنّه حبيب إليه)⁵، وابن جنّي دافع عن القراءات الشاذة واحتج بها في العربية ولكنه "تفر من القراءة بها لشذوذ سندها سندها وخلافها للقراءات المتواترة"⁶.

¹ محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: 235.

² المحتسب، المصدر نفسه، ج1، ص 35.

³ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص 32.

⁴ المحتسب، المصدر نفسه، ج1، ص 33.

⁵ المصدر نفسه، ن ص.

⁶ التواتي بن التواتي، قراءات قرآنية وأثرها في النحو والفقه الإسلامي، المصدر السابق، ص: 249.

الفصل الثاني :

المنهج النحوي العربي

المبحث الأول : المنهج النحوي العربي

1- تعريف المنهج النحوي:

1-1- تعريفه:

***لغة:** لقد جاء في لسان العرب في مادة نهج : طريق نهجيين واضح وهو النهج: وطُرُق نهجة، وسبيل منهج، كالمنهج، ومنهج الطريق: وُضوحه والمنهاج كالمنهج .

وأنهج الطريق: وضّح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا، قال يزيد بن الحذاق:

وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقَ وَ أَنْهَجْتَ سَبِيلَ الْمَكَارِمِ وَ الْهُدَى تَعَدَّى .

أي تعين وتقوى.

والمنهاج الطريق: الطريق الواضح واستنهج الطريق صار نهجا وفلان يستنهج فلان، أي يسلك مسلكه.

قال ابن الأعرابي:

أَنْهَجَ فِيهِ الْبَلَى أَعْلَى عَلَى ذِي الْحِيلَةِ الصَّانِعُ

ولا يُقال: نهج الثوب ، ولكن نهج وأنهجت الثوب وهي منهج أي أخلقته، قال أبو عبيدة ابن المثنى(ت

209م): الثوب المنهج الذي أسرع فيه البلى¹ .

وجاء في تاج العروس: مادّة نهج بفتح السّكون: الطّريق الواضح والبيّن، وهو النهج: محرّكة أيضا والجمع

نهجات ونُهْج ونهوج.

¹ أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، القاهرة، مج 6، ص: 245 مادة نهج.

طرق نهجه، كالمَنْهَج بالفتح والمنهاج بالكسر والمنهاج: الطَّرِيق الواضح.

والتَّهَج: بالتَّحريك والنهجة النفس الأخير عن الليث الدهر: بالضم هو الرِّبُو (وتتابع النَّفس).

محرَّكة، من شدَّة الحركة، يعلو نفس الإنسان والدَّابة.

قال الليث: ولم أسمع منه فعلا، وقال غيره: (الفعل) (كفرح وضرب).

وأكرم وفي الحديث: أنه رأى رجلا ينهج، أي يرجو من السن ويلبث، نهجت أنهج نهجا ونهج الرجل نهجا، وأنهج ينهج انهاجا وفي التهذيب: نهج الإنسان والكلب: إذا ربا وانبهر بنهج نهجا، قال ابن برزخ: إروت حتى نهجت، وهي ناهج في شدة نفسها، وأنهجتا أنا وهي مُنْهَجَة، قال شُمَيْل: إنَّ الكلب ينهج من الحرِّ، وقد نهج نهجة ، وقال غيره نهج الفرس حين أنهجته أي ربا حين صبرته إلى ذلك وأنهج الأمر الطَّرِيق (وضَّح) وأنهج (أوضح) .

وأنهجتُ (الدَّابة): إذا سار عليها حتى انبهرت وأعيت، ونهج الأمر كوضع و (أوضح) يقال أعمل على ما نهجته لك، نهج وانهج بفتحيتين ونهج الطَّرِيق: سلكه.

واستنهج الطَّرِيق: صار نهجا واضحا بيِّنا (كأنهج) الطَّرِيق إذا وضَّح واستبان¹.

*تعريفه اصطلاحاً:

هو مجموع الأصول النحويّة المنهجية التي قامت عليها القواعد النحوية ، والتي اتَّبَعَهَا ابن جَنِّي من ناحية التقرّد والجمع والكثرة والربط، وتمثل عنده صميم التشذيب وتضعيف لكثير من القراءات كما سنرى من خلال المدونة، ونجد المدونات القديمة اتخذتها الأساس الأول لبنائها ممّا يدلّ على أنّ المنهج النحوي

¹المصدر السابق، ن ص.

، هو مشترك بين القدماء في المعنى في أغلب الأحيان، لكن التنوع في الاستعمال والمقدار جعل المنهج النحوي يختلف من عالم إلى آخر في اللغة والنحو. وهذا قصدنا عند ابن جنّي ولكن المنهج النحوي عند آخرين هو كيفية استعمال القواعد النحوية ونظرة النحاة إليها والتي تختلف كذلك من عالم إلى آخر وهو شائع بين مستعملي مصطلح المنهج النحوي، ولكن قصدنا في هذا البحث هو الأصول النحوية وكيفية توظيفها في قراءة التراث¹ وإيضاحه وتوجيهه وأصول النحو كما هي معروفة أدلة النحو².

2- بؤادر منهج النحو العربي:

كان منذ بداية الحركة النحويّة ما يعرف بأصول التفكير النحوي، وهذا المصطلح الذي نستخدمه ونقصد به دراسة الخطوط الرئيسيّة العامة التي سار عليها البحث النحوي.

والتي أثرت في إنتاج النحاة وفكرهم على السواء، وهذه الخطوط العامة قديمة جدًا في البحث النحوي العربي، منذ أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني.

أمّا علم أصول النحو فهو المحاولة المباشرة من النحاة لدراسة هذه الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحوي، وأمّا محاولة السيوطي فهي محاولة متأخرة بفترة طويلة وهو يقول "طريق المبنى ولم تسمح قريحة بمثاله"، ولم ينسخ ناسخ على منواله في علم لم أسبق إلى ترتيبه ولم أتقدّم إلى تهذيبه وهو أصول النحو الذي هو إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه، وإن وقع في متفرقات كلام بعض المؤلفين وتشتّت

¹ المقصود بالتراث في هذا المقام القراءات (بما فيها الشاذة) والتي تعتبر من التراث العربي ومقام لتأصيل هذه اللغة ومصدر أساسي من مصادرها.

² الاقتراح، المصدر السابق، ص: 2.

في أثناء كتب المُصَرِّفين، فجمعه وترتيبه ومخترع وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع لأبرز في كلّ حين للطلّابين ما تبتهج به أنفس الرّاعبين¹.

وهو يرى أنّ له سبق الإبداع في وضعه لعلم أصول النّحو الذي لم يسبقه أحد ولم ينسخ مثله أو على منواله أحد، فهو يُقرّ بعدم اطلاعه ولا اعتماده على كُتب السّابقين له أمثال: ابن جنّي وابن الانباري ولكن "السيوطي" ادعى أنّه لم ير كتاب اللّمع لابن الأنباري ولم يطلّع عليه: إلّا بعد فراغه من كتابه وفي هذا تناقض في قوله، إذ أنّ السيوطي يصرّح أنّه لم يطلّع على كتاب ابن الأنباري إلّا بعد فراغه من كتابه، ثم يرى أنّه استفاد منه ولكن القصد وفيما يبدو هنا أنّه لم يطلع على كتاب اللّمع إلّا بعد الفراغ من كتاب الاقتراح، فهو لم ينف الاستفادة مطلقا من كتاب اللّمع²، ويُقرّ كذلك باعتماده على الخصائص³، ولكن "غير أنّ كتاب الخصائص وإن تثارثت فيه المباحث ومسائل أصول النحو وطغت عليه الأمثلة المستقاة من النحو والصّرف وفقه اللغة، قد تضمن كثيرا من مسائل أصول النحو وأدلّته، وقد استند ابن الأنباري والسيوطي إليها في تأليف كتابيهما ولم يخفيا ذلك"⁴ وثمة مفهومان لأصول النّحو:

(1) -يعني القواعد الأساسية التي يقوم عليها النحو العربي، ويمكن اعتبارها كمعيار أساسي للحكم على صواب هذا الكلام أو خطأه.

(2) -يعني "أدلة النّحو التي تفرّعت منها فروع وفصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلّة الفقه التي تنوّعت عنها جملة وتفصيلا، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضيض

¹ المرجع السابق، ص: 5، 6.

² محمد الحباس، المرجع السابق، ص: 54.

³ الاقتراح، المصدر السابق، ص: 6.

⁴ مخلوف بن لعلم، مبادئ في أصول النحو، تيزي وزو، د.ت/ د.ط، ص: 12.

التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل، فإنّ المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصّواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض الشك والارتباب¹.

ولكن نستنتج مما سبق أنّ أصول النّحو ما هي إلا الأسس المنهجية والأدلة الإجمالية التي قام عليها علم النّحو.

وأنّ علم أصول النّحو مبادئه متقدمة ولكن وجوده كعلم كان متأخر، فمن الناحية التطبيقية وجد منذ وجود النّحو نفسه وتطبيق أصوله وأسس قديمة قدم النّحو لأنّه كما يقال ويعرفه محمد العيد بأنّ " أصول النّحو يُراد بها الأسس التي بني عليها هذا النّحو في مسائله المتنوعة وتطبيقاته التي استطاعت توجيه عقول النّحاة في آرائهم وخلافهم ووحدتهم، وكانت هذه المسائل والتطبيقات لمؤلفاتهم أساسية لا سبيل إلى التخلي عنها أو تجاوزها"².

ويعرفه السيوطي بقوله بأنّه:"بحث فيه عن أدلة النّحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال لها وحال المستدل"³.

وترى خديجة الحديثي أنّ:"هذا كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا من كُتب النّحو وقد جمع في مؤلفه أكثر علوم العربية كالأصول اللغوية والصّرف والنّحو والقراءات والضرورات الشعرية، ويُعدّ أهم مصدر في دراسته النّحو العربي الذي تضافرت على بنائه الأجيال وإليه يرجع الدّارسون في كلّ ما يكتُبون عن النّحو وأصوله وعن الأساليب العربية"⁴. وتقول كذلك في حديثها عن استصحاب الحال " يظهر هذا أنّ سيبويه

¹كمال أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة في أصول النّحو، تح: سعيد الأفغاني، بيروت، ط 2/ 1972، ص:80.

²محمد العيد، أصول النّحو، ط 2، ص: مقدمة.

³الإقتراح، المصدر السابق، ص: 65.

⁴خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، 1974-1394 هـ، مطبوعات جامعة الكويت، ص:29.

استفاد من هذا الأصل كثيرا، واعتمد عليه اعتمادا كبيرا، وتستطيع أن تستنتج منه: أنه أحد الأدلة المعتبرة في نظره كالسَّماع والقياس وإن كان أضعف منها، لأنَّ ما كان فيه دليل عن سماع أو قياس على نص مسموع معتبر صحيح هو الأصل في الكتاب ومع ضعف هذا الأصل فنحن نراه يبني كثيرا من الأحكام ويضع العديد من القواعد معتمدا عليه، كما يرد بعض أراء النحاة أو يضعها أو يمنعها مُستندا في ذلك إليه¹.

وكما هو معروف فإنَّ مصطلح الأصل هو الدَّعامة التي يتركز الشيء عليها والقاعدة التي تجمع عناصر الشيء المتعددة والأجزاء المختلفة².

ولقد ظهر مصطلح الأصول في أوله في بيئة علماء الفقه قبل ظهوره في بيئة علماء النحو، وأصول الفقه نشأ في أوج الحضارة العربية الإسلامية، وقصد منه وضع القوانين التي يتأسس عليها استنباط الأحكام التي تتجدد بتجدد الأحداث والوقائع، وذلك بحسب اختلاف الظروف³.

وهناك علاقة وطيدة بين علم أصول الفقه وعلم أصول النحو: يتَّضح من خلال المؤلفات في الفقه (في علم أصول الفقه) والمؤلفات النحوية المُخصَّصة لأصول النحو علاقة واضحة وذلك من خلال المصطلحات، بحيث تظهر كتأثير مباشر للفقه في أصول النحو "فالمصطلحات النحوية المأخوذة من

¹ المرجع نفسه، ص: 464.

² محمد أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، الضبط والتخريج: مصطفى ديب، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1994، ص: 20 مادة (أصل).

³ سعيد شنوفة، في أصول النحو العربي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008، ص: 12.

القرآن الكريم وفي الأقوال المذكورة لبعض أعلام النحو، ناهيك عن العلاقة بين علم النّحو وعلم أصول الفقه وثيقة الصلة بينهما وبين غيرهما من العلوم والفنون مثل: علوم الكلام واللغة والحديث والقراءات¹.

وأصول الفقه كان منشأها على يد الشافعي التي يرى سعيد شنوفة أنّه: "ازدادت المناهج تميزاً في عهد الأئمة المجتهدين إلى أن جاء الإمام الشافعي (150 هـ - 204 هـ) فوجد أمامه ثروة كبيرة خلفها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكابر التابعين، ومن سبقهم، فعمل على تدوين القواعد التي ارتكزت عليها وهي التي عرفت بعد ذلك بأصول الفقه"².

ويقول محمد الحباس أنّه: "إذا اعتبرنا أصول النّحو هي الكليات العامة التي تنفرع عنها الجزئيات، وخاصة ما يتعلق منها بأدلة النّحو التي استنبطها النحاة وكانت مشابهة لأدلة الفقه، إذا اعتبرنا هذا فإنّ تطبيق هذه النظرية نجده في زمان مبكر خاصة مع مجيء عبد الله ابن أبي إسحاق واهتمامه بالقياس والقياس من صميم الدّراسات الأصولية، كما أنّ أبا عمرو بن العلاء يعتبر ممّن أسسوا فن السماع وطُرق جمع اللّغة، وهذا مبحث أصولي كذلك"³.

وهذه المشابهة التي وجدت بين العلمين منطلقها التأثير الحاصل بين علم أصول النّحو وأصول الفقه.

والأئمة الأربعة كانوا قبل من كتبوا في الأصول وهؤلاء الأئمة:

- الإمام أبو حنيفة (80 هـ - 150 هـ)

- الإمام مالك (95 هـ - 179 هـ)

¹ في أصول النحو العربي، المرجع السابق، ص: 13.

² المرجع نفسه، ص: 13.

³ الحباس، المرجع السابق، ص: 51.

- الإمام الشافعي (150 هـ - 204 هـ)

- الإمام أحمد بن حنبل (164 هـ - 241 هـ).

هؤلاء وضعوا علم أصول الفقه وأسّسوا قواعده، ويظهر ذلك بجلاء أنّ علم أصول الفقه سبق النّحو وأصوله، ومنه يتأكّد تأثير أصول الفقه في أصول النّحو، لأنّ علماء أصول الفقه هم أنفسهم النّحاة في الغالب، بتلك المرحلة يذكر أحمد عمر المختار: "أنّ البحث النّحوي عند العرب لم يكن من الدراسات المبكّرة لأنّهم اهتموا بالعلوم الشرعية أولاً ولمّا فرغوا منها اتجهوا إلى علوم أخرى"¹.

ولقد كان أوائل النّحاة من القُرّاء أو ممّن اشتهروا بالدراسات القرآنية كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) وعيسى بن عمرو الثقفي (ت 149 هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ) ويحيى بن حمزة الكسائي (ت 170 هـ) ويحيى ابن زياد الفراء (ت 207 هـ) وغيرهم من الكوفة، وهذا ما جعلنا نستنتج حقيقة تأثر النّحاة بأصول الفقه على اعتبار النّحو وليد التفكير في القرآن الكريم، لأنّ هؤلاء لم ينكروا منذ البدء في دراسة علم يبحث في علل التّأليف وحدود أصولها، وإنّما توصلوا إلى ذلك بعد أن نضجت لديهم الفكرة وهم يقومون بعملهم القرآني ونريد أن نحصر جوانب التأثير في موقفين:²

(1) استعارة مصطلحات كثيرة من بعض المصطلحات الفقهيّة

(2) القياس والتعليل ويمتد إلى مبادئ وأسس ثانوية أخرى.³

¹ سعيد شنوفة، في أصول النّحو العربي، المرجع السابق، ص: 17.

² المرجع نفسه، ص: 18.

³ نقصد بالأسس الثانوية، النقل، الاستصحاب، الإجماع.

نرى أنّ ابن جنّي في كتابه الخصائص قد صرّح بعلاقة أصول النحو بأصول الفقه وقارن بينهما في مقدمة كتابه الخصائص حيث قال في معرض حديثه عن سبب تأليف كتابه "وذلك لم نر أحدا من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه"¹.

ويعتبر ابن السراج أوّل من ألف في هذا أو أوّل مؤلف يحمل اسم هذا العلم وإن كان عنوانه يدل على أصول النحو إلّا أنّ المضمون لا يحمل إلّا الشيء القليل الذي يدلّ على أصول النحو كما قال عنه ابن جنّي: "لم يلم فيه بما نحن عليه إلّا حرفا أو حرفين في أوّله"².

وكان هناك من قال شيئا في هذا الباب هو أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 210 هـ) في كتابه المقاييس والذي قارنه ابن جنّي بكتابه فقال عنه: "وإذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أنّ نُبنا عنه وكيفناه كفاية التعب"³.

ومن يرى ويتصفّح كتاب ابن السراج يرى أنّ وُرد هذا العنوان كان عارضا لأنّ المضمون لا يحمل ولو بابا من أبواب أصول النحو.

ولكن بداية علم أصول النحو كانت مع ابن السراج الذي يرى الدكتور سعيد شعبان " أنّه من محاولات هذا العلم المبكرة ما أورده ابن السراج في أصوله من إشارات وغيرها من أصول النحو"⁴.

¹الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص:2.

²الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص:302.

³المصدر نفسه، ص: 2-3.

⁴المصدر نفسه، ص:2.

ابن السراج (ت316 هـ) يعتبر كتابه هذا الذي يحمل الأصول في النحو أول محاولة أو أول مؤلف يحمل عنوان هذا العلم، غير أنه لم يدرس فيه منهج البحث النحوي أو يعرض أدلته التي تستبطن الأحكام النحوية وتقدها. فما أورده لا يختلف في دلالاته على ما أورده القدماء من دلالة على الأبواب النحوية والقواعد العامة التي تحكم هذا العلم و تمنهجه.

وهو ممن أخذ عن الخليل ويوسف بن حبيب وعيسى بن عمر وسيبويه والأصمعي وأبي عبيدة والأخفش والمازني والمبرد، ومعظم هؤلاء أخذ عنهم ابن السراج ونقلت عنهم الأجيال التي جاءت من بعدهم، ثم انتهت إليه رئاسة النحو بعد موت أبي العباس المبرد وموت الزجاج، وأصبح أستاذا يُرحل إليه ويُؤخذ عنه¹.

ويقول محقق كتاب ابن سراج كذلك: "ولقد بقي على كثرة ما قبله وبعده في النحو كتاب (الأصول) أول كتاب في مضماره، فقد أثنى عليه القدماء ووصفوه بأجمل الأوصاف مثل قولهم: أصبح المرجع إليه عند اضطراب النقل واختلافه وقولهم: كان النحو مجنونا فعقله ابن السراج بأصوله أو نصوا على أنه أول كتاب جمع أصول العربية مُعتمداً على كتاب سيبويه، مُختصراً مسائله، مُرتباً أبوابه أحسن ترتيب، مُعوّلاً على مسائل الأخفش والكوفيين، مُخالفاً لأصول البصريين، وكذلك أنه أول من بوبها وهذب مسائلها وبحثها بحثاً علمياً مقارنة بين ما جاء في كتاب (تصريف المازني) وكتاب (المقتضب) للمبرد وكتاب الأخفش²."

¹ معجم الأدباء، المصدر السابق، ص: 145.

² أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسن القنيل، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت، ط3، 1996م-1417هـ، ص: المقدمة المحقق.

وبالتالي فكتابه هو أول من حمل التسمية ولكن المعنى الحقيقي لأصول النحو سيكون في (4هـ) مع ابن جنّي من خلال كتابه الخصائص، إنّ مضمونه كان غير الأصول وهذا ما يتوضّح من خلال قول ابن جنّي: "فأمّا كتاب أصول أبي بكر فلم يلّم فيه بما نحن عليه إلا حرف أو حرفين في أوّله"¹.

وقد تعرّض ابن جنّي بتأليفه هذا " بالدراسة لكثير من مباحث هذا العلم، فتحدّث عن السّماع والقياس والعلة والإجماع وغير ذلك"².

وكان بحثه أعمق، إلّا أنّه لم يُحسن تبويبها ولكن يستدرك هذا من يأتي بعده من العلماء³. لأنّه يقول: "كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت، مُلاحظاً له، عاكف الفكر عليه، منجد الرأي والرواية إليه وإذا أن أجد مهملًا أصله به، أو خلا ارتقه بمهمله والوقت يزداد بنوايه ضيقاً ولا ينهج إلى الابتداء طريقاً هذا مع إعظامي له، واعتصامي بالأسباب المنتاطة به، واعتقادي فيه أنّه من أشرف ما صنّف في علم العرب، وأذهب في طريق القياس والنظر، وأعوذه عليه بالحيطة والصّون وأخذ له من حصّة التوقير والصّون، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة"⁴.

ويرى كذلك أنّه صعب يتحاماه الناس فيقول: " فكانت مسافر وجوهه أو محاسن أذرعه وسوقه، اتّصف لي ما اشتملت عليه مشاعره، وتجيء إلى ما خيمت عليه، أقرا به و شواكله وتريني أنّ تعدد كل من الفريقين

¹ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص:3.

² خالد سعيد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك (السماع، القياس، العلة النحوية، الإجماع، الاستهجان، وقواعد استدلال، مكتبة الآداب، القاهرة، ص:11.

³ يقصد من ذلك السيوطي وابن الأنباري من خلال الاقتراح ولمع الأدلة.

⁴ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص:9.

البصريين والكوفيين عنه وتحاميه طريق الإمام به والخوض في أدنى أوشاله وخلجه فضلا عن اقتحام غماره ولججه، إنّما كان لامتناع جانبه وانتشار شعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه¹.

وليس الغرض فيه " الرّفْع والنّصْب والجرّ والجزم لأنّ هذا الأمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنّفة منه وهذا الكتاب مبني على إثارة المعاني وتقدير حال الأوضاع والمبادئ ولمن سرت أحكامها في الأنحاء والحواشي"².

وبأتي بعد هذا ابن الأنباري³ (ت577) في رسالته الأولى: الإغراب في جدل الإعراب والثانية: لمع الأدلة في علم أصول النّحو، وقدم فيهما آراء مهمّة تخصّ هذا العلم والذي خصّه كذلك ببحوث مهمّة وإضافية موزّعة بين كتابيه أسرار العربية والإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيّين⁴.

كذلك جاء بعد ابن الأنباري السيوطي بكتابه (الاقتراح في علم أصول النّحو) وبقيت فقط مسألة أثارت الجدل بين هؤلاء الثلاثة: "وتثير الخلاف وهي تحديد أدلة النحر وحصرها لأنّها موضوعات علم أصول النحر، وقد اختلف المشتغلون بأصول النّحو في تحديدها عددا ونوعا، فرأى ابن جنّي أنّها السّماع والقياس والإجماع، ورأى ابن الأنباري أنّها السّماع والقياس واستصحاب حال الأصل وجعلها السيوطي أربعة وهي: السماع والقياس واستصحاب حال الأصل والإجماع"⁵.

¹المصدر السابق، ص:9.

²المصدر نفسه، ص:67.

³أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري، المتوفى سنة 571 هـ.

⁴علي أبو المكارم، أصول التفكير النّحوي، دار الغريب، القاهرة، 2006، ص:17.

⁵المرجع نفسه، ن ص.

ثم جاء اللغويون المحدثين فاختلفوا هم في تحديد أدلة النحو كذلك استنادا إلى آراء القدماء فقال حلمي خليل ثلاثة وهي: السماع والقياس ونظرية العامل¹.

وقال محمد العيد في كتابه (أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث) خمسة أصول هي: السماع والقياس ونظرية العامل والتقدير والتعليل².

ويرى بن لعلام مخلوف بعد حديثه عن أصول النحو وتعددتها وموقف العلماء من هذا الاختلاف بقوله: "وكان بإمكان المشتغلين بأصول النحو القدماء والمحدثين تجنب كل هذه الاختلافات لو احتكموا إلى تعريف النحو في تعريف دقيق وجعلوه مقياسهم في القول بتلك الأدلة، وعندئذ فإن كل ما يستعان به على استنباط الأحكام والاستدلال عليها وإثباتها يُعدّ أصلا ودليلا من أدلة النحو، وقد أجمعوا على السماع والقياس، واختلفوا في غير ذلك لأنّ التقدير والعامل واستصحاب حال الأصل والعلة في غالب الأحيان مردّها جميعا إلى القياس، فالتقدير نفسه يقوم على القياس بل هو إجراء لعملية قياسية"³.

والفرق بين الكتابين (الخصائص) و (لمع الأدلة) يكمن في أنّ ابن الأنباري لم يأت فيه بجديد سوى التبويب والترتيب والاختصار، كما يظهر تأثره بأصول الفقه واضحا بخلاف كتاب (الخصائص) الذي يظهر فيه ابن جنّي أصيلا، رغم أنّه لم يخف تأثره بأصول الفقه كما يظهر الفرق بينهما من جهة ثانية وهي

¹ حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص: 12.

² محمد عيد، أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص: 30.

³ بن لعلام مخلوف، مبادئ في أصول النحو، تيزي وزو، د.ت/ د.ط، ص: 1.

أنّ (الخصائص) لم يُخصَّص لأصول النحو كاللمع بل وجدنا فيه ابن جنّي يسترسل في شرح الأمثلة حتى يُنسيك الأصل الذي من أجله عقد الباب، يظهر هذا جلياً في جل الأبواب¹.

ويرى محمد الحباس: "ولعلّ ما جعل ابن الأنباري يدّعي الأسبقية في وضع أصول النّحو، لأنّه لم يكن يعتقد أنّ كتاب (الخصائص) في صميم هذا العلم، ولأنّه كان يعتقد أنّ أصول النحو يجب أن تكون تابعة في المنهجية والترتيب لأصول الفقه، فلما لم يجد ذلك عند ابن جنّي أعلن الأسبقية في ذلك"².

وعندما أتى السيوطي بعد 3 قرون من بعد ابن الأنباري بكتابه إدّعى أنّ له سبق في وضع هذا العلم وهذا ما يظهر من خلال مقدمة الاقتراح، حيث يقول: "هذا الكتاب غريب الوضع، عجيب الصّنع، لطيف المعنى"³.

3- تأليف المحدثين في المنهج النحوي العربي:

هناك من جسّد في تأليفه الأصول النحوية كلّها من سماع وقياس وإجماع واستصحاب الحال والتعليل وهناك من خصّ تأليفه بأصل من أصول النحو، السّماع أو القياس أو الإجماع أو الاستصحاب أو التّعليل، وهناك من درس في مؤلّفه علاقة أساس من هذه الأسس بما هو حديث (من النظريات لسانية) وهناك من خصّه عند عالم معيّن من العلماء الذين كانت لهم شهرة في هذا، ومن بين هؤلاء الذين ألفوا في الأصول وكانت مؤلّفاتهم جامعة لأسس المنهج النحوي من اللغويين المحدثين نجد:

3-1- تمام حسان: (الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو وفقه اللغة والبلاغة):

¹ محمد الحباس، المرجع السابق، ص: 53

² محمد الحباس، المرجع السابق، ن ص.

³ الاقتراح، المصدر السابق، مقدمة الكتاب.

بحيث تناول في هذا الكتاب العلوم الثلاثة النّحو وأصوله بحيث عرّف به وبتاريخه والجهود التي بذلت فيه من طرف كلّ من البصريّين والكوفيّين، وأولى المصنّفات التي ألّفت فيه أهمية كبيرة، وهذا دليل على أهمية العلم الذي صنّف فيه الكثير فقد وقف على الكثير منها، وناقش الجدلية القائمة حول العلم أهو معرفة أم صناعة.

وتناول الأصول النحوية والتي عنون بها الكتاب والتي أعطاهما سمة التّغليب في التّسمية، فتحدّث عن السّماع وربطه بأربعة نقاط أساسية الفصحى وعلاقتها باللهجات والفرق بين لغة الشّعْر والنّثر، والرّواية والمسموع، وعرّج على الاستصحاب الذي قدّمه على القياس وأعطى حقّه حسب ما يظهر من قوله بحيث قال: " هذا الباب لم يعطه المؤلّفون حقّه من العناية عند عرضهم لأصول النّحو، فلقد أبوا عند ذكر الاستصحاب أن يكتفوا بشرح المصطلح دون الدّخول في تفصيل النّظر"¹.

وبيّن أصل الوضع في الحرف والكلمة والجملة، وأصل القاعدة والعدول عن هذا الأصل وما يترتّب عن هذا، وتناول التأويل بشيء من التّفصيل.

وبعد هذا فصل في القياس من تعريفه مروراً إلى ذكره أركانه وأنواعه وختم بأهمية ما تناوله في الباب الأول، أمّا الثّاني فخصّه لعلم فقه اللغة والبلاغة².

3-2- علي أبو المكارم: (أصول التّفكير اللغوي)

كان كتابه هذا تأصيلي لأسس منهج النحوي، إذ ناقش إشكالية مهمة تخصّ الأصول النحوية ألا وهي هل هناك علاقة تربط أصول النحو بأصول التفكير النحوي؟، وهل أصول تفكير النحو كما يقال هي أصل

¹ تمام حسان، الأصول، عالم الكتب، 2000، القاهرة، ص:7.

² المرجع السابق، ص:7، 8.

لأصول النحو؟، أو بواردها الأولى التي من خلالها قامت الأصول؟ ، وتوصل من خلال هذا البحث إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، بحيث شرح الموضوع شرحاً مفصلاً وتوصل إلى نتائج مهمة ومعلومات كانت زيادة لرصيد النحو.

بحيث عالج في التمهيد التعريف بها والعلاقة التي تربطها بأصول التفكير النحوي، ثم عرج على دراسة كل أصل وتأصيله، فدرس القياس وأصله وتوصل من خلاله إلى أن بدايته كانت استقراء ونهايته هي حالته هذه (القياس بكل ما يحمله من معنى)، مع التدليل وفصل فيه مع عملية مقارنة في مفاهيم وأبعاد والأحكام والأنواع، وتناول التحليل وتطوره التاريخي الذي خصّه بعملية تدليل واسعة وفق نماذج كانت لها. التأثير في مسار العلة النحوية والأصول الأخرى فكانت ضمنية ولكن أعطاها حقّها من هذه الدراسة¹.

3-3- سعيد الأفغاني: (في أصول النحو)

كان هذا الكتاب على شكل محاضرات تنوّعت بين الاحتجاج ومصادره (مصادر السماع) والأصول النحوية التي فصل فيها القياس، وأثر العلوم الدينية في القياس النحوي وأحكامه وتضمنين لبعض الأصول الأخرى².

3-4- السعيد شنوفة: (في أصول النحو العربي)

حاول في هذا الكتاب إعطاء كل أصل حقّه وحقيقة مضمونه انعكس على العنوان، وهو ذكر كل الأصول النحوية وبالتفصيل إلا أن إذا ما قورن بالكتاب الذي قبله لسعيد الأفغاني فعنوانه يدلّ على أن الكتاب في

¹ علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار الغريب، القاهرة، 2008، ص: 13.

² سعيد الأفغاني، في أصول النحو، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، 1419، ص: 2.

أصول النّحو ولكن لم يتناول أو لم يُعط كلّ أصل حقّه في هذه الدّراسة، فهو رجّح القياس على بقيّة الأصول وهناك أصول معيّنة.

بعكس رأي شنوفة، فهو مرّ بحديث عام عن الأصول وتأثيرها بالمذهب الفقهي.

وفصل في كلّ أصل، ففي السّماع في فصله الأوّل عرّفه وعدّد أنواعه وعدّد مصادره من القرآن الكريم وقراءاته والحديث النّبوي الشريف وكلام العرب شعره ونثره.

وخصّ الاستدلال بتعريفه وتعدد لأنواعه، بحيث عدّها وعرّف بها وحاول بعد ذلك تأريخ للقياس اللغوي من خلال ربطه بغيره من العلوم مثل الفقه ومحاولة المقارنة بين القياس المنطقي عند اليونان وهذا في محاولة لإعطاء الصّيغة العربية للقياس اللغوي العربي الذي يدّعي البعض أنّه تقليد أو أنّه كان له وجود عند اليونان وغيرها من الحضارات.

وفصل كذلك في أنواعه عند النحاة والأصوليين، وربط بينهما من خلال الإجابة عن التّساؤل الذي يطرح نفسه هل أنواع القياس نفسها عند النحاة والأصوليين؟ .

وحتّى التّدليل أرّخ له وأوضح مسالكه وطرقه التّدليليّة، وختم بحديث عن الإجماع والاستصحاب¹.

3-5- فؤاد حنا ترزي: (في أصول اللّغة والنّحو)

تحدّث عن الأصول النحوية وكان تمهيده لهذه الأصول بالإحاطة باللّغة، من المفهوم إلى التّاريخ [اللغة في الجاهلية، اللّغة في الإسلام] إلى غاية تدوينها. وجعل من بعد هذا الأصول النحوية اثنان: سماع

¹ سعيد شنوفة، في أصول النحو العربي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، مصر، 2008، ص: 216، ص: 217.

وقياس باعتبارهما الأصل، ويرى أنّ السّماع الأصل وما جاء بعده فهي فروع عليه والقياس عدد أنواعه ومفاهيمه إضافة إلى الإلمام بأبواب نحوية لها علاقة وطيدة بأصول النّحو العربي¹.

3-6- عفاف حسانين: (في أدلّة النّحو) وهذا الكتاب مثل الكتب الأصولية، بحيث ذكر الأدلّة النحوية إلّا أنّها أسهبت في الحديث عن الأدلّة من سّماع وقياس والاستدلال والإجماع والاستصحاب².

3-7- خديجة الحديثي: (الشّاهد وأصول النّحو)

وقسمت هذا الكتاب إلى قسمين: القسم الأول درست فيه الشّواهد القرآنية والشعرية والنثرية كما قالت: "حاولت أن أطبّق عليها الشّروط التي ذكرها علماء العربية كابن جني والسيوطي وأن أبحث مدى توفر الشّروط في اللّغة التي احتجّ بها الكثير من النّحاة لأرى إلى أي حدّ يمكن الاعتماد على هذه اللّغة التي أوردتها والطريقة التي اتبعها في الرواية وفي نسبتها إلى القبائل ومرتبعتها في الفصاحة والأصالة ومدى الأخذ بها"³.

والقسم الثاني كما قالت: "يتعلّق بأصول النّحو كثر الحديث عنها قديماً وحديثاً، وقد حاولت تتبّع هذه الأصول في كتاب سيبويه لمعرفة مدى تبينها فيه وإلى أيّ حدّ اعتمد عليها كبير النّحاة في بناء أسس كتابه العظيم وقواعده، وكان وقوفي أوّل الأمر عن الكتب التي بحثت أصول النّحو ومن أقدمها كتب ابن

¹ حنا ترزي فؤاد، في أصول النّحو واللّغة، دارالكتب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ص: 2.

² عفاف حسانين، في أدلّة النّحاة، المكتبة الأكاديمية، مكتبة عين شمس، 1996، ص: 238.

³ الشّاهد وأصول النّحو، المرجع السابق، ص: 40 خديجة الحديثي،

جنّي منها الخصائص ومؤلفات أبو البركات ابن الأنباري كاللمع والإغراب في جدل الإعراب والإنصاف وآثار السيوطي كالاقتراح وجمع الجوامع"¹.

وهذا الكتاب مختلف عن الكتب التي ذكرت من قبله، بحيث تخصص أكثر بتوظيف هذه الأصول التي تحدّثت عليها الكتب السابقة من خلال كتاب سيبويه، فالدراسات أصبحت تتنوّع في ميدان منهج النحوي بعدما كتب الكثير في أسسه (أصوله) ورواده.

3-8- محمد العيد: (أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث).

ففي معنى قول صاحبه درس تلك الأصول كما جاءت في عنوانه من نواح ثلاث هي نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، وقد التزم في منهج عرضه تقديم هذه النواحي الثلاث، مع دراسته كلّ أصل، ونظرة النحاة لهذه الأسس كانت من خلال مساهمتهم في الدراسة النحوية بشكل أخص واللغة بشكل أعم.

أمّا رأي " ابن مضاء " وهو رأي كان له إصداره في هذا المجال وهو واحد من نحاة الأندلس الذي عاش في الأندلس في القرن 6 هـ، كان مذهب الظاهري وكانت له نظرة ظرفية للنصوص والطريقة التي تدرّس بها.

ورأي في أثناء فكرته تلك الاختلافات التي حدثت في الدراسات بين الأصيل والدّخيل الذي يفوق الفائدة ويحول دونها، فامتلك حرية عقله وشجاعة قلبه، وقدم رأيه في كتاب صغير الحجم خطير الشأن أسماه (الرد على النحاة)¹.

¹ المرجع السابق، ن ص.

إنّ ابن مضاء أمة واحدة لم يسبقه في نهجه المتكامل عن أصول النحو أحد قبله، ولم يقدّره النحاة التقليديون بعده حق قدره، فنسي اسمه وغاب عن الدّرس النحوي رأيّه حتى كان عصرنا الحاضر، فعاد الرّجل إليه من وراء القرون مهيب جيلاً ليأخذ مكانه ومكانته في الدّرس اللغوي الحديث.

والمقصود من (ضوء علم اللّغة الحديث) في هذا الكتاب أن نرى في هذا الضوء القيمة الحقيقية لواحد من نحاة العرب هو "ابن مضاء"، وقد ظهرت قيمته في ضوء كتابه الصغير الخطير، وهذا ما يقوله اللغويون فيما تناوله.

فالهدف من (علم اللّغة الحديث) في هذا الكتاب توظيفه لبيان ما في تراثنا من قيم علمية نافعة بإزالة ما علق بها من غبار أو بإزاحة ما علق بها من ضباب حتى يعود البحث فيها ويرى ما له أصل في تراثنا في أصول النّحو الذي يدّعون الأسبقية فيه².

3-9- بكرى عبد الكريم: (أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي)

تحدّث في التّقديم عن النقل ثم القياس النحوي، وكلّ ما يتعلّق به وبشكل مفصّل عن أنواعه وأركانه وكلّ ما يتعلّق بها وتأصيله في النحو العربي.

وأهم المصادر اللّغوية وصلته بالعلوم الدّينية والقياس بين مدرستي الكوفة والبصرة، وقبل القياس تحدّث عن العلة ونشأتها مع إجراء مقارنة بين العلل النحوية والفقهية، ثم تعرّض للعلة في الكتب النحوية مع التمثيل لكلّ مبحث.

¹ محمد العيد، أصول النحو العربي، في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة مصر، 1989، ص: 14.

² محمد العيد، أصول النحو العربي، في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة مصر، 1989، ص: 14.

وتحدّث عن العامل ومسوغاته وتعرّض في حديثه لأراء الخليل وسيبويه والعوامل والمعمولات، كما عرض بعض المسائل الخلافية بين البصرة والكوفة ثم تحدّث بعد ذلك عن مدى أصالة العامل في النحو العربي¹.

3-10- خالد سعد شعبان: أصول النحو عند ابن مالك (السماع، القياس، العلة النحوية، الإجماع واستصحاب الحال وقواعد الاستدلال).

تحدّث فيه عن ابن مالك وآثاره اللغويّة في الثّراث النحوي العربي وكانت له لمحة عن كلّ أصل على حدي (السماع والقياس والعلة النحوية والإجماع والاستصحاب وقواعد الاستدلال عنده). ولكن الملاحظ في هذا الكتاب أعطى للعلة الحظّ الأوفر في مقابل الأصول الأخرى².

هذا النوع من التّأليف خصّ به الأصول النحوية عند لغوي معيّن مثل ما رأينا سيبويه أو ابن مضاء أو ابن مالك، بحيث درسوا هذه الأصول في نظره والتي كانت لها نقاط التقاء مع غيره من لغويين وتفقرو. أمّا التّأليفات المتوالية، فقد تخصصّت أكثر بدراسة أصل أو أساس واحد من أسس المنهج النحوي وخصّص له مؤلّف، ورُسمت من خلاله الخطوط العريضة لهذا الأصل الذي كما يرى أنّه يفتقد إلى أن يكون فيه مؤلف خاص به.

¹قرطبي بكري عبد الكريم، أصول النّحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء، دار الكتاب الحديث، ط1، الجزائر، 1999، ص: 1،8.

²خالد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك (السماع،القياس، العلة النحوية، الإجماع، الاستصحاب وقواعد الاستدلال)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، ص: 210-225.

3-11-أحمد تيمور:(السمع والقياس) (رسالة تجمع ما تفرّق من أحكام السّماع والقياس والشّدوذ وما إليها من المباحث اللغوية النادرة في ذخائر الكتب المطبوعة والمخصوصة لأحمد تيمور باشا).

تناول فيه السّماع والقياس (الشاذ والمسموع وحكم القياس والسّماع) ما جاء على مفعلة من الأمكنة وأُفرد هذا الكتاب لموضوع (السّماع والقياس) كما كتب على بطاقة الغلاف: الشاذ والمسموع وحكم القياس والسمع، وما جاء على مفعلة من الأمكنة ووضّح من خلاله مسائل السّماع والقياس ومما لا تنفرد به كتب اللّغة بل إنّ لم يكن تناوله المؤلّفون والعلماء فيما تناول من الكتب، فهي هنا تبعث بعثاً جديداً أمام العيون، لتعين كلّ باحث في مشكلات اللّغة على أن يشفي غلته من البحث، على بصيرة من الرّأي وسداد من الحكم وأمان من السّخط¹.

3-12-محمد أحمد عبد العزيز:(القياس في اللّغة العربية)

وهذا البحث كان في شكل عمليّة مقارنة بين القدماء والمحدثين، ففي الفصل الأوّل تناول القياس عند القدماء من حيث التعريف واتجاهات النحاة في هذا الباب ونظرة القدماء لمصادره والمصادر الاحتجاجية من القرآن والقراءات والصّراعات التي كانت بين القراء والنحاة في هذا الاتجاه والحديث الشّريف الذي وقع فيه الخلاف من مذهب المانعين ومذهب المجوزين والمتوسّطين، ومذهب ابن مالك وكلام العرب لمن هو مولد ومن هو مخضرم، والباب الثاني تناول القياس عند المحدثين أو تناول المنهج الوصفي، وعند دي سوسير وعند اللغويين العرب المحدثين والقياس بين الوصفين التجريبيين والنحو التوليدي مفهوم السّليقة بين القدماء والمحدثين، وتناول المنهج الوصفي عند سوسير عند اللغويين العرب المحدثين.

¹أحمد تيمور باشا، السماع والقياس، دار الآفاق العربية، ط1، 1421-2001 م، ص:6.

والقياس عند المجمعين والذي كانت من قَرَّرات المجمع اللغوي في اللّغة وأوضاعها في المسائل النحوية والصيغ وفي الجموع، وفي التذكير والتأنيث ومنهج المجمع في القياس وتناول القياس بصفة عامة كذلك كانت للمجمع معايير في قبول القياس والاستعمالات المحدثّة، المعيار الأوّل موقف النحاة القدماء من شيوع ظاهرة الفصحى المحتج بها ومعنى هذا يرجع المجمع إلى القدماء في معرفة مدى شيوع الظاهرة التي يمكن القياس عليها و شيوع الظاهرة الفصحى المعاصرة.

موقف المجمع بين الإطلاق والتقييد، ويحرص دائما على نوع من التوازن الدقيق بين دواعي المحافظة المتمثلة في الالتزام بالقواعد والضوابط وموقف المجمع من مصادر الاستشهاد:

- بالقرآن وقرآاته.
- الحديث الشريف.
- الكلام العربي (كلام المولدين).

هذا أهم ما تناوله في هذا الكتاب¹.

3-13- محمد الخضر حسين: (القياس في اللغة العربية)

عرض فيه علاقة اللغة بالفكر في إطار علاقة التأثير والتأثر، والتي بعثت انطلاقا من جدال هذا نشاط لغوي الذي أفرز إنتاج لغوي ضخم.

وبعد هذا التقديم من خلال دراسة العلاقة بين هذه الثنائية المتأصلة، تحدث عن هذا الأساس (القياس)، بحيث درس كلّ العناصر المتعلقة به من أركانه وأنواعه وأحكامه. وسبب الاختلاف في المصادر التي استقى منها مبادئه، ثم أصل له من خلال الاستقراء في دراسة العلاقة الرابطة بينه وبين الاستقراء والتي

¹ محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار العربي، ط1/ 1995، ص: 22، 6.

قامت عليها، أصول الاشتقاق مع تعديد العلة وأقسامها وأحكامها ومراتبها. وهذه النقاط الرئيسية التي تناولها ومن ثم فروعها، فأعطت هذا الإنتاج اللغوي الذي هو بين أيدينا¹.

3-14- حسن رفعت حسين: (الإجماع في الدراسات النحوية)

حيّز في هذا الكتاب العناصر التي تعرف بهذا الأساس أو الأصل، والتي تجعل منه أساس مهم من أسس المنهج النحوي، بحيث مهّد في كتابه هذا بتعريف الإجماع وتعدد أنواعه ونشأته، وظهور المصطلح عند النحاة ومنزلته بين أصول القدماء والمحدثين الذين كتبوا في علم الأصول والإجماع وتناول في الفصل الأوّل من هذا البحث أقوال العلماء في الإجماع من حيث الحجية وعدمها وغيره.

وسرد في الفصل الثّاني الآراء التي أجمع نحاة البصرة عليها وبيان أقوال العلماء من النحاة في نسبة هذه المسائل إلى البصريّين كلهم أو نقل لخلاف بينهم، وسرد في الفصل الثالث المسائل التي أجمع عليها نحاة الكوفة وبيان أقوال العلماء من النحاة في نسبة هذه المسائل إلى الكوفيّين كلّهم ونقل الخلاف بينهم².

3-15- شمس الدّين: (التعليل عند الكوفيّين مع مقارنة بنظيره عند البصريّين، دراسة إبستمولوجية).

تناول هذا البحث وسائل المعرفة العقلية ووسائل المعرفة التجريبية والسّمع والتجديد، بحيث قارن بين السّمع والتّفكير، وبين التّجديد والتّفكير والتعليل، ودرس من خلاله التعليلات غير العقلية من تقليل والاستخفاء والاستئصال، والتعليل بالعامل وحديثه عن نظرية العامل كان فيه إسهاب، ودرس في الفصول الأخيرة التعليلات العقلية من تعليل بالتأويل العقلي، وحتى المصطلح (التأويل) درسه بشيء من التفصيل

¹ محمد خضر حسين، القياس في اللغة، المطبعة السلفية، القاهرة، ص: 3-4.

² حسن رفعت حسين، الإجماع في الدراسات النحوية، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000، ص: 8، 9، 10.

في مسلكه والعوامل المؤثرة في هذه التأويلات، وإضافة إلى مقارنة بين الموقف الغربي والعربي من التأويل.

وهناك تعليقات على مستويات أربع أوضحها (الأصوات، الصّرف، النّحو والتركيب) والتعليل بالقياس التمثيلي والتعليل بالقياس البرهاني والتعليل بالحسن والقبح والتعليل بالفروض العقلية.

وتحصل على نتائج مهمّة أولها أنّ العوامل التاريخية والثقافية والجغرافية كان لها أكبر الأثر في ظهور التعليل في الدّرس اللغوي بالكوفة، واستخلص تعريف لغوي عند البصريين والكوفيّين للتعليل بأنّه ذلك النّشاط العلمي الذي يهدف إلى معرفة أسباب الإعراب والحذف والزيادة والتقديم والتأخير، والتّغييرات التركيبية في الكلمات إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية باستخدام وسائل ابستمولوجية عقلية وأخرى تجريبية.

هناك جانب كبير من الدّرس اللغوي عند الكوفيّين والبصريّين لم يعلّوه وإنّما اكتفوا بالتفسير أو يمكن القول اهتمّوا بالتفعيد دون التعليل.

ولم ينشأ التعليل عند الكوفيّين لتفسير الظواهر اللغوية فقط مثل الإعراب أو الحذف أو الزيادة أو غير ذلك بل أيضا لتبرير القراءات القرآنية وإثبات مشروعيتها اللغوية خاصة عند القراء.

وبعد اعتماده على التعليقات الكوفية والبصرية، وصلنا إلى كلّ وسيلة من وسائل التعليل تعتمد على وسيلة من وسائل المعرفة.

ووضّح كذلك العلاقة بين النحو العربي وآلياته، وبيّن أنّ البحوث اللغوية بحوث لا تعليلية فالبحوث التعليلية تفسّر وتقدّم، والبحوث هي التعليلية تجريبية وبحوث تعليلية عقلية¹.

3-16- حسن خميس سعيد الملخ: (نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين)

أصل فيه نشوء التعليل عند العرب والغرب ومراحل ازدهاره ونضوجه عند خيرة اللغويين في التعليل والذين كتبوا فيه ودافعوا عنه أمثال ابن السراج وابن جنّي و العكبري، مع إضاءة على المحاولات التي تتّجه نحو العمليّة التّطويّريّة للتّعليل اللّغوي، مع التحدّث عن الأصول التعليلية وعلاقة التعليل ومحاولات المحدثين فيه، وموقف المحدثين في ضوء المناهج الغربية من المنهج التعليلي².

3-17- علي جوهر الياسري: (الفكر النحوي عند العرب - أصوله ومنهجه):

أقام هذا الكتاب حسب تناوله كما يقول: "أن أقيم هذه الدراسة على البحث في الأصول الفكرية التي اعتمد عليها النحاة في تناول المادة اللغوية والأساليب التي كانوا يستنبطون بها قواعد اللغة وقوانينها، ثم النظر في المشكلات التي أدت إليها طرق استعمال الأصول واجتهاد النحاة في الاقتباس من مناهج العلوم العقلية والتطبيقية وتنفيذها في الدرس النحوي، لنرى بعد ذلك مدى فائدة ذلك في تقريب العربية للدارسين، سواء في أعمال النحاة القدامى أو في بحوث المحدثين التي نحا قسم كبير منها نحوا سلفيا تقليديا، يُقْفَى على آثار المتقدمين في طريقة التفكير والتنفيذ، في حين قسم آخر من تلك المناهج غالى في اقتباس

¹ شمس الدين، التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة إبستمولوجية، الإسكندرية، 1994، ص: 4-5.

² حسن سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص: 6-8.

أساليب العلوم الأخرى وإقحامها في المنهج النحوي، مما أدّى إلى تشعب مباحثه وإبعاد مراميه عن مدارك المتعلّمين¹.

وتكلّم في المدخل عن وظيفة النحو وفائدة النحو، أمّا الفصل الأوّل فعنونه "مظاهر النظرية إلى اللّغة قبل نشأة النحو"².

وكما يقول "بحثت فيه عمّا إذا كان العرب قد نظروا إلى لغتهم وقوانينها قبل نشأة النحو كما نظر إليها النحاة بعد ذلك أم لا"³.

والفصل الثاني تناول فيه الدّرس النحوي: النشأة والمؤثرات" والفصل الثالث درس فيه الأصول النحوية كما قال: "من حيث كونها نتاج البيئة الفكرية واللغوية العربية"⁴، وكما يقول: "فقدّمت لذلك بمقدّمة في معنى الأصول وسلطت الضّوء على العلاقة بين أصول النحو والعلوم الإسلامية كعلم أصول الفقه على الكلام"⁵. وتحدّث عن هذه الأصول عند العرب وعرض الأنماط الدلالية التي استدلّ بها النحاة من السّماع بمصادره وتأويله ومشكلاته والقياس وأنواعه وتطوّره التاريخي ومقارنته بالعقلي واضطراباتة. والقياس وأقسامه، وانتقل في الفصل الرّابع والخامس إلى الحديث عن المظاهر الفعلية وأثرها في الدّرس النحوي وأساليب الدّرس النحوي و مصطلحاته، والفصل السّادس فقد درس المنهج الحديث في الدّرس النّحوي وربط بين منهج البحث النحوي وعلم اللغة الحديث، وقد وضّح من خلاله علاقة مهمّة بين مناهج العربية والمنهج النّحوي القديم.

¹ علي الجوهري، الفكر النحوي، دار العربية للموسوعات، ط1، 2003، ص:10.

² المرجع نفسه، ن ص.

³ المرجع نفسه، ن ص.

⁴ المرجع نفسه، ن ص.

⁵ المرجع نفسه، ص:11، 12، 13.

المبحث الثاني: أسس المنهج النحوي:

1- السماع:

***لغة:** السَّماع أو السَّمع مصدر الفعل "سمع"، والسَّمع حس الأذن¹.

ويقول تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"²، والسَّمع كما يُقال "أبو الملكات اللسانية"³.

ورد في الوسيط: "أَنَّ السَّماع: مصدر سمع وسمع له سَمْعًا وَسَمْعًا وسماعًا، وسمع لفلان أو إلى حديث سمعًا وسماعًا أصغى وأنصت، وأسمع فلانا الكلام جعله يسمعه وأبلغه إيّاه، وأوصله إلى سمعه"⁴. وإضافة إلى هذا يعرفه الجوهري: "هو عملية إصغاء الكلام الذي يصدر من مستعملي اللغة، فنقول: استمعت كذا، أي أصغيت وسمعت إليه"⁵.

وكلّ هذه التعريفات لا تخرج عن الاستماع والإنصات.

***اصطلاحاً:** ويعرفه ابن فارس بقوله: "تؤخذ اللغة اعتباراً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما وهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، تؤخذ تلقياً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقة ذوي الأمانة ويتقى المظنون"¹.

¹ ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج8، مادة (سمع).

² سورة ق، الآية: 37.

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 183.

⁴ مصطفى إبراهيم، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د. ط / د. ت، ج1، ص: 449.

⁵ الصحاح في اللغة والعلوم، المصدر السابق، مادة سمع.

وهناك من يرى أنه: "أخذ اللّغة عن العرب الخلف الذين يوثق بكلامهم، وهم اللذين عاشوا قبل منتصف القرن الثاني للهجرة بالنسبة إلى عرب الأمصار، وقبل نهاية القرن الرابع الهجري بالنسبة إلى الأعراب من أهل البادية"².

ويعرّفه ابن جنّي بقوله: "هو كلام العربي الفصيح المنقول النّقل الصّحيح الخارج عن حد القلّة إلى حد الكثرة"³.

ويعرّفه السيوطي: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثته في وقته وبعده، إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر وهذه ثلاثة أنواع لا بدّ في كلّ منها من الثبوت"⁴.

وابن مالك يعرفه: "هو الاعتداد بما قاله الفصحاء الذين يوثق بهم ويطمئن إليهم وكان بعض العلماء يرون أنّ لغات العرب كلها جديرة بالاعتبار، ولا يصح ردّ إحداهما بالأخرى"⁵.

وهذه التعريفات تلتقي كلّها في إيراد شروط السّماع اللغوي، وهناك من يذكرها كلها وهناك من يخل بشرط أو ببعض الشروط.

¹ - أحمد ابن فارس، *الصاحبي في اللغة العربية ومسانئها وسنن العرب في كلامها*، بمطبعة البدر، ط1، 1963، ص 62.

² عباس حسن، *اللغة والنحو بين القديم والحديث*، المرجع السابق، ص: 24.

³ أبو البركات الأنباري عبد الرحمن، *الإعراب في جمل الإعراب*، تح: سعيد الأفغاني، ط2 / د، ت، بيروت.

⁴ جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، الشرح والضبط محمد المولى أحمد، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص: 58.

⁵ ابن مالك، *شرح التسهيل*، تح: عبد الرحمن السيّد، مطبعة الأغلو المصرية، 1974، ج1، ص: 48-49.

وهو الأصل الأوّل من أصول النحو العربي، ويُراد به ما في خصائصه من كلام الله تعالى وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وكلام العرب شعرا ونثرا، ويعتبر السّماع من الأدّلة النحوية المهمّة إلى جانب القياس وبقية الأدّلة المرافقة، ولكن يبقى له الحظوة والأهمية الكبرى في البناء القواعد عن طريق الاستقصاء وجمع اللغة، وهو مصدر الأصل الذي يمكن الاعتماد عليه في معرفة الاستعمال اللغوي لدى العرب الفصحاء وغير الفصحاء، ولا يقدم عليه غيره من الأدّلة، وهو ما يدلّ عليه قول ابن جنيّ: "واعلم أنّك إذا أدّك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر عن القياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه..."¹.

1-2- شروط السّماع (النقل):

يخضع السّماع لشروط معيّنة:²

1. تقسيم الرّقعة الجغرافية (الفصاحة - المكان).

2. عامل الزمن.

3. النص المجهول قائله.

4. المأخوذ به.

وفي كلّ عنصر من هذه العناصر تدخل عناصر ثانوية التي تعتبر من الشروط الأساسية للسّماع والفصاحة.

¹ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 126

² إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد، السّماع والقياس في كتاب همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد 1، العدد الأول، فلسطين، 2013، ص: 116.

1-تقسيم الرقعة الجغرافية (المكان):

لغة البادية هي السائدة في دراسة اللّغة واستنباط الأصول، ونرى نحاة العربية يأخذون عن قبائل الوسط مثل: قيس وتميم وأسد وهذيل، لأنّها تستوطن نجدا أوالحجاز، ولا يأخذون عن لحم ولا جذام ولا قضاة ولا غسان ولا إباد لأنّها تعيش على أطراف الجزيرة وتخومها¹.

والفصاحة تبقى المعيار الأساسي وكانت البادية المثل الأعلى في الفصاحة²، كما جعلوا الابتعاد عنها أو الاقتراب منها هو المقياس الصّحيح للحكم بفصاحة الكلام، وسموه وركاكته مرتبط ارتباط وثيقا بهذا، وكذلك جعلوا مجموعة من أنماط الكلام مثالهم في الاحتجاج وبناء القواعد العربية (القرآن الكريم والحديث

¹الاقتراح، المصدر السابق، ص:06.

²والفصاحة تعتبر من العناصر الأساسية لصحة السّماع وهي رقعة جغرافية لها شروط وهي عند النحاة واللغويين زمن سببويه كانت تعني المدلولات التالية:

- صفة من ترضى عربيته.
- السلامة اللغوية.
- الاستعمال الكثير المعروف من كلام الفصحاء.
- السليقة
- صحة النقل

وتبرز هنا علاقة وطيدة بين عامل المكان والفصاحة، فهناك علاقة تلازم فلا وجود للفصاحة إلا بهذه الرقعة الجغرافية المحددة من طرف اللغويين النحاة.

النبي الشريف وكلام العرب) والقبائل التي اعتمدت هي موعلة البداوة وبعيدة عن مخالطة الأعاجم وهناك تحديد للقبائل التي أخذت علم اللغة قال السيوطي: "قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة"¹.

وبعض الطائيين، وتركه الأخذ عن سكان البراري ممّن كان يسكن أطراف الجزيرة لمجاورتهم لسائر الأمم الذين حولهم، فإنّه لم يأخذ من لحم ولا من جذام لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من بكر لمجاورتهم القبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد وعمان لأنّهم بالبحرين مخالطون للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف أهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأنّ الذين نقلوا اللّغة صادفهم حين ابتدعوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم"².

وهذا التحديد هناك من يراه تضيق في رقعة الفصاحة، ولأنّ الفصاحة وجدت في غير هذه القبائل ويقول ابن جنّي: "أنّ أهلاً باقون في فصاحتهم ولم يعترض الشيء من الفساد بلغتهم موجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر"³.

2- عامل الزمان:

تمتد الحقبة التي استقرأ النحويون فيها اللّغة من الجاهلية مروراً بفصحاء الإسلام حتى المنتصف القرن 2هـ في الحضر وآخر من استشهد بشعره إبراهيم بن هرمة (ت150 هـ)⁴ وفي البادية حتى القرن 4 هـ، فقد

¹ المزهر، المصدر السابق، ص: 121.

² المصدر السابق، ص: 121.

³ ابن جنّي، الخصائص، المصدر السابق، ج2، ص: 07.

⁴ الاقتراح، المصدر السابق، ص: 38.

شمل القرن (3هـ) في البادية، فالسماع لا يخرج في تأريخه عن هذه الحقبة الزمنية وكل خروج هو إهمال لعامل الزمن هذا ممّا لا يرضى¹.

3-النص المجهول قائله:

بحيث "يجوز للنحوي أن يحتج ببيت أو قول لا يعرف قائله، وإذا عدنا إلى آثار القدماء في القرنين (1هـ) و(2هـ) فإننا لا نرى ظلاً في هذه المسألة، النحاة آنذاك ما كانوا يسمون الشعراء أو الأعراب الذين ينقلون عنهم النصوص أو يستقرءون إنشاءهم فسيبويه مثلاً كان يقول قال الزاجز أو قال الشاعر أو أمثال ذلك من العبارات ومثله أبو الحسن الأخفش والفراء"².

فنصوص المعتمدة في تأطير قواعد السماع سواء كان صاحبها معروفاً أو مجهولاً فهي محل قبول. وكان العلماء النحاة قديماً يكثر من الخروج إلى البوادي من اللغويين والنحاة الذين كان وقت ذلك في البوادي.

الخليل الذي أجاب يوماً عن سؤال الكسائي عن مصدر علمه فدّله بقوله: "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج كسائي فأنفذ خمسين عشرة قنينة حبر في كتابه عن العرب سوى ما حفظه"³.

¹المصدر نفسه، ن ص.

²مجلة البحوث الإسلامية، المرجع السابق، ص:117.

³الفهرست، المصدر السابق، ص: 92.

وكذاك أبو عمر بن العلاء: "ما انتهى إليكم هي ما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"¹.

ولكن عامل الزمان والمكان يبقى الأساس كما يقول علي مزهر الياسري: "قد سجلوا العربية معتمدين على أساسين هما الزمان والمكان المحددان، فليس لنا أن نعلم إلى البحث عن علل الذهنية لتحديد هذا التطور، لأن دراسة اللغات تعلمنا أن اللغات ونموها لا يتم في تتابع منطقي ملتزما في سيرة طريقا مستقيما، ولأن كل ما يقال في هذا المجال يظل ضربا من الحدس والتخمين لا يستطيع الباحث أن يقيم عليه دليلا، ولا يستطيع أن يؤيد مذهبه بسند يعلو على الطعن به، أو التشكيك بحقيقة وقوعه ولاسيما أن نصوص هذا التطور لم تدون بالقدر الذي يمكننا من الحصول على صورة واضحة والحكم بمقتضاها"².

فالشروط شملت العامل الجغرافي والبشري وخلال تحديد مواطن اللغة السليمة.

تعتبر هذه الشروط قاسية ومنها ما مس الزمان والمكان، ومنها الراوي والمروي عنه، لأن هناك بعض القبائل تجاوز الاحتجاج بلغتها وهناك عدد من الرواة نتيجة هذا التعدد الزماني والمكاني وضعوا شروط معينة من بين هؤلاء نجد:

جلال الدين السيوطي يفصل أكثر في شروط ومعايير أخذ اللغة بتوفر مايلي:

- أن يكون من تنقل اللغة منهم من ساكني البادية.

- أن لا يكون قد اختلطوا بالعجم.

¹ موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، المرجع السابق، ص: 148.

² علي مزهر الياسري، الفكر النحوي عند العرب ومناهجه، تقديم، عبد الله الجبوري، دار العربية للموسوعات، ط1، 2003م/1423هـ، ص: 39.

- أن يتّصفوا بالصدّق والأمانة.
- وجود الإقامة في البادية.
- أن يكونوا بعيدين عن مواطن الرطانة
- ألا تمر على منازلهم قوافل النّجارة¹.

4-المأخوذ به:

والنص المأخوذ به في عملية الاستقراء بشروط اهتمت بها النحاة يلتبس بعضها عند النحاة الأوائل وإن لم يتحدثوا عنها حديثاً فطرياً قبل القرن الرابع الهجري وما تلاه، وأولها أن تكون الظاهرة كثيرة شائعة لا قليلة نادرة، وأن تكون رواياتها المتعدّدة موافقة للقياس المستقرى من الكثير².

وابن جنّي يفصل في الشروط ويرى أنّ السماع من شروطه:

-أنّه ينقل عن العرب الفصحاء الذين ثبتت فصاحتهم، وكان أبو الفتح نفسه يختبر من يريد أخذ عنه منهم وذلك كما كان يصنع مع الشجري وابن عمه ومع أشخاص آخرين.

-ينقل عن العرب مشافهة أو بواسطة نقله صادقين ثقات وقد عقد باب في (صدق النقلة وثقة الرواة) وقال ابن فارس: "تؤخذ اللغة سماعاً من الرواة النّقاء، ذوي الأمانة والصدق ويتقي المظنون"³.

¹جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم العربية وأنواعها، شرح وضبط، معمر أحمد جاد المولى وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص:58.

²محمود الحلواني، أصول النحو العربي، المرجع السابق، ص: 56.

³وحدّثنا علي ابن إبراهيم عن معروف بن حسان، عن الليث عن الخليل قال: "إنّ النحارير ربما أدخلوا على الناس مالميس من كلام العرب إرادة للبس والتغيب، أخر اللغة أهل الأمانة و الصدق والثقة والعدالة".

- العربي الفصيح إذا انتقل لسانه من لغة إلى أخرى فصيحة، وجب أن يؤخذ بلغته الجديدة، فإن انتقل إلى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى.

- إذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره، فإن كان هذا الفصيح ثقة ولم يخالف القياس أخذ به.

- فيما يروى عن العربي مخالفا للجمهور، وكان فصيحاً في كل ما عدا ذلك وكان ما أورده يتقبله القياس وهو مقبول.

- وأورد الشيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبل.

- إذا كان المسموع فرداً لا نظير له مع العرب على النطق به وهذا يحتج به.

- إذا ارتكب الشاعر ضرورات قبيحة كالفصل بين متلازمين فليس ذلك دليلاً على ضعف لغته وانتقاص فصاحته¹.

وكان السماع هو الأصل الأول في مباحث النحاة المتقدمين وفي تنفيذاتهم، فقد كان أداة اللّغة واستقصاء قوانين بنائها وكان للنحاة في ذلك سبيلان:

*النقل أو الرواية:

ونقصد بها السماع من الأعراب الذين كانوا يفيدون على البصرة وكان اللغويون والنحاة يتلقونهم ويسجلون ويسمعون من لغتهم وقد أفادوا من ذلك، ومن أمثال هذه الأماكن مريد السوق الشهير الذي كان ملتقى

¹فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: 149.

الأدباء ومحصلّة للمشافهة من أفواه العرب الفصحاء، وهناك عدد منهم استوطن البصرة وصار علماء النحاة لا يجدون ضالتهم فيه بعد أن صار تردّدهم من البصرة وإقامتهم بها لأمرين:

- الكثير منهم مالت ألسنتهم إلى الاختلاط.

- النحاة لم يجدوا في ذخيرتهم ما يشكل لديهم رصيد إضافي.

وهذا ما جعل علماء النحاة تقلّ ثقتهم بالرواة الأعراب ولم يجدوا ما يقدموه لهم¹.

*مشافهة الأعراب في البوادي:

سماع اللّغة من مواطنها بالترحّل إلى البادية وأخذ اللّغة الفصحى من معقلها وسماع من أهلها الذين لم يختلطوا بعد بأقوام لتفسد ألسنتهم، وبذلك قصد علماء البصرة البادية وجابوا جوانبها ليسمعوا اللّغة من أهلها.

وكانت البصرة تضم أكبر قبائل وعلى مقربة منهم والتي ساعدت على قدومهم، وبقيت محافظة على نقاء وسلامة لغتها ومكان المسجد البصرة وسوق كما سبق ذكره، وهي سوق مشهورة، ويرى القلقشندي أنّه "بالبصرة محلة يقال لها المريد، وهي محلة عظيمة من جهة البرية كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون"².

وهذا لا نجده في غير البصرة، رغم وجود ما يسمى بالسوق الكناسة بالكوفة هي تحاكي مريد في البصرة، والتي قال عنها سعيد الأفغاني: "نعم كان في الكوفة سوق أرادوا بها أن تحاكي مريد البصرة وهي سوق

¹ عبد الله الياسري، الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003/1423، ص: 179.

² القلقشندي، الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، تح: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1981، ص: 337.

كناسة، لكن لم يكن لها ذلك الشأن وهي إلى أن تكون داعية إفساد اللّغة أقرب منها إلى أن تكون عاملا في صيانتها لأنّ الأعراب الذين يؤمنونها غير سليمي السلائق¹.

ويدخل في السبيل الأول القرآن الكريم، والحديث الشريف وما سمعه النحاة من الرواة الأعراب الذين كانوا يقدون إلى البصرة، ويدخل في السبيل الثاني ما نقله النحاة أنفسهم من مشافهة الأعراب في بواديهم وتسجيل أنماط مختلفة من كلام العرب شعره ونثره.

1-3- أقسام المسموع:

ينقسم المسموع إلى:²

1. المطرد (المتواتر):

ويعني التتابع والاستمرار وهو الكلام المنقول عن العرب مستقيضا في استعمالهم عن الأعراب في صناعة النحو والصرف، بحيث يطمأن إلى أنّه كثير كي يصح أن يُقاس عليه.

2. الشاذ (النادر):

وهو كلام عربي أصيل فارق أصل بابه وخالفه القياس الصنّاعي، ولم تذكر قاعدة كلية ولم يحظ بالشيوخ والكثرة عند العرب، بغض النظر إلى قلته أو كثرته وهما على أربعة أضرب:

الأول: مطرد في القياس والاستعمال معا، وهذا هو المطلوب والغاية لموافقتها السماع والقياس الصنّاعي وهو الكلام:

¹ سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، 1987، ص: 199.

² لمع الأدلة، المصدر السابق، ص: 84.

- الذي لا يخرج عن القواعد المبنية على الأعم والأشمل معتبرة نحو صناعة في كلام العرب.
- والذي كثر استعماله في العربية ونقل عنهم سماعا صحيحا إسناده وطريقه.

ك: قام زيد، ضربت عمرا، مررت بسعيد.

فإنّ هذه الأمثلة جارية على الاستعمال العربي سماعا وموافقة للقياس الصنّاعي فيها.

الثاني: مطرد وجائز في القياس بناء على قواعد الشاذة في الاستعمال سماعا لتركه وهو الكلام:

- الذي لا يخرج عن القواعد المبنية على الأعم.

- ندر استعماله مسموعا.

ك: يذر ويدع فإن ماضيهما وذر ودع وترك استعمال ماضيهما إجماعا عند الصّرفيين في الفصح يخالف

القواعد النحوية قياسا.

الثالث: مطرد في الاستعمال العربي المسموع شاذ في القياس الصنّاعي ويتبع بالمسموع الوارد فيه ولا

يتخذ أصلا يقاس عليه وهو الكلام:

- الذي خرج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

- الذي كثر استعماله.

ك: استحوذ الجمل واستصوب الأمر.

فإنّ هذه الأفعال جاءت مسموعة بتصحيح الواو فيها على غير قياس والقياس يقلب الواو بكونها متحركة

في الأصل وتفتح ما قبلها ك: استحوذ، استأنف وجديرا كذلك سماع عن العرب، وك: أبى يأبى فلا يُعرف

في العربية فعل يفعل والقياس كسر عين الثاني فتكون يأبى والسماع جار على الفتح على خلاف القياس إجماعاً.

الرابع: شاذ في القياس والاستعمال معا وهو الكلام:

- الخارج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

- ولم تستخدمه العرب وهو مجمع رفضه.

ك: ثوب مصوون، فرس مقوود، رجل معوود، بإثبات دواوين، وهذا مخالف للقياس، فلا يتكلم له، ولا يرد غيره إليه¹.

1-4- مصادر السماع:

وحصرت مصادر السماع فيما يلي:

* القرآن الكريم والقراءات القرآنية.

* الحديث النبوي الشريف.

* كلام العرب (نثرا وشعرا).

* القرآن الكريم والقراءات القرآنية:

¹ عبد الله بن سليمان العتيق، الياقوت في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 16.

من المنطقي أن نعدّ القرآن الكريم مصدرا مهما من مصادر السّماع قبل أبي الأسود، وهو بعد ذلك نصا موثق بالسماع والكتابة، لقد أجمع النحاة على الاحتجاج بالقرآن الكريم وعدوا لغته في مرتبة عليا من كلام العرب فصاحة وتوثيقا، فقد تلقاه الصحابة عن الرسول الكريم.

فلا عجب إذ أنّ أحدا من متقدمي النحاة أو متأخريهم لم يشذ عن عدّ القرآن الكريم أعلى النصوص العربية رتبة في الاعتماد عليه لاستخلاص قواعد كلام العرب، إلّا أنّهم اختلفوا في مسألة القراءات ولاسيما ما عدوه منها شاذاً¹، والنص القرآني يعتبر المصدر الأصح والأغنى في الاستعمال اللغوي وأفضل ما يحتج به في تقدير أصول اللّغة ولا يفترى أحد في أنّه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي يستتبعها...².

والقراءات مرجعها الرواية والنقل عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إذ لو كانت غير ذلك لوردت فيها العيوب الخاصة في لغات العرب التي تجنبها الفصحاء كالشكشة في ربيعة ومضر والعننة في لغة قيس وتميم والفحفة في لغة هذيل.

والى جانب هذا نرى أنّ هناك من النحاة من قدم كلام العرب (شعر ونثر) عن القرآن الكريم العربي وعمر المختار يقول "فهم جميعا كانوا ينتقدون القراءة ويقيسونها بمقاييسهم الضيقة، وهم جميعا كانوا لا يتورعون عن تخطئة القراء، سواء كانت سبعة أو شاذة أو غيرها، وهم جميعا كانوا لا يقبلون القراءة إلّا وهم جميعا

¹ علي مزهر الياسري، الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، تقديم الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003، ص: 179.

² محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، المرجع السابق، ص: 29.

لا يسترجعون عن تخطئة القراءة أو تلحينها إذا عجزوا عن فهمها أو توجيهها، ولا فرق في ذلك بين من اشتغل بالدّرس ومن اشتغل منهم بالقراءة إلى جانب النحو أو تخصص للدّرس النحوي"¹.

باعتبار القرآن الكريم من المصادر الأساسية للسمع اللغوي، وتفسير للارتباط والتلاحم الموجود بين اللغة والقرآن الكريم وهذا ما يقر به إبراهيم أنيس حين يقول: "ارتبطت العربية بالقرآن الكريم ارتباط الروح بالجسد حتى قال: لا شك أنه يموت غيرها وتبقى هي حية حتى يرفع القرآن الكريم"².

والقرآن الكريم كما هو معروف أول كتاب دَوّن في اللغة العربية وقد حوى أفصح لغات العرب واحتج العلماء بآياته أمثال سيبويه "أربع وسبعين وثلاث مائة آية"³.

وموقف النحاة وقد أشرنا إلى هذا في الفصل السابق إلى البعض منها، ويُعتبر البعض الموقف السليم هو: "أن يسلّموا بصحتها ويفسّرون خروجها عن معتاد مجاري اللغة ويقفون عند ذلك ولا يقيسون عليها، مثلها مثل ما جاء في الشواذ في كلام العرب، فقد كان سيبويه يقف منها الموقف إن قيلت ممن يوثق بعربيته"⁴.

اعتمد " النحاة الشواهد على أعمالهم وإنتاجهم الفكري وهي مبنوثة في مصادرهم أمثال الخصائص والمحتسب والمقتضب والكامل، فالشاهد القرآني أخذ حظّه الوافر والقراءات وهي من جملة العلوم وهي متفرعة عن القرآن الكريم وهو منزل على أقوام بلغاتهم المتعدّدة، ونزول القرآن بهذا التعدّد فيه حكمة التسهيل والتيسير على هذه الأمة والتي توحد لسانها واختلفت في آن واحد، وإنّ معظمه بلغة قريش، وقد

¹ البحث اللغوي عند العرب، المرجع السابق، ص:20.

² في اللهجات العربية، المرجع السابق، ص:56.

³ المرجع نفسه، ن ص.

⁴ الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص:206.

كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لغتهم، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله، وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء"¹.

وبعد القرآن وقراءاته سببا لظهور علوم العربية ومصدرها لما فيه من الاطمئنان الباحث اللغوي فيأخذ مبادئ معينه وإذا تردد ولا خلاف في الاعتماد لضمه في تقعيد قاعدة النحوية أو اللغوية، فالنحاة استنقوا قواعدهم للفظه الفصح الصحيح، وبذلك تعظيمه بأقوالهم تتم عن مدى اعتزازهم به واعتمادهم عليه² فالقراء يقول "الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"³ فسيبويه يجمع على فصاحته بقوله: "قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن الكريم لا خلاف في ذلك"⁴.

وابن فارس يقول: "كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات"⁵.

والشاهد القرآني في دراسات اللغوية والنحوية مقدّم على بقية الشواهد، أما القراءات القرآنية فهي معين وتعدّ كذلك مرجعا مهما من خلال تقعيدها لما لها من أثر في كشف أسرار اللغة من خلال موافقة وجه من وجوه العربية وكذلك الرسم ولكن المواقف اتجاهها أونحوها متباينة.

*الحديث النبوي الشريف:

¹ المصدر نفسه، ن ص.

² جميل إبراهيم علوش، ابن الأنباري وجهوده في النحو، أطروحة دكتوراه، بيروت، 1977، ص: 26.

³ معاني القرآن، المصدر السابق، ص: 213.

⁴ المزهر، المصدر السابق، ج 1، ص: 213.

⁵ الاقتراح في علم أصول النحو، المصدر السابق، ص: 36.

هو مادة السَّماع الثانية ولكن النحاة كانوا يعتمدون عليها في بناء القواعد النحوية إلا قليلا كما قل استشهدهم به بشكل يلفت النظر، فالرَّسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، ورواية الحديث الشريف قد خضعت لمعيار نقدي دقيق في توثيق السند والمتن، فكانت جريمة الجرح والتعديل تشريعا علميا مميّزا، غير أنّ النحاة فيما يبدو لم يطمئنوا على الرغم من ذلك كله إلى لغة الحديث لأنّ رواية الحديث كانت قد اتسعت اتساعا كبيرا وكثر المشتغلون بها قبل تدوينه، حتى أنّهم ما كانوا يلتفتون إلى معرفة السند وسلامتها.

ورواية الحديث استمرت مدة زمنية طويلة قرابة القرن من الزمن، وهو ما جعل هذا النص عرضة للزيادة والنقصان من باب الاختصار والزيادة من باب الشرح ممّا جعل النص الأصلي غير ما يروي في كثير من المرات، وكانت الغاية هي المعنى لا اللفظ من باب التيسير معرفة هذه الأمة ما عليها ومالها، فقد روى عن سفيان الثوري قوله: "إن قلت لكم أنّي أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني إنّما هو المعنى"¹. هناك الكثير من وضع الحديث ونسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما جعل منه شاهدا محل النقاش وكثرت الآراء حول مفروضية الاحتجاج به من عدمه.

ويرى علي مزهر الياسري في أنّ جمهور النحاة على حق في الاقتصاد الشديد في الاستشهاد بالحديث لأُمور نضيفها إلى أسلافنا:²

¹ البغدادي، خزانة الأدب، المصدر السابق، ص: 05.

² علي الياسري، الفكر النحوي عند العرب - أصوله مناهجه-الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003/1423، ص: 189.

- أنه ليس نصًّا أدبيًّا، بل كلام يعنى بتنظيم الحياة العملية ولا يشمل قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن الاطمئنان إلى سلامة النص بحروفه التي صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

- إنه يفتقر إلى عنصر الموسيقى الذي يُساعد على ترديد النصوص وحفظها كما وردت عن أصحابها الأولين على عكس القرآن الكريم الذي يرتل ويجود والشعر الذي كان له أوزانه مما يساعد على اتساق روايته وهو لم يتوافر للحديث الشريف.

- لم يكن عدا الحديث كلاما منقولاً عن البديهية اللغوية، كما يقول في النقل المسموع عن كلام العرب، فرواة الحديث كانوا أجناساً متعدّدة ومكان إيصال معنى الحديث يتقدم عندهم على إيراد الألفاظ كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد وقع الخلاف حول الاستشهاد بالحديث النبوي من العلماء والتيسير في هذا الخلاف حول الحديث النبوي الشريف تجوز فيه الراوية بالمعنى، قد دخل في دين الإسلام كثير من الأعاجم وقد يروون عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيلحنون، لذلك امتنع كثير من العلماء من الاستشهاد بالحديث النبوي مخافة اللحن فيه¹.

واحتشام الأوائل في الاحتجاج به وتأصيل اللغة يرجع للأساسيات التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- تأخر تدوين الحديث النبوي الشريف.
- خوف من إضافة حركة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.
- خوف أن يطغى الحديث الشريف النبوي على كلام الله وانقطاع السند لبعض الأحاديث.
- هناك أحاديث موضوعة تشيئة.

¹المرجع السابق، ن ص.

• إنّ رواة الحديث كلّهم أعاجم¹.

وترى خديجة الحديثي: "أنّ النحاة الأوائل احتجّوا بالحديث الشريف، وأنّ احتجاجهم به في النحو والصرف قليل وأنّ من يعدمهم من النحاة على اختلاف أمصارهم بصريّين كانوا وكوفيّين أمّا بغداديّين تابعوهم في الاحتجاج به على قلة أيضا، وإن كان متأخروهم قد زادوا من عدد الأحاديث المحتجّ بها"².

والاستشهاد بالحديث الشريف شهد ثلاثة مذاهب:

1. مذهب المانعين مطلقا:

يمتنعون عن الاستشهاد بالحديث مطلقا، على رأس هؤلاء ابن الضائع الذي عدّ ابن الخروف أوالمحتجين، وحجّتهم أنّ الأوائل لم يحتجّوا به مطلقا لجواز نقله بالمعنى ووقوع اللحن كثيرا، فيما روي منه، لأنّ رواته من غير العرب³.

2. مذهب المجوّزين مطلقا:

دافع عن رأي هؤلاء البدر الدماميني (ت 828 هـ) والذي أجاز الاحتجاج به وإن لم يستدلّوا بهو الحديث متواتر مع قلّته مجزوم بأنّه من كلامه صلى الله عليه وسلّم، واشترط الأئمة من المحدثين والفقهاء الأصوليين عدم جواز الرواية بالمعنى إلّا لمن هو مطلع على دقائق اللغة، واختلفت الرواية فيه أنّ

¹ صليحة جبرون، كتاب القواعد للثمانيني دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، 2011، ص: 91.

² خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الطليعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بيروت، لبنان، 1981، ص: 112.

³ السيوطي، الاقتراح، المصدر السابق، ص: 54.

الرّسول صلى الله عليه وسلّم كان يعيد الكلام مرّتين أو أكثر لإزالة الإبهام وأنّ الحديث قد دَوّن في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وقد وضع البخاري باباً أسماه باب من أعاد الأحاديث ثلاثاً ليفهم منه"¹.

قال البغدادي: "والصّواب جواز الاحتجاج بالحديث النبوي في ضبط ألفاظه، ويلحق بهما روي عن الصّحابة وأهل البيت"².

نجد من المحدثين محمود فجال الذي يقول: "الذي يتبنّى فكرة الاستشهاد بالحديث مطلقاً، نكون قد وسّعنا دائرة الاستشهاد باعتبار الحديث الشّريف مصدراً من مصادر الاستشهاد، والاستقاء من ينبوعه الفيّاض العذب الزّلال، يصبح ربع النحو به خصباً"³.

3. مذهب المتوسّطين:

يجيز الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف، ويغلب في ذلك الأحاديث التي ثبت فيها اللفظ عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم من الأحاديث القصيرة⁴، ويمثلهم الشامي (ت790 هـ) الذي أجاز الإحتجاج بالأحاديث المروية بلفظها كما سبق الذّكر، وأنّه تابع في ذلك الرّعم القائل أنّ النحاة قبل ابن الخروف وابن مالك لم يحتج بالحديث، وقد تردّد السيوطي (911 هـ) في موقفه بين المانعين مطلقاً والمتوسّطين⁵.

ويرى محمد ضاري: "أنّ الصّفة العقلية التي شاعت بين نحاة البصرة ثم أقل عند نحاة الكوفة، وتأثرهم بالمنهج الكلامي، وزاد هذا الفتور في موقفهم من الحديث، وذهب في مكان آخر إلى أنّ العوامل الفكرية

¹ موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، المرجع السابق، ص: 68.

² خزائن الأدب، المصدر السابق، ج1، ص: 9-10.

³ معروف فجال نادي، الحديث النبوي في النحو العربي، ط1984، ص: 314.

⁴ المصدر نفسه، ن ص.

⁵ الفكر النحوي عند العرب، المرجع السابق، ص: 190.

المذهبية والسياسية تقف ورائه فاحتجوا على قلة، ووجدوا أنفسهم وسط صراع محتدم بين المتقدمين وبين المحدثين بأنفسهم عن هذا الصّراع¹.

وما يمكن ملاحظته اعتناء الشاطبي بالحديث من ناحيتين:

- 1- من ناحية اهتمام الناقل بمعناه دون لفظه، وهذا لم يقع استشهاد به عند أهل اللسان.
- 2- من ناحية اعتناء الناقل باللفظ المقصود خاصة كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ككتابه لوائل بن حجر والأمثال النبوية، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية².

4- مناقشة آراء المانعين من الاستشهاد بالحديث الشريف:

ما تمّ الإدلاء به من الآراء حول اعتماد الحديث كمصدر من المصادر اللغوية بالمهمة بعد الكتاب القرآن الكريم، من تجويز ومنع، وبين بين، يمكن القول حسب سعيد الأفغاني: "إنّ أغلب الظن أنّ من استشهاد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن على العهد الذي راجت فيه بين الناس ثم أنّ علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم، ولمّا التفتوا إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة"³.

¹ عباس علي حسين، الدرس النحوي في الموصل، جامعة البصرة، 2003، ص: 01.

² الشنترى، الحجة النحوية، المرجع السابق، ص: 35.

³ في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 453.

وفي موضع آخر يقول: "ولو كانت هذه الثروة في أيدي الأقدمين كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وسيبويه، لعطوا عليها بالنواجز ولغيروا فرحين مغتبطين كثيرا من قواعدهم التي صاحبها جيل ووضعها شيخ المورد، وكانوا أشد المنكرين على أبي حيان"¹.

ولكن يبقى اعتماد الحديث مشكلة تعددت فيها الآراء، منها ما اختلف ومنها ما التقى، ولكن ترى خديجة حديثي: "أن مشكلة الاحتجاج في اللغة والنحو أمر لا يقوم على أساس كلامي وأن ذلك لم يكن سوى ثمرة نزاع شخصي أو حسد العلمي..... أكثر القدماء والمحدثين ينسبون تعصب أبي حيان على ابن مالك إلى الحسد الشخصي الذي مبعثه شهرة ابن مالك، وعظمته العلمية، ومنزلته بين الناس في ذلك العصر"².

ولكن محاولة محمد الخضر الحسين تعتبر أكبر المحاولات نضوجا ووضوحا وتأثيرا في الحديث عن مكانة الحديث بين مصادر السماع اللغوي، وهو مبني على أساس تقسيم الشاطبي للأحاديث وبين موقفه انطلاقا من هذا، وأضاف إلى ذلك قسما آخر، وهو في الواقع تفصيل لما أجمل الشاطبي³.

والقسم المضاف هو: "الحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظهم، وهو الحديث الذي دون في الصدر الأول ولم يكن من الأنواع المبنية آفا، وقد جعله على نوعين: حديث لفظه على وجه واحد، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه، وقد رجح الأخذ بأحاديث النوع الأول، ولم يكن من

¹ المرجع نفسه، ص: 49-50.

² أبو حيان النحوي، المرجع السابق، ص: 328.

³ أصول التفكير النحوي، المرجع السابق، ص: 145-146.

الأنواع المبنية آنفاً، وقد جعله على نوعين وحديث لفظه على وجه واحد، وقد رجّح الأخذ بأحاديث النوع الأول كما رجّح الأخذ بأحاديث النوع الثاني¹.

ومجمع اللغة العربية بالقاهرة فرّق بين ما يحتجّ به ما لا يحتجّ به مبيناً مبدأ المتوسّطين على النحو الآتي:

- لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدوّنة في الصدر الأول، ككتب السنة وما قبلها.

- يحتجّ بالحديث المدوّن على الوجه الآتي:

- الأحاديث المتواترة المشهورة.
- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.
- الأحاديث التي تعدّ من جوامع الكلم.
- كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- الأحاديث المروية، أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كلّ قوم بلغتهم.
- الأحاديث التي يعرف من رواتها أنّهم يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل: القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة، وابن سيرين.
- الأحاديث المروية من طرق متعدّدة وألفاظها واحدة².

*كلام العرب (شعرا ونثرا):

¹في أصول النحو، المرجع السابق، ص: 53-54.

²موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، المرجع السابق، ص: 85-86.

وهو ميدان ثالث للسمع وكلام العرب هو ما نطقت به العرب شعرا أو نثرا¹، ويعدّ كلام العرب المأخوذ من موارد الفصاحة التي قرّرها علماء العربية الأساس في تقعيد القواعد وتثبيتها، لأنّه الكلام الفصيح الذي أخذ عن العرب الفصحاء في بواديهم البعيدة عن العجمة أو الأعراب الرواة، ومنهم: أبو خيرة وسوار الغنوي وغيرها².

ولما انتشر اللحن الذي زاد انتشاره اختلاط العرب بالأعاجم في الأمصار كالבصرة والكوفة وتفرّع النحو لهذا وتوسّعت قواعده وفرض على النحوي أن يكون راو أو يستعين برواة محترفين عرفوا بالفصاحة والأمانة وإضطرهم الأمر إلى شدّ الرحال إلى البادية للأخذ عمّن يوثق بفصاحته وقصروا الأخذ عن القبائل التي استوطنت قلب جزيرة العرب³.

وشعر يعتبر ديوان العرب، وقد عمل الخلفاء على حفظه ونقله ودراسته، فقد كان الشعر علم كلّ قوم ولم يكن علم أصح منه⁴.

وبالشعر حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللّغة وهو كما يقول ابن رشيق (ت48): "أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن تقبل شهادته وتتمثّل إرادته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أنّ من الشعر لحكماً"¹.

¹ إبراهيم بن علي قسري، أصول التفكير النحوي عند ابن ولاء من خلال كتابه الانتصار لسيبويه عن المبرد، رسالة ماجستير، جامعة مكة المكرمة، 1421، ص: 147.

² رحيم جمعة علي الخزرجي، أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جني، جامعة بغداد، العراق، ص: 335.

³ الدرس النحوي في الموصل، المرجع السابق، ص: 75.

⁴ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة أنجلوا المصرية، القاهرة، 1973، ص: 56.

وعمر بن الخطاب يقول في هذا: " نعم ما تعلّمه العرب أبيات من الشعر، يقدّمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم"².

ومكان الشعر من عظيم المراقبة وشرف الأبيّة، وعزّ الأنفة وسلطان القدرة³، والشواهد الشعرية حفلت بها الكتب التراثية، لأنّه المنبع الذي يرجع إليه عند الحاجة، واستقى منه النحويّون على اختلاف مذاهبهم وأزمنتهم، ولعلّ السبب الرئيسي الذي دفعهم إلى هذا منزلة الشعر في نفوس العرب وكان علماء القرآن إذا أشكل عليهم من القرآن استشهدوا بالشعر⁴.

وقبول الشعراء أو رفضهم اعتمد على أسس ثلاثة هي:

1- الأعصار لا الأشعار.

2- البادية لا التحضر.

3- الطّبع لا الصّنع، واشتروا في المسموع الكثرة لا القلّة⁵.

وقسم الشعراء إلى أربع طبقات:

- الطبقة الأولى: الجاهليّون الذين لم يدركوا الإسلام كامرئ القيس.
- الطبقة الثانية: المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كعبيد وحسان.

¹ يقصد بها القبائل كما يقول الحاجب (حرشة وأكلة البرابيع)، الدرس النحوي في الموصول، ص: 377.

² المرجع السابق، ن ص.

³ المرجع نفسه، ن ص.

⁴ عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن رسائل ابن الأزرق، المرجع السابق، ص: 269.

⁵ الدرس النحوي في الموصول، المرجع السابق، ص: 79.

• **الطبقة الثالثة:** المتقدّمون، ويُقال لهم الإسلاميون وهم اللذين كانوا في صدر الإسلام كجريد

والفرزدق و كميث بن رمة.

• **الطبقة الرابعة:** المولدون ويقال لهم المحدثون¹.

والطبقة الأولى والثانية يستشهد بكلامهما مطلقاً²، أمّا الثالثة اختلفوا فيها³.

في مقابل هذه الطبقات ظهر كما يعرف بالنصوص الموضوعية، وقد يكون الدافع إلى ذلك:

- في سماع الرواية فأنحرفت عن حسن نية.

- بيان الأوجه المحتملة للنص إذا وقعت الرواية ذلك الوقع.

- نصرة للراوي مع معرفة وجه الحق فيها⁴.

وقد احتجّ النحاة بما ثبت من كلام العرب شعره ونثره ووضعوا ضوابط الأخذ بالمادة اللغوية وعيّنوا القبائل

التي تم الأخذ منها، كما حدّدوا زمناً للاحتجاج فيما بعد عرف بعصر الاحتجاج⁵.

وكلام العرب أساساً للمادة المسموعة، وحرصوا على أخذ اللغة من أفواه العرب الخالص، فرحلوا إلى

البوادي لجمع اللغة، وحصروا القبائل التي أرادوا الأخذ عنها.

¹ عباس علي، الدرس النحوي في الموصل، المرجع السابق، ص: 79.

² خزانة الأدب، المصدر السابق، ج1، ص: 06.

³ الفهرست، المصدر السابق، ص: 92.

⁴ الكامل، المبرد، المصدر السابق، ج1، ص: 270.

⁵ خالد سعيد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص: 111.

وقف السامرائي من الشاهد الشعري وقفة شك وريبة، ولم يرتضه أساسا لبناء القاعدة النحوية السليمة إذ قال: "إنّ الشاهد الشعري ضعيف وجاء كثيرا، وذلك لما تقتضيه لغة الشعر من ترخيصات، وتجاوزات لتجيء سائرة على الوزن المعروف، على أنّ كلّ هذه الألاعيب ممّا وسعت في النحو العربي لأنّها أعطته ما ليس منه"¹.

وأقوال العرب ولغاتهم من أهمّ الروافد وهي قياسا بالشعر قليلة، وهو رافد مهم من روافد الاحتجاج لكن الاستشهاد به قليل قياسا بالشعر، وهذه القلة، ومن جهة ما للشعر من منزلة في نفوس العرب في الجاهلية والإسلام².

وبشمل النثر لغات العرب وأقوالهم وأمثالهم، وهو على قلته في الكتب الصّرفية والنحوية، إلّا أنّه يعدّ أصلا من أصول الاستشهاد، ولا يمكن إغفاله ولأنّ ابن هشام الأنصاري لم يسمع عن العرب مباشرة لذلك نجده يحتج بالنثر معتمدا في ذلك على ما ورد في كتب سابقه، وكان أمثال العرب تصيب وعلى الرغم من قلّتها³.

أمّا الاستشهاد بالنثر هناك من يرى من النحويين عندما وضعوا قواعدهم غلبوا الشعر على النثر، وطبقوا على النثر القواعد التي وضعوها اعتمادا على شواهد شعرية، ويعدّ هذا الصنيع مأخذا يؤخذون عليه لأنّ

¹ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص:30.

² علي فرحان العقيلي، الدراسات النحوية عند إبراهيم السامرائي، جامعة مصر، 2004، ص: 31.

³ صبحي صالح، دراسات في حفظ اللغة، المرجع السابق، ص: 59.

الشعر لا يمثل نطق الأغلبية العظمى من العرب، وهناك ألفاظ تكاد تكون خاصة بالشعر لا ينطق بها عامة الناس¹.

من اللغات المعروفة لغتان رئيسيتان عظيمتان إحداها حجازية غربية أو كما تسمى أحيانا قرشية والأخرى نجدية شرقية أو كما تسمى أحيانا تميمية².

الضرورة الشعرية:

الضرورة ما وقع في الشعر ممّا لا يقع في النثر، سواء كانت للشاعر عنه أم لا.

وقال ابن فارس: "الشعراء أمراء الكلام، يقصّرون الممدود ولا يمدّون المقصور، ويقدمون ويؤخّرون ويؤمنون ويثيرون ويختلسون ويعيدون ويستعيرون"³.

والنحويين عامتهم يلحون إلى الضرورة عندما يرون الشاهد النحوي لا ينطبق مع أقيستهم وهي وسيلة من وسائل التخلّص ممّا جاء مخالفا للقاعدة النحوية، والضرورة قاربت أن تكون مشكلة من مشكلات الدرس النحوي، وهي نفسها وليدة ذلك الجهد المستفيض الذي بذله النحاة في بناء القواعد العربية⁴.

¹ خضير تبني، البحث الصرفي عند ابن هشام الأنصاري، عمان، 2007، ص: 60

² مهدي مخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، المرجع السابق، ص: 381-382.

³ الصاحب، المصدر السابق، ص: 275.

⁴ علي فاضل سيد محمود الشمري، التفكير النحوي عند المبرد، جامعة الموصل، أطروحة دكتوراه في فلسفة اللغة، ص: 89.

وحتى القبائل المتطرّفة فقد كان استدلال النحاة بلغتهم كان مقتصرًا على لغة التخاطب، أمّا شعرهم فقد استدلوا به لأنّه منسوج بلغة مثالية يتقنها شعراء القبائل المتطرّفة وشعراء وسط الجزيرة على حدّ سواء كما عاشوا في الحواضر التي تجاوزت بلاد العجم¹.

2-القياس:

2-1-تعريف القياس:

*لغة:

قال ابن منظور: "هو التقدير، وهو من الفعل (قيس) أي قاس الشّيء يقيسه قياساً، وقياساً وإقتاساً هو قيسه، إذا قارنت بينهما، اعلم أنّ القياس بمعنى التقدير، وهو مصدر قاست الشيء بالشيء مقايسة وقياساً أي قدرته، ومنها المقياس، أي المقدار وقيس ربح أي قدر ربح"².

*اصطلاحاً: ويعرّفه الجرجاني: "هو عبارة عن ردّ الشّيء إلى نظيره"³.

ويرى عبد الله أحمد الكريم أنّ: "القياس في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل لجامع وقيل هو اعتبار الشّيء بالشّيء لجامع"⁴.

¹أمان الله جنحان، الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص: 103.

²لسان العرب، المصدر السابق، مادة قيس، ج1، ص: 39.

³علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: نصر الدين التونسي، شركة ابن باديس للكتاب، ط1، الجزائر، 2009، ص: 64.

⁴عبد الله أحمد الكريم، النحو العربي علم اللغة العربية والدين، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، 2002، ص: 60.

ويعرّفه ابن الأنباري: "تقدير الشيء على شيء يشترك معه في أمور ويشابهه في أمور، أي تقدير غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"¹.

فمصطلح القياس بصفة مطلقة هو: "يشمل عدة مفاهيم تختلف تبعاً للسياق والمادة التي يتناولها القياس وهو مصطلح مشترك بين علوم مختلفة، وأدى استعماله في النحو إلى نوع من الخلط الذي يؤول إلى الالتباس والغموض"².

لأنّ هناك القياس المنطقي والقياس الأصولي، لأنّ القياس الأصولي في الحقيقة هو منهج يستهدف معرفة علة الحكم الوارد في النص، أي الأصل وإضعاف الحكم نفسه في المسائل التي نفى فيه وهو الفرع، وذلك بجامع العلة، ومن أشهر أمثله أنّ علة الخمر هي الإسكار أنّ النبيذ مسكر، فالنبيذ حرام بسبب العلة، بالتالي فأوجه الشبه بين الأصولي والنحوي باعتبار كليهما حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"³.

والقياس المنطقي يتميّز باستنتاج شكلي من مقدّمتين مسلم بهما، ومن أمثلة أشكاله المشهورة أنّ كلّ إنسان فان وأنّ سقراط إنسان والنتيجة أنّ سقراط فان، إنّما هو شكل صوري"⁴.

¹ عبد الرحمن كمال، جمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، ط2، دار الفكر، بيروت، 1971، ص: 85.

² إبراهيم أحمد سلام الشيخ عبد، السماع والقياس في كتاب جمع الصوامع في شرح جمع الجوامع، المجلة الإسلامية، مج21، 2013، ص: 33.

³ تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص: 33.

⁴ المرجع نفسه، ن ص.

2-2- تطوّر التاريخي لفكرة القياس:

استقرأ مدوّنو النحو ما وصلهم من كلام العرب وراعوا الحكم السائد في الأعم الأغلب منه، فدققوا علله وصنّفوها ثمّ وضعوا قوانينهم المطّردة، ولا شكّ في أنّ بعض المنقول من مختلف اللهجات يخرج على هذه القوانين جهداً، فحاول النحاة تسجيله وتذييل بعض أحكامهم باستثناءات وتعريفات، وبذلوا في هذا جهداً صادقاً حتى لا يشذ عن قوانينهم شيء، وحتى تكون محيطة بكلام العرب على قدر الإمكان، ومع ذلك شذت على استثناءاتهم وقيودهم بعض نواذر لا قيمة لها، وإنّما العبرة لما اطرّد في أكثر كلامهم وكان من علماء العربية:

1. فريق السّماع: وحاول إلزام النَّاس.

2. فريق القياس: وأصحاب هذا المذهب ما قيس على كلام العرب، فهو من كلام العرب، ألاّ ترى أنّك لم تسمع ولا غيرك اسم كل من فاعل ولا مفعول، وإنّما سمعت بعضها فقست عليه غيره¹.

ولم يكن الخليل أوّل القياسيين في النحو، كما لم يكن أبو حنيفة أوّل القياسيين في الفقه، بل سبق كلا من شيوخه في القياس منهم².

وقيل أنّ أبا الأسود (ت 69هـ) هو أوّل من أسّس العربية ووضع قياسيها³، ولكن الياسري يقول أنّ: "القياس في هذا الكلام لم يرد على لسان أبي الأسود وليس فيه ما يدلّ على أنّ قياس أبي الأسود يماثل القياس

¹ الخصائص، المصدر السابق، ج 1، ص: 357.

² القياس، المرجع السابق، ص: 84.

³ طبقات فحول الشعراء، المصدر السابق، ص: 05.

النحوي المنطقي، ويواصل في نفس الموضع ما روي عنه من روايات قليلة تتعلق بالبحث على تأليفه النحو أن المقصود بقياس أبي الأسود لا يتعدى وضع مثال الأبواب النحو التي قاس عليها النحو فيما بعد تقسيمهم موضوعاته¹.

هو الذي أقر استقراء قوام العربية حتى وصل إلى تثبيت القياس الأصلي وفقا لمعايير الشبه اللفظي. وتجاوز الخليل، فافترض القاعدة مجردة عن النظر المطرد، كما افترض أن اللغة الفصيحة كلها قياس وعلى بناء قبل وبعد كتعويض عن الإضافة في كل الصيغتين، ولقد اضطر الخليل دفاعا عن نظرية عموم القياس أن يلجأ إلى القول بنظرية الجرح.

كان للخليل أيضا القسط الأوفر في إقرار نظرية التعليل وأوضح النحاة تبعاً له وأن القاعدة المطردة هي التي تعتبر في القياس، فبينما تقدّر القاعدة مثلاً أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تقدّر فإنّ النحوي يعطينا أمثلة من أوجه الإفادة المتنوعة للاستبداد بها ثم يقول لنا ابن مالك في باب الابتداء.

ورغبة في الخير خير وعمل برّ يزين وليقس ما لم يقل.

ولكنّ النحويين على وعي بأنّ اللغة تضبطها قوانين دقيقة مثل التي نراها في الرياضيات، ولذلك يلاحظ الشاذ عن القواعد المطردة والاستعمالات النادرة والتعابير الضرورية في الأساليب الفنية².

ويقال: "أنّ ابن أبي إسحاق أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وكان ابن أبي إسحاق أشدّ قياساً وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغتها وعمل بها"¹.

¹ الفكر النحوي، المرجع السابق، ص: 206.

² تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص: 33-39.

وهو الذي قال فيه يونس: "لو كان في النَّاس اليوم أحد لا يعلم إلاَّ علم بن أبي إسحاق يومئذ لضحك منه، ولو كان فيهم من ذهنه ونفاذه، ونظر نظرة لكان أعلم النَّاس"².

وبهذا يبقى عبد الله ابن إسحاق أوَّل من عني بالقياس بمعناه الحقيقي وولع به، قال عنه ابن سلام: "أعلم أهل البصرة وأعقلهم، ففرع النحو وقاسه"³.

ولكن مدرسة القياس بنشئها وضعت حدًا للجدال الذي كان قائمًا حول المنع والجواز والتي كانت على يد أبي علي فارسي وتلميذه ابن جنِّي الذي بلغ ذروة القياس وفلسفته وأتته أعلى علماء اللّغة كعبا في القياس، هو القائل: "رسالة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عيون النَّاس"⁴.

والقياس عند الخليل وسيبويه قياس نظري قائم على الحس اللغوي والملاحظة الفطرية، ليس فيه أي أثر فلسفي يذكر ومنطقي أيضا، فكان يتمشى وطبيعة اللغة وفطرتها فغلبت فيه على صناعة المناطقة"⁵.

وأوَّل ما اتَّخذ سبيلا أصوليًا، ويعتبر أوائل النحاة كما سبق الذكر أبو علي الفارسي في التقعيد والتعليل اللغوي والنحوي⁶.

¹ طبقات النحويين واللغويين، المرجع السابق، ص: 15.

² إنباه الرواة، المصدر السابق، ص: 275.

³ طبقات فحول الشعراء، المصدر السابق، ج 1، ص: 145.

⁴ الخصائص، المصدر السابق، ج 1، ص: 84-88.

⁵ أبو علي الفارسي، المصدر السابق، ص: 219.

⁶ أبو علي فارسي في مصنفات ابن جنِّي، مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه، ص: 142.

وقال كذلك ابن جنّي: "والله هو وعليه رحمته، فما كان أقوى قياساً هو أشدّ بهذا العلم اللطيف شريف إنّما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على ضدّه الطّريقة مع علة أصحابها وأعيان شوقها سبعين سنة، زائفة عليه، ساقطة عنه مكلفة، وجعله همه عنه ولولا يعارضه فيه ولا يسوم به مطلب ولا نجد رئيساً إلّا بأخرى، وقد حفظ من أنقاله وألقى عصائر حاله"¹.

2-3-أركان القياس:

- الأصل: هو المقيس عليه.

- الفرع: هو المقيس.

- الحكم.

- العلة الجامعة.

-المقيس عليه:

من شروطه ألا يكون شاذّاً خارجاً عن سنن القياس فيما كان كذلك لا يجوز القياس عليه كتصحيح مثل: استحوذ، استصوب، استنزف.

-المقيس (الفرع):

هو ما يُقاس على الأصل، وشعار ذلك كما سبق ذكره وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

-التعليل (العلة):

العلة ارتباط بالأصل، لأنّ ما جاء على أصله لا تسأل عن علة.

¹ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص:276.

-الحكم:

جواز القياس من أصل اختلف في حكمه كقولهم في (إلا) أنها نابت مناب فعل، فهي تعمل عمله قياساً على (يا) فإنّ إعمال "يا" مختلف فيه¹.

وعليه فإنّ عملية القياس النحوي تتم وفق مراحل:

أ- رصد الظواهر اللغوية وتصنيفها بحسب تماثلها في التركيب الإعرابي أو الصيغ الصرفية وتقرير القاعدة على استقراء الغالب في السّماع.

ب- استبعاد كل صيغة لم ترد في السّماع، ولو كانت موافقة للقياس النظري، وهذا ما نظّمه من فصيح ثعلب حيث قال:

ولا تقل يعسو ولا ذا عاس إنّ السّماع مانع القياس

ج- اعتبار ما خرج عن القاعدة المطردة سماعاً منقولاً لا يحفظ ولا يُقاس عليه مثل الشاذ والنّادر، وما دعت إليه الضّرورة.

***فالشاذ:** مثل إعراب "سنين" بالحركات ونصب الفعل المضارع مع حذف "أنّ" في قولهم "تسمع بالمعيدي خير من ثراء"، وجمع فارس على فوارس واستعمال "يا" مع اللهم وتصغير "خرب" دون إلحاق، إضافة اسم الظاهر إلى "يا" وإلحاق "هاء" السكتة فيما يعرب مثل قول الشاعر: أرمض من فوق وأضحى من.

¹القياس، المرجع السابق، ص: 111.

*النادر: هو الذي لا يتسع استعماله في كلّ قبائل العرب، مثل لغة هذيل في إبدال ألف المقصورة ياء في حال إضافتها لياء المتكلم نحوي هوي في هو أي ومنه قراءة (اتَّبَعَ هُدًى)¹، وكذلك لغة بني تميم في قولهم.

*الضَّرورة: وأنواعها كثيرة في الشَّعر، مثل ترخيم عين المنادى وصرف مالا ينصرف وتأنيث المذكر كقول الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذلك الكمال².

2-4-أنواع القياس³:

1. حمل فرع على أصل: مثل إعلال الجمع وتصحيحه حملا على المفرد، كقوله مديم، ديمة وثورة في جمع ثور.

2. حمل أصل على فرع: ومثله إعلال المصدر لإعلال فعله وتصحيحه لتصحيح الفعل، مثل قمت قيا ما

3. حمل النّظير على النّظير: فالنّظير في اللفظ مثل زيادة إنّ بعد (ما) المصدرية الظرفية والموصولة لأنّهما للفظ ما النافية ودخول لام الابتداء (ما) النافية حملا لها في اللفظ على (ما)الموصولة، والنّظير في المعنى جوازا غير قائم الزيدان على (ما قام الزيدان) أمّا النّظير في اللفظ والمعنى وهو أن يرفع فعل التفضيل اسما ظاهرا.

4. حمل ضدّ على ضدّ: كالنّصب بـ"لم" حملا على الجزم بـ"أن" وفي الجزولية في باب البناء أنّ الشّيء

قد يحمل على مقابله، مقابل على مقابله¹ وعرفه أرسطو بقوله: " الاستدلال الذي إذا سلّمنا

¹ طه: 123.

² تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص: 36.

³ السيوطي، الاقتراح، المصدر السابق، ص: 32.

فيه بمقدّمات معيّنة لزم عنها بالضرورة شيء آخر غير تلك المقدّمات².

وهناك ربط بين النحو والقياس في قول الكسائي³:

إنّما النحو قياس يُتَّبَعُ وبه في كلّ أمر ينتفع

وجعل النحو كلّ قياس وهذا الرّبط بين المفهومين في تعريف السيوطي للنحو بأنّه: "علم بالمقاييس مستنبطاً من استقراء كلام العرب"⁴.

ولا نجد المحدثين يخرجون كثيراً عن تعريفات القدامى فدي سوسير يعرفه بأنّه: محاكاة لصيغة أخرى وقد حدّد سوسير ذلك بعملية رياضية في شكل المعادلة على النحو الآتي:

إذا كان جمع نصيحة نصائح، فإنّ جمع فريدة فرائد⁵.

ولعلّ المتحدّين الأشمل للقياس هو ما ذكرته خديجة الحديثي بأنّه مجهول على معلوم، وحمل غير منقول على ما نقل، وحمل ما لم يسمع على ما سمع في حكم من الأحكام، وبعلة جامعة بينهما، وأهو عمل ما يجد من تعبير على ما اخترته الذاكرة وحفظته ووعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت⁶.

¹ المرجع السابق، ص: 33.

² محمد العيد، أصول النحو العربي، المرجع السابق، ص: 75.

³ هذا البيت مطلع قصيدة الكسائي، ذكرها في إنباه الرواة. ج2، ص: 26.

⁴ القياس، المرجع السابق، ص: 11.

⁵ علم اللغة المعاصر، المرجع السابق، ص: 104.

⁶ الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص: 221.

ولذلك فالقياس عربي الأصل من نتاج العرب الفكري، كما للأمم الأخرى نتاج فكري جاء من معارف الدين وعلومهم ليدخل إلى النحو عندما رأى علماء العربية الأوائل إنّ ما جمعه من صيغ وتراكيب لا يشمل كلام العربي كلّ، فاضطّروا إلى إيجاد وسائل وجعل ما لم يرد مقيسا على ما ورد لتكون القواعد العامة تشمل كلام العرب، وما يرد إليه من ألفاظ غير عربية جاءت في جملة ما تكلم بها العربي وأراد أن يطبق عليها قواعد العربية فادخلوا القياس تقعيدهم للغة العربية، فكان أبرز العوامل التي أدّت إلى تقعيد الكلام العربي¹.

أنواع القياس عند السهيلي يقول: أولى تقسيمه إلى:

1. القياس العام: وبعضهم يسمّيه القياس الأصلي، وهو إلحاق اللفظ بنظير كالمسموع والمماثل، ولقد استعمله النحويون في كثير من الأحكام وبالخصوص في أبنية المصادر والجموع وتصريف الأفعال والصيغ الصّرفية.

2. القياس النظري: هو إلحاق اللفظ بنظيره غير مماثل أو بنظيره غير مسموع، ومثال الأول قياس ترخيم المركب المزجي على الأسماء المنتهية بتاء التأنيث أمّا الثاني فنراه من صيغ مفردة قرّر النحويون أنّها ولو لم يكن لها نظير تقاس عليه.

3. القياس التحليلي: وهو ما يرد للتنبية على علة الحكم مثل: قول النحويين إنّ الفعل المضارع أعرب قياسا على الاسم لمشابهته له في احتمال عدّة معاني لا يثبت أراد منها الإعراب².

¹المرجع نفسه، ص: 60.

²تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص: 33.

2-5- موقف العلماء من القياس:

وقف العلماء من القياس موقفين، الموقف الأوّل هو موقف الرفض والذي حاول فيه بعضهم الاختصار والالتزام به والجود عليه، ولم يكتب لهذا الفريق البقاء لمخالفته طبائع الأشياء السارية في ركاب التجريد، إذ أنّه من غير المعقول أن يكون كلامنا كلّ بمفرداته وتراكيبه واردا عن العرب، وقد مثّل هذا الفريق الأصمعي¹، وقال عنه ابن جنّي: "إنّه ليس ممن ينشط للمقاييس وتوفّره على ما يروى وبحق"² والفريق الثاني اعتمد القياس وأخذ به، ورأى أنّ المصير إليه ضرورة تمليها علينا بنية اللّغة المتجدّدة، وقد مثّل هذا الفريق الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد وصفه ابن جنّي بأنّه: "سيدّ قومه وكاشف القياس في عمله" كما سبق الذكر.

وهذا دون إغفال دور السّماع الذي يعمد إليه القياس، إذا تعارض القياس والسّماع نطقت بالمسموع على ما جاء، ولم تقسه في غيره نحو، وقد يتعارض القياس والسّماع وهنا تنطق: "بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره"³.

السّماع يبطل القياس لكن يشترط ألا يقاس عليها، ونجد(ابن جنّي) وهو مدرسة القياس يجعل الاستعمال أولى من القياس ويقدمه عليه، ويقرّر قاعدة تجيز رأيه في المسألة ويدعو كلّ عربي إلى

¹ علي فاضل الشمري، أصول النحو عند المبرد، رسالة ماجستير جامعة موصل، 2003، ص: 40.

² الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 361.

³ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 156.

إِتِّبَاعُهَا مَفَادُهَا: "أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا اطَّرَدَ فِي الِاسْتِعْمَالِ وَشَذَّ فِي الْقِيَاسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِتِّبَاعِ السَّمَاعِ الْوَاردِ بِهِ فِي نَفْسِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَتَّخِذُ أَصْلًا يَقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ"¹.

وَإِذَا تَعَارَضَتْ قُوَّةُ الْقِيَاسِ وَكَثُرَ الِاسْتِعْمَالُ قُدِّمَ الْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا، وَلِذَا قُدِّمَتِ اللَّغَةُ الْحَاجَازِيَّةُ عَلَى التَّمِيمِيَّةِ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَا وَلَقُوَّةُ التَّمِيمِيَّةِ فِي الْقِيَاسِ فَرَعَ إِلَيْهَا مِنْ رَابٍ رِيبٍ مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ وَنَقْصٍ².

إِذَا تَعَارَضَ أَصْلٌ وَالْغَالِبُ قُدِّمَ الْأَصْلُ، عَلَى الْأَصَحِّ فِي الْفَقْهِ، فَيَصْرَفُ (فُعَلَّ) مِمَّا حَيْثُ لَمْ يُدَرَّ عَلَيْهِ: حَمَلًا عَلَى أَصْلِ الْأَسْمَاءِ فِي الصَّرْفِ وَمَذْهَبٍ غَيْرِهِ مَنَعَ الصَّرْفِ حَمَلًا عَلَى الْأَكْثَرِ فِي كَلَامِهِمْ³.

قَالَ فِي (الْخَصَائِصِ): "إِذَا تَعَارَضَ الْقِيَاسُ وَالسَّمَاعُ نَطَقَتْ بِالْمَسْمُوعِ عَلَى مَا جَاءَ عَلَيْهِ وَلَمْ تَقْصُ فِي غَيْرِهِ، نَحْوُ (اسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ)، فَهَذَا لَيْسَ قِيَاسًا، لَكِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَبُولِهِ لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَتَنَقَّقُ بِلُغَتِهِمْ، وَتَحْتَذِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ أَمْتَلَتِهِمْ، ثُمَّ إِنَّكَ مِنْ بَعْدِ لَا تَقِيسُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَلَا تَقُولُ فِي اسْتِقَامِ اسْتَقْوَمَ وَلَا اسْتَبَّاحِ اسْتَنْبَحَ"⁴.

3- الإجماع:

*لُغَةُ: الْعَزْمُ (جَمْعُ أَمْرٍ وَاجْمَعِهِ). وَاجْمَعُ عَلَيْهِ: عَزَمَ عَلَيْهِ⁵.

قَالَ تَعَالَى: "فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ"⁶.

وَالِإِجْمَاعُ: الْإِتِّفَاقُ وَالِإِدْغَامُ، فَيُقَالُ أَجْمَعُوا عَلَى الْأَمْرِ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ وَالْجَمَاعَةُ إِذَا اتَّفَقُوا يَقَالُ: أَجْمَعُوا¹.

¹ الْخَصَائِصُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ج 1، ص: 146.

² فِي عِلْمِ أَصُولِ النُّحُو، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص: 106.

³ الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص: 107.

⁴ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ، الْاِفْتِرَاحُ فِي عِلْمِ أَصُولِ النُّحُو، دَارُ الْمَعْرِفَةِ الْجَامِعِيَّةِ، 2006.

⁵ لِسَانُ الْعَرَبِ، ج 1، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص: 681 مَادَّةُ جَمْعٍ.

⁶ يُونُسُ، الْآيَةُ: 71.

وقال تعالى: " فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا " ².

ويقول الفراء الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول أجمعت الخروج وعلى الخروج ³.

* في الاصطلاح النحوي:

إجماع النحاة من أهل البلدين في البصرة والكوفة ⁴، ويقول ابن جنّي: " اعلم أنّ أهل البلدين، إنّما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألاّ يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص " ⁵.

ومما يلاحظ هناك التقاء في التعريف اللغوي والاصطلاحي.

ويرى أبو حامد الغزالي عن الإجماع في علم أصول الفقه بأنّه: " دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة المتواترة " ⁶.

وأدلة النحاة أوائل كانت كأدلة الأصوليين وهي النص أو السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال والاستحسان، وبحثوا مثلما بحث الأصوليين في شروط الرواية وصفات الرواة والنقل ⁷.

¹ قاموس المحيط، المرجع السابق، (مادة جمع).

² طه، الآية: 64.

³ معاني القرآن، للفراء، المصدر السابق، ج2، ص: 185.

⁴ المقصود بالبلدين البصرة والكوفة.

⁵ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 189.

⁶ أبو حامد الغزالي، المستصفى، تح: الشيخ أبراهيم محمود رمضان، دار الأرقم، بيروت، لبنان، د، ت / د، ط ج1، ص: 215.

⁷ الفكر النحوي، المرجع السابق، ص: 158.

وبالتالي فمتناول لدى الأصوليين هو ما تناوله النحاة من خلال التقسيمات وأنواع وغيرها ولكن رغم هذا الشبه إلا أنه لا يمكن أن نسلم لأنّ "من وضعوا أصول النحو قد تأثروا بالفقهاء تأثراً تاماً، وإنّ ألحوا هم إلى أنّ ما عملوه سائر على نمط أصول الفقه"¹.

والإجماع يعدّ من الأدلة النحوية وهم بهذا نحواً منحى الفقهاء في مسألة إجماع الأمة التي عدوها دليلاً من أدلة الفقهاء، وما كان النحاة الأصوليين أن يفعلوا ذلك لأنّه أمر لا يمكن تحقيقه أو استقصاؤه في جميع المسائل إلا ما كان منها عامّاً وشائعاً، كما كانت مسألة إجماع الأمة لدى الأصوليين قبلهم صعبة التحقق في المسائل الفرعية جميعها، إلا ما كان يتعلق منها بمسألة رئيسية من مسائل الدين، فاضطروا إلى تصنيف دائرة الإجماع إلى إجماع الخلفاء الراشدين أو إجماع أهل المدينة أو إجماع المذاهب وهكذا تحقق إجماع الأمة أمر متعذر المنال في كلّ الأمور"².

وقد أقام ابن جنّي موازنة بين الإجماع الديني والإجماع اللغوي³.

وتوصّل إلى مبدأ تفرد به دون غيره وهو "أنّ الصّواب والخطأ لا يكون لهما معنى إلا بالقياس إلى مرجع يرجع إليه خارج الحقيقة نفسها التي نصفها بالصواب أو الخطأ"⁴.

¹ الاقتراح، المصدر السابق، ص: 02.

² علي مزهر الياسري، الفكر النحوي عند العرب - أصوله ومناهجه، تقديم: عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003/1423.

³ رشيد حلمي، أصول النحو عند ابن جنّي، دراسة لسانية في كتابيه الخصائص والمحتسب، دار قرطبة، الجزائر ص: 150.

⁴ زكي نجيب محمود، المعقول ولا معقول في تراثنا الفكري. دار الشروق، بغداد، د، ط/د، ت. المرجع السابق، ص:

وأخذ ابن جنّي بأدوات الإجماع في مواضيع التأويل اللغوي للقراءات واحتج به في المحتسب وفي أكثر من مقام¹.

وبليه إدغام الآية الكريمة " وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ "²، وبعد إظهار نون الاسم الموصول (من) خزّ بها على أنّها قراءة اتّفقت عليها الجماعة، وهذا ما يدلّ عليه قوله: "ويكفي من هذا إجماع الجماعة على إدغام (من راق) غير مما تترك سبيلا"³.

وعن ابن جنّي: " انتزع بعض أصحاب أبي حنيفة الذين كانوا ينتقون من فتاوى الصحابة التي توافق مناهجهم "⁴.

وتكلموا في الاجتهاد كما تكلم الفقهاء، وكان لهم مزاياهم في بناء القواعد على السّماع والقياس والإجماع، كما بنى الفقهاء أحكامهم على السّماع والقياس والإجماع⁵.

إنّ جميع الصّحابة - رضي الله عنهم - قالوه واستدلّوا عن نبيّهم صلّى الله عليه وسلم، وليس الإجماع بديل شيئاً غير هذا، وأمّا ما لم يكن إجماعاً في الشريعة غير ضرار وأمّا ما لم يكن إجماعاً في الشريعة، فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم أوسعت بعضهم ولو واحد منهم عن الكلام فيه⁶.

ولا يتحقق الإجماع عند علماء الأصول إلا إذا توافرت فيه أمور:

¹ ابن جنّي، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات وإيضاح عنها، المصدر السابق، ج1، ص: 279.

² القيامة: 27.

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 94.

⁴ رشيد حلمي، المرجع السابق، ص: 156.

⁵ سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، المرجع السابق، ص: 105.

⁶ الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: الشيخ إبراهيم العجوز، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص: 50.

*أن يكون الإتقان من المجتهدين وأما العوام ومن لم يبلغ درجة الاجتهاد فلا اعتبار باتفاقهم ولا بخلافهم، لأنهم ليسوا أهلا للنظر في مدارك الأحكام الشرعية وعن هذا لو خلا بعض العصور من المجتهدين لا يتحقق الإجماع، وإذا وجد عدد منهم في أي زمن تحقق الإجماع باتفاقهم مهما كان عدد المجتهدين عند الجمهور.

ومن العلماء من اشترط في المجتهدين الذين يتحقق الإجماع باتفاقهم أن يبلغوا في عددهم حد التواتر ومنهم من اكتفى بثلاثة، واختلفوا في اتفاق الإثنين فقل عصره سواء لم يكن ذلك إجماعاً لأنه لا اتفاق ولا اختلاف.

*أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين أما إذا اتفق أكثر المجتهدين على حكم من الأحكام، فإنه لا يكون إجماعاً عند الجمهور من العلماء مهما قل عدد المخالفين لأن الحق يحتمل أن يكون في جانب المخالف الأكثر ولو كان واحداً.

من العلماء من يرى تحقق الإجماع باتفاق أكثر المجتهدين مع مخالفة الأقل ومنهم من يرى حجته ولكنه لا يسميه إجماعاً.

*أن يكون المجتهدون من أمة بعد اتفاق المجتهدين من أمة غيره من الأنبياء السابقين إجماعاً شرعياً، وهذا على فرص وجود المجتهدين في إتباع أولئك الأنبياء، وذلك لقيام الأدلة على اختصاص الأمة المحمدية بالعصمة من الخطأ عند الاتفاق بخلاف من الأمم.

*أن يكون الإجماع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا لا وجود للإجماع ولا اعتبار به في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الرسول وافق الصحابة على الحكم الذي فيه اتفقوا عليه، كان الحكم ثابتاً بالسنة لا بالإجماع وإن خالفهم، سقط اتفاقهم ولا يكون من اتفقوا عليه حكماً شرعياً.

*أن يكون الحكم الذي اتفق عليه جميع المجتهدين حكماً شرعياً كالوجوب أو الحرمة أو الصحة أو الفساد أو غيرها، وعلى هذا لا يكون الاتفاق على الأحكام اللغوية أو العقلية إجماعاً شرعياً كاتفاق العلماء على أنّ حرف (الفاء) يفيد الترتيب والتعقيب وإنّ (ثم) تفيد الترتيب مع التراضي وكاتفاهم على حدوث ما أشبه ذلك¹.

والإجماع دليل عند الفريقين (الفقهاء والنحاة) ونظرة الفقهاء والنحاة إليه ليست النظرة نفسها بحيث القيمة التي يعطيها الفقهاء والأصوليين إلى الإجماع ليست نفسها التي يعطيها النحاة، بل بعض منهم لا يعتبره دليلاً نحوياً مطلقاً، والبعض الآخر يعتبره دليلاً يستأنس به، لكن يمكن مخالفته بشروط ومن اعتبره لم يجعله في درجة الثانية بعد السماع بل جعله في الدرجة الثالثة².

وهناك من لم يجعل الإجماع كدليل من أدلة النحو أمثال ابن الأنباري في كتابة إلّا أنّ ابن الأنباري "يتعلّق بالإجماع الفقهي أكثر ما يتعلّق بالإجماع النحوي، لأنهم أجمعوا على فكرة النحو، وأنّه مقابل شرعاً ولم ينكر على استحداثه هذا العلم"³. ولم يفرد له باباً أمّا ابن جنّي فقد عدّ الإجماع في العربية حجة، إلّا أنّه لم يعطه القوة التي نجدها في الإجماع الفقهي⁴.

ويقول ابن جنّي في الخصائص "اعلم أنّ إجماع أهل البلدين إنّما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده إلّا يخالف المنصوص، والمقيس على المنصوص فأما إن لم يعط بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه"⁵.

وهذا يعني أنّه اشترط فيه أن لا يخالف المنصوص والمقيس على النص.

¹ الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص: 432.

² خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1974، ص: 404.

³ محمد الحباس، النحو والعلوم الإسلامية دراسة في المنهج، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، د.ت، ص: 407. لمع الأدلة، ص: 95)

⁴ المرجع نفسه، ن.ص.

⁵ الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص: 02.

وهذا إذن "إشارة إلى أنه من الأدلة الضعيفة قد ميّزه عن الإجماع في الفقه، فالإجماع في اللغة غير ملزم ويجوز الخروج عنه"¹، لأنّ "النحو علم منتزع من استقراء هذه اللغة"².

وهذا ابن جنيّ مثل له بإنكار أبي العباس جواز تقديم خبر (ليس) عليها، أعدّ ما يحتج به عليه أن يقال له هذا أجاز سيبويه وكافة أصحابنا والكوفيين أيضاً، فإذا كان ذلك مذهبا للبلدين يجب أن تنفر من خلافه³.

وحتى ابن جنيّ نفسه خرج عن الإجماع فقال: "فمّا جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدء هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم" هذا: "جر صبّ خرب"، فهذا يتناوله آخر عن أول عن ماض على أنه غلط من العرب ولا يختلفون فيه ولا يتوقعون عنه، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز ردّ غيره له وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مثل هذا الموضع نيّفاً على ألف موضع وذلك أنه على حذف للمضاف لا غيره..."⁴.

أمّا الإجماع في الفقه فهو ملزم لأنّها مستمدة من قوله صلى الله عليه وسلم " لا تجتمع أمتي على ضلالة"⁵.

ورغم تجويز ابن جنيّ الخروج عن الإجماع إلّا أنّه نصّ على عدم الإقدام على مخالفة الجماعة وفي قوله: "إلّا أنّنا مع هذا رأينا وسوّغنا مرتكبه لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدّم نظرها ونالت أوفر على أوائل، والقوم الذين لا نشكّ في أنّ الله سبحانه وتعالى قد هداهم لهذا العلم الكريم إلّا بعد أن يناهضه إتياننا يثابه عرفانا، ولا يخلد إلى سانح خاطرة ولا إلى ثروة من ثروات فكره،

¹ عباس علي حسين الأوسي، **الدرس النحوي في الموصول**، رسالة ماجستير، 2003، ص: 109.

² **الخصائص**، المصدر السابق، ج1، ص: 189.

³ **الاقتراح**، المصدر السابق، ص: 42.

⁴ **الخصائص**، المصدر السابق، ج1، ص: 189-191.

⁵ **المصدر نفسه**، ج1، ص: 189-191.

فإذا هو هذا على المثال، وياشر أثناء الحال، أمضى الرأي فيما يراه الله منه، غير معاز به ولا غاص عن السلف رحمهم الله في شيء فإنه إذا فعل ذلك سُدَّ رأيه و تُشيع خاطره، وكان بالصَّواب منته ومن التوفيق مظنة¹.

واعتبر الكثير الإجماع في الأمور اللغوية، فحذفه ممنوع وإن تردّد بعضهم فيه².

أمثال أبو البركات الأنباري رغم أنّه كما سبق الذكر أنّه لا يفرد له باب في كتابه الا أنّه استدّل به كثيرا في الرد على النحاة الذين تقرّدوا بآراء بنوا عليه أحكاما مخالفة لما أجمع عليه النحاة واعتبر المخالفة غير جائزة، ووصف الرأي المخالف بالفساد والخطأ، أورد بعض الأحكام والآراء قياسا على مواضع ورد الإجماع بامتناعها، فالمخالفة عنده غير جائزة والقول مخالف فاسد، يتّضح ذلك من خلال ردّه على المازني في مذهبه من أنّ جواب الشرط مبني على الوقف، يقول في أثناء حديثه عن عدم الجزم في جواب الشرط وأمّا من ذهب إلى أنّه مبني على الوقف فقال لأنّ الفعل المضارع إذا أعرب بوقوعه موقع الاسم، وجواب الشرط لا يقع موقع الاسم لأنّه ليس من مواضعه فوجب أن يكون مبنيا على أصله وكذلك فعل الشرط³.

ونجد هناك من النحاة الذين يعتبرونه من الأصول المعتمدة ومنعوا الخروج عليه⁴، أمثال الخشاب الذي يرى "مخالفة المتقدمين لا تجوز"⁵.

¹المصدر نفسه، ص: 193.

² يحيى بن محمد أبي زكرياء الشاوي المغربي الجزائري، ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، دار الأنبار، ط1، الرمادي العراق، 1990. ص: 140.

³خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1974 ص: 483.

⁴أصول النحو عند ابن مالك، السماع والقياس علة النحوية-الإجماع والاستصحاب، قواعد الاستدلال، المرجع السابق ص: 274.

⁵ الاقتراح في علم أصول النحو، المصدر السابق، ص: 36.

وجاء عن العكبري: "أنّ خلاف الإجماع مردود والسيوطي تحدث كذلك عنه وجعله حجة بين الأصول النحوية"¹.

وبعد سيبويه أول من استخدمه، وعني به إلا أنّه يلامس عدم ظهور هذا الأصل في كتاب سيبويه إلا أنّه ذكره وصرّح به من خلال تعبيرات عدة منها، قوله "كان إجماع العرب" "إجماع النحويين" وعبر كذلك بأجمع أو مجمعون أو نحوها ومنها التعبير بـ (كل العرب) أو (كل النحاة) أونحوها².

ولكن مخالفة الإجماع لا تكون من باب المخالفة هكذا فقط، "فالنحاة جوزوا مخالفة الإجماع إذ أثبت عند النحوي رأي أقوى منه، ولا نقصد بالرأي هنا ما اعتمد على سماع، لأن السماع مقدم على كلّ الأدلّة النحوية وإنّما نقصد القياس ولكنه في مخالفة الإجماع أن يكون ذلك عن نية ودليل قوي مع احترام المخالف لمن سلم من العلماء"³.

وللإجماع أنواع منها: إجماع الفقهاء، إجماع الأصوليين، إجماع النحاة وأشار السيوطي إلى نوع آخر من الإجماع هو إجماع العرب⁴. وذكر واضعو الأصول النحوية من الإجماع ثلاثة أنواع: الأول والثاني إجماع العرب وإجماع النحاة والمقصود بإجماع العرب اتفاقهم على النطق بشيء من كلامهم وغالب ما يشير النحاة إلى هذا الإجماع عندما يكون على خلاف القياس، وقد يشيرون إليه عند موافقته للقياس⁵

¹المصدر نفسه، ص:43.

² خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ص: 491.

³الحباس، المصدر السابق:409.

⁴ الإجماع في الدراسات النحوية، المرجع السابق، ص: 201.

⁵أصول النحو في الخصائص، المرجع السابق، ص: 204.

والثاني يقصد به إجماع البلدين (البصرة والكوفة) والنوع الثالث الإجماع السكوتي وهو أن يتكلم العربي بشيء ويبلغهم ويسكتون عليه¹.

4- استصحاب الحال:

4-1- التعريف به:

هو أحد الأصول النحوية التي اعتمد عليها النحاة في تأصيل قواعد النحو وأحكامه، وإن لم يرق إلى أهمية كل من السماع والقياس، وأمّا المقصود به:

***لغة:** استصحب الرجل دعاه إلى الصحبة وكلّ ما لازم شيئاً فقد استصحبه²، وجاء في الصحاح: "وكلّ شيء لازم شيئاً فقد استصحبه"³.

وقال أحمد بن فارس وغيره: استصحاب الكتاب وغيره حملته في صحبتي، ومن هنا قيل استصحبت الحال إذا تمسكت بما كان ثابتاً كأنك جعلت تلك الحال مصاحبة غير مطابقة⁴.

***اصطلاح:** تعريفه " الاستصحاب عبارة عن إبقاء ما كان على ما كان عليه لانعدام المغير وهو الحكم الذي يثبت في الزمان الثاني بناء على الزمان الأول"⁵.

وقد عرّفه ابن الأنباري: " هو إبقاء اللفظ على ما يستحقه عند إنعدام دليل على الأصل"⁶.

¹الفكر النحوي، المرجع السابق، ص: 167.

²لسان العرب، المصدر السابق، مادة (صحب)

³الصحاح، المصدر السابق، مادة (صحب).

⁴المصدر نفسه، ن ص.

⁵ الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأخياري، دار الفكر الغربي، ط1، لبنان، 1984، ص: 29.

⁶ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، المصدر السابق، ص: 431.

وهو كذلك من أدلة النحو التي انتقلت إليه من علم الفقه وأصوله، ويُراد به إبقاء حال اللفظ ممّا يستحقّه في الأصل عند انعدام دليل النقل عن الأصل¹.

ولقد "كان الاستصحاب في بداية الأمر من أصول الفقه إذا كان قد اعتبره من الأصول التي اتخذها الفقهاء أدلة للأحكام وكما يقال لا يعد من الأدلة القوية في استنباط لآئته مبني على استمرار الحال"².

قال ابن الأنباري "اعلم أنّ استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة، والمراد باستصحاب حال الأصل في الأسماء، وهو الإعراب واستصحاب حال الأصل في الأفعال وهو البناء، حتى يوجب في الأسماء ما يوجب في البناء ويوجب في الأفعال ما يوجب الإعراب"³.

وقال ابن الأنباري في جدله: "الاعتراض على الاستدلال بالاستصحاب الحال بأن يذكر دليلاً على زاوله، أن يدلّ الكوفي على زاوله"⁴ إذا تمسك البصري به في بناء فعل الأمر، فيبيّن أنّ فعل الأمر مقتطع من المضارع ومأخوذ منه، والمضارع قد أشبه الأسماء و زلّ عنه، استصحاب حال البناء، وصار معرب بالشبه فكذلك فعل الأمر والجواب أن يبيّن أنّ ما توهمه دليلاً لم يوجد فيبقى التمسك، باستصحاب الحال صحيحاً"⁵.

¹فاضل سيد عبود الشمري، التفكير النحوي عند المبرد، أطروحة دكتوراه، 2003.

²فاطمة رواق، منهج السهيلي في الدرس النحوي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2009، ص: 34.

³لمع الأدلة، المصدر السابق، ص: 141.

⁴الإعراب في جدل الإعراب، المصدر السابق، ص: 63.

⁵جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النّحو، ص: 377.

ويرى محمد الحباس "أهمّ نحوي تحدّث عن استصحاب هو ابن الأنباري حيث ذكره في كتابه (الإعراب في جدل الإعراب) وفي كتاب الآخر (لمع الأدلّة في أصول النحو) واعتبره ثالث الأدلّة بعد السّماع والقياس"¹.

وهو عند الفقهاء من الأدلّة الضعيفة "يعتبر في مرتبة الخامسة من مراتب الأدلّة الشرعية، وهو من الأدلّة المختلفة فيها، وهو كذلك من أضعف الأدلّة عند الفقهاء، ولهذا اختلف في حجّيته، كما رأينا فإذا عارضه دليل من الأدلّة السابقة ردّ به، ولا يحتج بالاستصحاب إلّا عند فقدان الدليل من الأدلّة المتفق عليها، فإذا عرض للمجتهد قضية بحث أول الأمر في الكتاب ثمّ في السنّة، ثمّ في القياس فأعياه البحث لجأ إلى الاستصحاب"².

عند النحويين رتبة ابن الأنباري في الدّرجة الثالثة بعد السماع والقياس، ولكنه يصفه تارة ابن الأنباري في الدّرجة الثالثة بعد السّماع والقياس لكنه يصفه تارة بأنّه من الأدلّة المعتبرة ويصفه تارة بأنّه من الأدلّة المعتبرة ويصفه تارة أخرى من الأدلّة الضّعيفة تماما كما فعل الفقهاء، والأصوليون وهو على نهجهم سائر³.

إنّ فاستصحاب الحال نظرية في أصول النحو طبّقها النحاة القدماء في مصنفاتهم لكن أحدا منهم لم يضع معالم هذه النظرية مكتملة غير ابن الأنباري⁴.

¹ محمد الحباس، النحو العربي والعلوم الإسلامية دراسة في المنهج، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ص: 41.

² المرجع السابق، ص: 413.

³ المرجع السابق، ص: 412.

⁴ عاطف فاضل محمد خليل، استصحاب الحال بين أصول الفقه وأصول النحو، جامعة السراء، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج10، ص: 339.

فكما يعتبر الاستصحاب من أدلة الفقه التي تنوعت عنه أصوله وفروعه كان أيضا أحد أدلة النحو التي جعلها ابن جنّي ثلاثة سماع وقياس وإجماع واستصحاب الحال وأسقط الإجماع إلا أنّ السيوطي اعتد بالإجماع والاستصحاب كليهما وجعل أصول النحو أربعة السماع والإجماع والقياس والاستصحاب ويقول أدلة النحو أربعة¹.

ولهذا باعتبار الاستصحاب من الأدلة الضعيفة لم يعتبر إلا في سبع مسائل وهو في هذه المواضع مرادف للتمسك بالأصل، ولهذا لم يعتمد في الاستدلال إلا في سبع مسائل.

- استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة، المسألة، 40-57.

- من تمسك بالأصل لا يطالب بالدليل المسألة 40.

- من تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال المسألة 88.

- العدول عن الأصل من غير دليل لا وجود له: المسألة، 110. المسألة 88.

وعدم الاستدلال به كلما استدل بالسماع والقياس هو كونه من أضعف الأدلة، ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل، فلا يجوز التمسك باستصحاب الحال في دليل البناء².

قال ابن الأنباري: "هو إبقاء حال اللفظ من ما يستحقه في الأصل إذ ينعلم دليل النقل على الأصل"³.

4-2-مكانة الاستصحاب: استصحاب الأصل والرد إلى الأصل من المصطلحات التي عرفها النحاة منذ نشأة النحو ومنذ وضع النحاة لقواعدهم أصولا وفروعا، ففي كتاب سيبويه نجد أن التمسك بالأصل من الأصول طبقها سيبويه واعتمد عليها ومن ذلك قوله: "فأما الأصل الأكثر جرى مجرى الفعل من

¹ الاقتراح، المصدر السابق، ص: 112.

² فاطمة رواق، منهج السهيلي في الدرس النحوي، جامعة قاصدي مرباح، 2009، ص: 43-44.

³ المرجع نفسه. ن ص.

الأسماء، فهو اسم فاعل وإنّما جاز في التي بنيت للمبالغة لأنّها بنيت للفاعل من لفظه والمعنى واحد، وليس بالأبنية التي هي في الأصل أن تجري مجرى الفعل بذلك على أنّها قليلة¹.

ومنه قوله "ويا أخانا زيدا أكثر في كلام العرب لأنّهم يردونه إلى الأصل حيث أزالوه عن الوضع الذي يكون فيه منادى"².

ومنه قول الخليل رحمه الله من قال يا زيد والنصر فنصب فإنّما نصب لأنّ هكذا ومنه قول الخليل رحمه الله من قال زيدا والنصر فنصب، فإنّما نصب لأنّ هذا من المواضع التي يردون بها الشيء إلى أصله، فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون يا زيد والنصر وثمّ يقول أعرج: "يا جبال أوبيّ معه والطير فرفع"³.

4-3- نظرة تمام حسان للاستصحاب:

1. يرى تمام حسان أنّ هذا دليل من أدلّة النحو لم يعطه المؤلفون حقه من العناية، بل اكتفوا بذكر بعض المصطلحات مثل (أصل الوضع، وأصل القاعة، والعدول عن الأصل والرد إلى الأصل دون أن يدخلوا في تفاصيل تلك المصطلحات).

2. عقد تمام حسان العزم على كشف تفاصيل نظرية الاستصحاب ووضّحه في موضعه الصّحيح في ترتيب الخطة النحوية متوسّطاً بين السّماع والقياس.

¹ سيبويه، الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص: 117.

² المصدر نفسه، ن ص.

³ مطير بن حسين المالكي، موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، جراسة في المؤلفات العربية والمترجمات، رسالة ماجستير، 1423 هـ، ص: 94-96.

3. مصطلحا التغيير والتأثير اللذان عرفهما النحاة سيرجعهما تمام حسان إلى تفاعل مباني اللغة وبتأثير مبني ذلك التفاعل وتتعدد صور الحرف والكلمة والجملة بحسب مقتضيات الأحوال من إدغام الحروف وقبلها وتصرف الكلمات وإسنادها والزيادة في الجملة والحذف

4. ومن هنا وجد النحاة ضرورة تحدد أصل الحرف والكلمة والجملة ووضعوا له اسما مشتركا هو أصل الوضع ثم وجدوا أنّ أصول القواعد تحتل بعض الاستثناءات فكان عليهم أن ينصوا على ذلك فنشأت القواعد الفرعية، حاول تمام حسان كشف مصطلحات النحاة في باب الاستصحاب حتى يأخذ مكانته الحقيقية بين الأدلة النحوية، وفيما يلي أهم المصطلحات التي درسها في هذا الباب: أصل الوضع، أصل القاعدة، العدول عن أصول القاعدة، الرد إلى الأصل (التأويل)¹.

¹تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو فقه اللغة - البلاغة، عالم الكتب، ص: 132-134.

مدخل الباب التطبيقي

المحتسب في تبين وجوه شواذ

القراءات و الإيضاح عنها

1- التعريف بكتاب المحتسب:

1-1- المحتسب:

***لغة:** الاحتساب هو طلب الأجر من الله بالصبر من البلاء، مطمئنة نفسه غير عارضة له، والحبسة بالكسر: الأجر، واسم من الاحتساب وأحسب عليه أنكر، ومنه: المحتسب.

والحُسابان بالضم: مصدر (حسب) بفتح السين وبالكسرة: مصدر (حَسِبَ) بكسرها، والكسر والفتح في مضارعه لغتان بمعنى واحد.

وما كان في القرآن من الحسابان قرئ باللغتين جميعا والفتح عند أهل اللغة أقيسه، لأن الماضي إذا كان على (فَعَلَ) كـ(شَرِبَ) و(خَرِبَ) كان المضارع على (يفعل)، والكسر حسن لمجيء السمع به، إن كان شاذًا عن القياس.

وحذف مفعول في باب (حسب) أسوغ من حذف أحدهما ويقال: "إنما يجوز حذف أحد مفعولين إذا كان فاعل (حسب) ومفعوله شيئًا واحدًا في المعنى كقوله تعالى: "ولا تحسبن الذين قُتِلُوا" على القراءة بالياء التحتية، وإنما حُذِفَتْ لتقوية الدلالة وقد يأتي حسبت النقي والجود خير تجارة، وحسب بالسكون أجدى مجدى الجهات الست¹.

و"حسبنا الله" أي محسبنا وعافينا، والدليل على أنه بمعنى المحسب قولهم (هذا الرجل حسبك)، على أنه صفة للنكرة، لكون الإضافة غير حقيقية، وهي إضافة اسم فاعل إلى مفعوله، و"كفى بالله

¹ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني الكوفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2/1998 مؤسسة الرسالة ، ص: 379.

حسبنا" أي محاسباً أو كافياً. وحسبنا الله كفاية عن قولهم اعتمدنا كما أن: "نعم الوكيل، كناية عن وكلنا أمورنا إلى الله تعالى¹.

*اصطلاحاً:

فلقد كان كتاب المحتسب، عن بعض ما فيه أثراً جليلاً من آثار هذا العالم، ولبنة راسخة في تراث القراءات، ومعلماً بارزاً في نحو العربية وصرفها ولغتها، وهو ما يزال يحتفظ بأهميته على الرغم من الكتب العديدة التي حاولت مجاراته، فهو نسيج وحده وإمام كتب الاحتجاج للقراءات الشاذة من غير منازع²، وهذا الكتاب يضم أحكاماً توجيهية للقراءات الشاذة، ويُعتبر كما قال الزكشي: "ومن أحسن ما وُضع فيه كتاب المحتسب لأبي الفتح، إلا أنه لم يستوف، وأوسع منه كتاب أبي البقاء العكبري"³.

فكتاب المحتسب لابن جنّي وكتاب (إمءاء ما من به الرحمن) لأبي البقاء العكبري فهما الأحسن إلا أن الكتاب الثاني حامل للقراءات الشاذة والمشهورة (الصحيحة)، ولكن المحتسب حامل للشاذ، وفقط مع كتاب يختصر شواذ القراءات لابن خالوية وإن كانت توجيهاته قليلة بمقابلة ما وجد في المحتسب من توجيهات كثيرة للقراءات الشاذة. كيف لا يكون الكتاب الأحسن من بين الكتب التي ألفت في القراءات الشاذة كمّاً ونوعاً وصاحبه الذي: "لا يختلف العلماء في أنه يعدّ مفخرة من مفاخر علماء العربية ومجتهد

¹ المصدر السابق، ص: 397.

² محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: 283.

³ البرهان في علوم القرآن، ج1، المرجع السابق، ص: 34.

عصره في النحو والتصريف واللغة ولولا خوف الإطالة في تعداد مناقب ومكانته العلمية وقوة استنباطه وجزالة أسلوبه، وسداد تعليقاته لكتب في ذلك ورقات عدة¹.

وكتاب المحتسب هو سفر جليل فيه من فوائد العربية، وفرائدها ووجوه التخريج عليها ما يدل على ذكاء ابن جنّي وقدرته على استخدام اللغة وتطويعها، في أسلوب جزل ممتلئ بالتحليل وعمق النظرة في التطبيق واستخدام القياس واستلهم روح العربية ولهجات القبائل المختلفة والدفاع الحار عن الشواذ ما وجد إلى ذلك سبيلا، دون إسهاب أو استطراد ولا إغماض، بل هو الاعتدال في كل شيء بخلاف شيخه الفارسي الذي وصف كتابه بما سلف، وليس معنى هذا أنّ المحتسب سهل وميسور لكلّ الناس خال من البحوث العميقة وإنّما معناه أنّ أبا الفتح لم ينجر إلى ما أنجر إليه أبو علي من الاستطراد والإغماض في أسلوب تناول ابن جنّي، أعقد المسائل اللغوية بالبيان المشرق والعبارة المحكية ملزما في ذلك قدر الحاجة وما يحتاج إليه بيان الآية والكلمة المحتج بها بما فيه من صعوبة، فراجع إلى طبيعة الموضوع وعلو أسلوب ابن جنّي².

1-2- سبب التسمية وتاريخ تأليفه:

فعبارة المحتسب مرسلة ومتفكة فيها طلاوة بادية أو عليها مسحة ملازمة من عذوبة الفن وأناقته مبسطة من غير حشو ولا فضول، يشيع فيها الازدواج ويطول الفصل، جزلة لا تخلوا أحيانا من بعض الغريب الذي يحتاج في الكشف عن معناه الذي يقتضيه المقام إلى لجوء إلى التأول والإمعان.

¹ عبد العلي مسؤول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، المرجع السابق، ص: 169.

² إبراهيم عبد الله رفيعة، النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية، ج3، ط3/ 1990، ص: 514، 515.

فيقول المحقق في سبب التسمية: "ربما كانت تسمية الكتاب المحتسب مرجعها أنه يحتسب أحده على هذا الكتاب عند الله سبحانه وتعالى، أو هو نعم الميثب للأعمال، وهو أعظم من يؤجر على فضائل الأفعال ولهذا اختار أن يدل باسمه على الفرض الذي يريده به لا على الموضع الذي يريده عليه"¹.

وقد ذكر أحد الباحثين كذلك هذا بقوله: "وقد قيل في هذه القراءات الكثير، وصنفت بها كتب تبيان مناهجها، كان أول من صنف في الاحتجاج للشاذ منها ابن جنّي (ت 392) فترك لنا في آخر عمره الزاخر بالعطاء العلمي كتاب، احتسب به الله عز وجل وسماه المحتسب وكانت الغاية منه إنصاف طائفة من القراءات التي سماها شاذة، وهذا ما يدل أن معنى الكلمة تحمل جملة من المعاني تقترب والآراء.

وكان أبو علي الفارسي قام على رأس المائة بتقسيم القراءات إلى: القراءات الشاذة وغير الشاذة، ووضع فيه للقراءات المشهورة (القراءات السبع) كتاب يسمى كتاب الحجة الذي احتجّ فيه للقراءات السبع. ولمّا جاء بعده ابن جنّي وضع كتابه (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) والذي كما يقال هم بوضعه، وهذا كما يقول ابن جنّي: "قد همّ أن يضع فيه ويبداً فيه، فاعترضت خوالج الدهر دونه، وحالت كبواته بينه"².

فكتاب المحتسب ما يلاحظ فيه، فالحكم والقصد كان للشيخ والأستاذ والعمل والعزم كان للتلميذ، فرحم الله من هم وقصد ومن عزم وعمل³.

¹ المحتسب، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ج 1، ص: 67.

² المصدر نفسه، نص.

³ عبد العلي المسؤل، القراءات الشاذة ضوابطها وإحتجاج بها في الفقه والعربية، المرجع السابق، ص: 170.

ولأجل هذا تجرد ابن جنّي للقراءات الشاذة علّه يمكنه النيابة عن شيخه في المحتاج لها، وتأدية حقها عليه كما أدّى شيخه حقّ القراءات غير الشاذة عليه، إذا كانت دواعي الاحتجاج لنوعين ثابتة والاستجابة لازمة، بل لعل دواعي الاحتجاج للشاذ أثبت، والاستجابة ألزم¹.

وقوله هذا يدلّ على أنّ كتابه هذا ألفه في آخر عمره بحيث يقول: "وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وهلتها برأفتك بنا، وتلاقينا من بيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا واستوفى ما في الصّحف المحفوظة لديك من عدد أنفسنا واستوفت أقوال الآخذين بها فأقبلنا إلى كنز جنّتك التي لم تخلف إلّا من وسع ظل رحمتك"².

فيعلق المحقق على الكتاب على هذا القول بقوله: "وهذا الكلام قلّما يقوله إلّا امرئ غلب عليه التفكير في الآخرة، واستبد به حب التزود لها، لأنّه يشعر أنّ منية قد دنت وأنّ حياته قد أذنت بزوال وهو يخضع لله، ويبتغي إليه الوسيلة، عسى أن يثيبه الله مغفرة منه ورضواناً"³.

وهذا ما يدلّ بأنّ تأليف هذا الكتاب كان في أواخر القرن الثالث هجري وحتى مضمون هذا الكتاب وغزارة مادته ونوعية تأليفه تدلّ على هذا، ممّا يدلّ على أنّه كان زبدة آخر رحلة طويلة مع التأليف والتزود.

فما هم به أبو علي فارسي قام به ابن جنّي المتوفى ثلاثمائة واثنين وتسعين للهجرة بتأليف المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

¹ غانم سعد الحسناوي، التوجيه النحوي للقراءات القرآنية الشاذة في كتاب المحتسب، رسالة دكتوراه، السعودية، 2009، ص: 11.

² المرجع نفسه، ص: 67.

³ المرجع نفسه، ص: 67.

1-3-أسباب تأليف المحتسب:

هناك جملة من الأسباب التي فصل فيها العلماء في وضع هذا الكتاب ومن بين هذه الأسباب:

1-رغبته في إعادة الثقة اللغوية بها، لا جواز القراءة بها كما ذهب بعضهم ونقصه بذلك عبد الفتاح شلبي في كتابه أبو علي الفارسي إذ جعل ابن جنّي من أنصار النظرة المتحررة في القراءات. وأنه قد حاول في (المحتسب) أن ينتصر لموقف ابن شنبوذ الذي اتصل به ابن جنّي من طريق شيخه في القراءة، ولموقف ابن مقسم العطار الذي تتلمذ عليه.

2-رغبته في تأليف كتاب لم يسبقه أحد في منهجه إليه، قال " فأما من مضى من أصحابنا فلم يضعوا للحجاج كتابا فيه، ولا أدلوه طرقا من القول عليه وإنما ذكروه مرويا مسلما مجموعا أو متفرقا. وربما اعتزموا الحرف منه، فقالوا القول المقنع فيه وإما أن يفرّدوا له كتابا مقصورا عليه أو يتجرّدوا لانتصار له ويوضّحوا أسرارهم وعلمه فلا نعلمه¹.

كما يقول أحد الباحثين: "إذ لم يقدّم قبله أحد بتأليف كتاب مستقل يحتج فيه لشواذ من القراءات ويركبها، وهي فيما يرى جديدا بذلك رواية وإعرابا، وإنما كان من قبله ربما اعتزموا الحرف فقالوا القول المقنع فيه وإنما ذكروه مرويا متبوعا أو متفرقا"².

¹ إبراهيم عبد الله رفيعة، النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية، ط3/ 1990، ج1، ص: 514، 515.

² المرجع نفسه، ن ص.

وموضوع كتابه معروف في شواذ القراءات كما يقول أحد الباحثين لم يشترط ابن جنّي في كتابه الإتيان بجميع الشواذ المروية عن سلف بغية توجيهها، إنّما اقتصر من كل ذلك عن نوع واحد ما شدّ عن السبعة بما غمض عن ظاهر الصنعة، فقد أدخل في مصنفه الشاذ المرسوم بإثبات الوصفين¹.

ولكن هذا إلّا أنّ إغفال جهود من سبق ابن جنّي في شواذ القراءات يعتبر إجحافاً وقولاً مبالغ فيه لأنّ: "ابن جنّي نفسه يكثر من نقل توجيهات ابن مجاهد للشواذ وهو يقتصر في ذلك على جوانب السلبية من دون الإيجابية، حتى أنّه يقول في بعض المواضع لم يذكر ابن مجاهد إعراب"²، وهذا يعني أنّ ابن جنّي اعتمد اعتماداً كبيراً على جهود ابن مجاهد في توجيه الشواذ، وأنّ ابن مجاهد فقد سبقه إلى الاحتجاج لها في كتاب مستقل، وإن لم يبلغ شأو المحتسب، وهذا الكتاب نفسه الذي جعله ابن جنّي أحد مصادره الأساسية في اختيار مواد المحتسب³.

ولكن ما يمكن قوله أنّ ابن جنّي من خلال كتابه هذا سبق غيره، ولم يؤلّف قبله أحد من أصحابه كتاب في هذه سعة ونوعية في الاحتجاج للشاذ من القراءات، وإن كانت لهم جهود ولكن إذا ما قورنت بهذا الكتاب ترجح الكفة للمحتسب من حيث الكم والنوع، فهو اكسبه بأسلوبه وجهده لمحة ووصفة خاصة جعلته متميز عن غيره من الكتب التي ألّفت من قبل.

¹ القراءات الشاذة وضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، المرجع السابق ص: 173.

² المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 204.

³ محمد احمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: 201.

3-رغبته في أن يكمل ما هم به أستاذه الفارسي الذي وضع كتابا في الاحتجاج للقراءات السبع، ثم رغب في أن يضع كتابا مماثلا في الشواذ، فحالت مشاغل الدهر بينه وبين رغبته¹.

وكتاب المحتسب هو سفر جليل فيه من فوائد العربية وفرائدها ووجوه التخريج عليها، ما يدل على ذكاء ابن جنّي وقدرته على استخدام اللّغة وتطويعها، في أسلوب جزل ممتلئ بالتحليل وعمق النظرة في التطبيق واستخدام القياس واستلهم روح العربية ولهجات القبائل المختلفة والدفاع الحار عن الشّواذ ما وجد إلى ذلك سبيلا، دون إسهاب أو استطراد ولا إغماض، بل هو الاعتدال في كل شيء بخلاف شيخه الفارسي الذي وصف كتابه بما سلف، وليس معنى هذا أنّ المحتسب سهل وميسور لكلّ الناس وإنّما معناه أنّ أبا الفتح لم ينجر إلى ما انجر إليه أبو علي من الاستطراد والإغماض في أسلوب ، تناول ابن جنّي أعقد المسائل اللغوية خصوصا الصرفية والصوتية منها بالبيان المشرق والعبارة المحكية ملزما في ذلك قدر الحاجة وما يحتاج إليه بيان الآية والكلمة المحتج بها بما فيه من صعوبة، فراجع إلى طبيعة الموضوع وعلو أسلوب ابن جنّي².

ويرى غازي أنّه تناول: "ما شذ عن السبعة من القراءات"³.

ويستشهد لما يمثلها أو بما له من مآثر ثم ينطلق إلى مسائل اللّغة والنحو والصرف ولا يلتزم الترتيب في إيراد تلك المسائل لذلك فقد جاءت مسأله متدخلة ومتشابكة ،وقد يشرح مسألة نحوية وينتقل منها إلى أخرى صرفية أو لغوية ثم يعود ثانية إلى أخرى نحوية وهكذا وهو إذا وقف عند القراءة الشاذة فقد يحكم عليها بالغلط وقد يصفها بالقبح أو بالفساد أو تشكل لغة مرذولة كما أنّه قد يوجه النقد

¹المحتسب (مقدمة التحقيق)، المصدر السابق، ج1، ص: 67.

² المرجع نفسه، ن ص.

³المحتسب، المصدر السابق، ص: 66.

للقارئ، بأن يصفه بالغفلة أو السهو والوهم، وابن جنّي يذكر اللغات واللهجات ويورد لها ما يؤيدها من أشعار وأقوال¹.

4- أنثر مقياس ابن مجاهد بحيث قاد هذا المقياس إلى تحديد القراءات الشاذة، وجعلها في كتب مستقلة تقابل القراءات السبع المشهورة.

5- ونجد كذلك كثرة الطعن على وجوه الشواذ الذي كان قد دأب عدد وافر من النحاة والعلماء قبله كأبي حاتم السجستاني وابن مجاهد وأبي جعفر النحاس.

على أنّ هذه الأسباب مجتمعة تترجم في الواقع كل مسوغات تأليف هذا الكتاب وهناك ما هو أكثر إشعاعاً، وكذلك مقدره ابن جنّي العلمية المعروفة في النحو والصرف واللغة وبراعته في التحليل والتعليل والقياس التي مكنته منها معارف عصره وثقافته الواسعة المتفرعة التي تميّز بها في القرن الرابع من سائر القرون، ولقد أخذ المحتسب آخر قطوف من ثمار أبي الفتح، فهو خلاصة تجربة عميقة وموهبة لغوية فذة وقد دلّنا على ذلك كثرة الإحالات فيه على مؤلفاته الأخرى المتقدمة كالخصائص والمنصف وسر صناعة إعراب وغيرها².

1-4- منهج الكتاب:

فكتاب المحتسب استهله بمقدمة وضح فيها منهجه وقد أورد أبو الفتح القراءات مرتبة حسب مواقعها في كل سورة ، وكان يبدأ حديثه في كل مرة بإثبات أسماء القراء كثر كانوا أم قلة ثم يذكر القراءة ومثال ذلك قوله: "ومن ذلك: قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة وسلام ويعقوب وعبد الله بن يزيد والأعمش الهمداني ونادراً ما يغفل اسم القارئ ، وذلك لعدم معرفته إياه، وهو يرتب عادة أسماء القراء حسب تقدمهم ولكنه لا

¹ سعود غازي أبو تاركي، خصائص التأليف النحو في القرن الرابع الهجري، دار الغريب، القاهرة، ط1/ 2000، ص: 87

² القراءات الشاذة والاحتجاج بها في العربية، المرجع السابق، ص: 203، 202.

يدقق في سندات وفياتهم، وكان دقيق في تحديد عباراته القرائية، فهذه القراءة قراءة وتلك الرواية رواية وهذه القراءة متفق على نسبتها إلى فلان، وتلك مختلف في نسبتها إليه، وكانت عبارته السائدة في الإشارة إلى هذا الاختلاف : وقرأ فلان بخلاف¹.

ولكن منهجه كمنهج الحجة لا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه كما يقول أحد الباحثين طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة فأبو الفتح يعرض القراءة ويذكر من قرأ بها ثم يرجع في أمرها إلى اللغة يلتمس لها شاهدا فيرويه أو نظيرا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤسسها بها تأويلا أو توجيها فيعرضه في قصد وإجمال، أو تفصيل وافتتان على حسب ما يقتضيه المقام ويطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة.

ولكن " ليس عجيبا ولا منكورا أن يتشابه الكتابان في المنهج على هذا النحو فموضوعها واحد وصاحب الحجة أستاذ لصاحب المحتسب ووحدة الموضوع تستدعي تشبها في علاج مسائله وللاستاذ في تلميذه تأثير وللتلميذ في أستاذه قدوة"².

¹ المرجع السابق، ن ص.

² المحتسب، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص: 68.

وكذا كان المحتسب كالحجة معرضا حافلا، يزخر بكثير من الشواهد والتوجيهات وألوان والآراء والبحوث اللّغة وعلومها، بين دفتيه إذ يجد القارئ فيه من شعر العرب ونثرهم شيئا لا يقل أهمية عن المسائل الصوتية والصرفية والنحوية التي سرها عقلية ابن جنّي التي قل نظيرها¹.

وابن جنّي كان يأخذ على الحجة أنّ الشيخ أبا علي الفارسي قد أغمض وأطال الاحتجاج فيه حتى عيّ به القراء وجف عنه الكثير من العلماء.

ويقول محقق الكتاب: "قد جاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء وقال في هذا: وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، أطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية عن القراءة و أجفاهم عنه"².

ولقد تعدد مخالفة أستاذه في كتابة الحجة في علل القراءات السبع، الذي وصفه المؤلف بالغموض والإطالة، فجاء مختصرا بالمقارنة مع الحجة وظهر حرص ابن جنّي عن ذلك الاختصار في مواضع كثيرة منه، حتى أنّه إذا أحس بشيء من هذا تنبه وقال: "والكلام هنا فيه طويل، وهذا كتاب اختصاره، كما يلاحظ ذلك في عدم تكرار ما تقدم ذكره سواء في هذا الكتاب أو في كتبه الأخرى واكتفى بإحالاته إليها في كثير من المناسبات، ولذلك نجد في بعض مواقع الكتاب يعتمد الاختصار من خلال الاكتفاء بالتفسير المختصر لا يستطرد ولا يكرر وحرصا منه الاختصار وإدراك الفائدة"³.

وفي هذا نلمس كما يقول المحقق الكتاب "عزوفه عن الإسهاب والإمعان في الاستطراد في مقدمة المحتسب وهو يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني في الشواهد على كتاب قطرب حيث كان كتاب أبي

¹ توجيه النحوي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب، المرجع السابق، ص: 11

² خصائص التأليف النحوي في القرن 4 هـ، المرجع السابق، ص: 82.

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 68.

حاتم مقصوراً على ذكر القرآن عارياً من الإسهاب والتعليل و الاستشهادات التي انحط فيها وتناهى إلى متباعد غايتها¹.

2- أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن جني في كتابه المحتسب:

اعتمد في تأليفه لهذا السفر الجليل على نوعين من المصادر كما ذكر ذلك في مقدمة تحقيق الكتاب². الكتب التي استقى منها معظم القراءات والتوجيهات والأحكام، الروايات صح لديه الأخذ بها ولكن سنقتصر في هذا الموضع من البحث الحديث عن الكتب والتي اعتمد عليها بشكل أكبر أما الروايات فسيأتي ذكرها في الفصل اللاحق من خلال تطبيقات الأسس النحوية في تبين وتوجيه الشاذ من القراءات.

من بين هذه الكتب³، التي اعتمد عليها:

- كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

- كتاب معاني القرآن للزجاج

- كتاب معاني القرآن للفراء.

والاعتماد الكبير على كتب معاني القرآن راجع للصلة الوثيقة بين كتب المعاني وكتب الاحتجاج للقراءات، من خلال تصفح كتاب المحتسب بمجلديه نجد عدد كبير من القراءات الشاذة من المختصر مبنوثة في المحتسب.

¹ المحتسب، المصدر السابق، ص: 68.

² المصدر نفسه، ص 15.

³ المصدر نفسه، ن ص.

هذه الجهود والتي بذلت في هذه المؤلفات كلها خدمة للكتاب العزيز وتقرب منهم إلى الله عز وجل وكذلك خدمة العربية، وهذه الكتب التي كانت في معاني القرآن وإعراب القرآن كلها تهدف إلى تسهيل الفهم وتحليل المفاهيم هذا الكتاب العزيز، وبيان أحواله ومقاصده، من خلال الأحوال الإعرابية التي تقود إلى المعاني محددة والمتشعبة في أن واحد، وكل هذه الكتب ساهمت في تبين أحوال القراءات التي أوردها وكانت وجوه القراءات في كتب الإعراب جاهزة وكتب المعاني وتعليقات حاضرة كذلك ما جعله يعتمد عليها في بناء شرح هذا الكتاب¹.

وكما يقال الاعتماد الكبير على كتب معاني القرآن راجع: "للصلة بين كتب المعاني والاحتجاج الوثيقة قوية فهذه الأخيرة انطلقت في الاحتجاج من المنهج الذي درسته الأولى واشتملت عليه ضمن الأصول التي عنيت بها وتناولته تناولا غير مستقل وجاءت كتب الاحتجاج تتوسع فيه وتستغل به وترسخ مناهجه وعملها قائم على توجيه القراءات وبيان العلة في الأخذ بها، ووجهها لغة وإعرابا وبما لها من القراءات الأخرى وصحة المعنى وفصيح كلام العرب، مما يؤكد الصلة بين كتب الاحتجاج والمعاني، أن الأولى تتعرض للمعاني كثيرا وثانية لتوجيه القراءات والاحتجاج لها وبيان المعنى الغريب في بعضها كتوجيه ابن جني².

2-1- كتاب شواذ القراءات لأبي بكر بن مجاهد:

فابن مجاهد هو أبو بكر بن موسى التميمي (ت 324 هـ)، وهذا الذي رأى من الضروري أن يتجرأ عالم من علماء القراءات أو طائفة من جهابذتها ليقابلوا بين القراءات الكثيرة التي شاعت في العالم الإسلامي ويستخلصوا منها الناس قراءات يحملونهم عليها حتى لا يتفاقم الأمر ويلبس الباطل بالحق

¹ إبراهيم عبد الله رفيده، النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية، ط3/، 1990، ج1، ص:125.

² المصدر نفسه، ن ص.

وتصبح قراءة القرآن فوضى لكل أن يقرأ حسب معرفته، من دون تبصر تام بوجوه القراءات، ومن دون بصر تام بين المتواتر المشهور منها وغير المتواتر¹.

ولذلك نهض ابن مجاهد بتأليف كتابه السبعة في القراءات الذي اختار فيه سبعة من القراء وحمل المسلمين على سبعة من القراءات في جميع أقطارهم، حتى لا يحدث اختلاف الذي بدأت بواده تظهر والتي تؤدي بمرور الزمن لتخطئة والتفرق، وفي كتابه أكب على القراءات القرآنية وتفسير معاني التي تحملها، وروايات وإعرابها ورتبها ترتيب يخضع إلى فطنته وذكائه النافذ الذي يعرف عليه وبراعته وفهمه الذي تجسد من خلال هذا الكتاب.

وبعد فراغه وإعطاء حق القراءات المشهورة والتي أجمعت الأمة الإسلامية عليها بعد أن استخلصت سبع قراءات ألف فيما وراءها من قراءات الصحيحة، كتابه القراءات الشاذة وسماه كتاب القراءات الكبير بجانب كتاب السبعة أو كتاب القراءات الصغير وأفرد لكل إمام من الأئمة السبعة كتابا مستقلا، ويضاف إليه أيضا كتاب عن قراءة علي بن أبي طالب، وكتاب في الياءات وآخر في الهاءات².

وهذا الكتاب ألفه بعد تأليفه كتاب القراءات الصحيحة والمشهورة، كتاب الشواذ والذي يلقب بكتاب القراءات الكبير والصغير ولكن عنوانه المتداول كتاب شواذ القراءات.

وهذه القراءات التي كانت متضمنة في هذا الكتاب وهي ما عدا السبعة لم يبطلها، بل ألف فيها كتابه في الشواذ، وهو لا يقصد أنها شاذة لا تصلح القراءة بها، إنما يقصد أنها تأتي وراء السبعة في عدد من يقرؤون بها في الأمصار³.

¹ ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، المصدر السابق، ص: 13

² المصدر نفسه، ص: 03

³ المصدر نفسه، ص: 20

وبذلك فابن مجاهد قام بعملين كبيرين: كتاب في القراءات السبعة وآخر في الشواذ.

واعتمد عليه ابن جنّي في تأليف كتابه (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات وإيضاح عنها).

وهذا ما لمسناه من خلال مقدمة التحقيق لهذا الكتاب وكذلك حتى ابن جنّي صرح في مقدمة كتابه بقوله: "وعلى أننا ننحى فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (رحمه الله) الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءات، إذا كان موسوماً به ننحى الأرجاء عليه وإذ هو أمكن للنفس كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته"¹.

والحق أنه جعله من المصادر الأساسية التي انتقى منه شواذ كتابه، ففي معرض الكتاب نجد الكثير من الشواهد والآراء والقراءات والتي كانت لابن مجاهد في هذا الكتاب ولذلك يقول أحد الباحثين في حديثه عن المحتسب: "استشهد بعدد من الأقوال وآراء بعض العلماء ممن أخذ عنهم وعلى رأسهم شيخ الصنعة الإمام ابن مجاهد توفي سنة 324 هـ"².

وكان الدافع رئيسي لتأليف هذا الكتاب: "هو ما شاهدته من تجرؤ كل من ابن شنبوذ وابن مقسم من قراءة الأول بما خالف الرسم والأخر بما خالف النقل"³.

ويعتبر هذا الجهد الذي قام به ابن مجاهد من الجهود المباشرة التي كانت في مجال تأليف القراءات الشاذة.

¹ المحتسب، المصدر السابق، ص: 15.

² محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: 420.

³ الآراء التي تفرد بها الفراء من كتابه معاني القرآن، رسالة دكتوراه، الجزائر، 2003، ص: 45.

وابن مجاهد فعلا شذذ ما ترك من القراءات من خلال تأليفه هذا الكتاب وهذا دفع الكثير من الباحثين الذين رأوا أنّ ابن مجاهد: "لم يبع تشذيب ما ترك أو لم يهمل ما شذ بالمعنى الذي انتهى إليه المصطلح"¹ وبالتالي ما جاء وراء اختياراته شذ من خلال هذا التأليف ورد آراء الباحثين وإن كان الذي حمله على هذا هو اعتناؤه الشديد بالقراءات المشهورة والعناية بالقرآن وما صح منه.

ولكن اشترك من خلال هذا الكتاب في كثير من القراءات التي كان يشذذ إياها صريحا مع بقية العلماء الذين اعتنوا بالشاذ أمثال ابن خالويه وابن جنّي وكان على درايه في توجيهه وتبيين وجه شذوذ هذه القراءة وهذا دليل على أنّه لم يرفض الشاذ مثله مثل بقية من اعتنى بالشاذ ولكن حسب ما يرى أحد الباحثين: "إنّ ابن مجاهد يرفض أكثر القراءات الشاذة ويقبل بعضها وهو في هذا لا يحتج عن مذهب لا يخرج عن مذهب النحاة بل لا يخرج عن مذهب المتعصبين منهم كأبي حاتم السجستاني أو كان عليه وهو عالم القراءة بحيث كان عليه أن يقف غيرهم هذا الموقف، فلا يخضع هذا الأثر المتماسك في نقله وتقويته لمقياسه النحوي الضيق بل يقبله ويوسع له"².

ابن مجاهد لم يرفض الشاذ ولو رفضه لما اعتنى به وألف له ولكن هو بيّن ووضح وجه شذوذه وخروجه عما قبله من القراءات في كتابه (السبعة في القراءات) ووضح سبب عدم إيمانه بها على أنّها ليست من الصحيح وكان يحاول من ناحية مذهبه النحوي أن يجد وجه نحوي يطمئن له في عربية اتجاه هذه القراءة ولكن موقف التعصب والضيق هذا بعيد كل البعد عن موقف ابن مجاهد اتجاه الشاذ من القراءات رغم اعتناؤه الشديد بالصحيح منها.

¹ محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: 93.

² المرجع نفسه، ص: 168.

ولابن مجاهد جهود نحوية في الشواذ من خلال هذا الكتاب والتي كانت كثيرة ومباشرة وهي متبوعة في مؤلفات ما أتى بعده واعتنى بالشاذ من القراءات حتى تجعلنا نعتقد أنّ ابن مجاهد أول من تصدى للكشف عن وجه القراءات الشاذة في كتاب مستقل أو ربما جعل هذه التوجيهات إلى جانب الشواذ التي جمعها في كتابه واعتمد عليه ابن جنّي وهو الأرجح ولكن ضعف خبرته النحوية وقلة اطلاعه على لغات العرب ومذهبهم حال دون شهرته وأفسح المجال واسعا لكتاب ابن جنّي بعده¹.

فهذا الكتاب كانت فيه توجيهات نحوية متضمنة وتخريج لوجوه شذوذه وكانت واضحة وذلك راجع إلى شخصية ابن مجاهد باعتباره كان نافذا في القراءات وإدراكه شديد لصحتها من شاذها باعتباره ألف كتابه التاريخي (السبعة في القراءات) وهذا ما جعل ابن جنّي يعتمد عليه كمصدر أساسي في بناء كتابه وهذا ما يظهر من أقوال وأراء كثيرة المتضمنة في كتابه المحتسب.

ولكن شهرة هذا الكتاب حالت دونها ظروف باعتبار ابن مجاهد كسب شهرته بكتابه السبعة وأغلب الأنظار كانت متجهة صوب هذا الكتاب دون غيره من مؤلفاته ولكن قلة علمه بلغات العرب وضعفه في الجانب اللغوي أراه اتهام باعتبار ما تضمنه هذا الكتاب من علوم لغوية لا تعكس ضعف شخصية ابن مجاهد في هذا الجانب بل العكس تكشف عن سعة اطلاعه وخبرته رغم أنّه إذا قورن كتاب ابن جنّي يترتب في مرتبة أقل منه من حيث الشهرة والسعة ولكن من ناحية نوعية، ما يمكن أن يلمس من خلال جهود ابن مجاهد في الشاذ من خلال مصنف ابن جنّي (المحتسب) هو تحامل عليه بعض الشيء " وذلك لاقتصاره على جوانب القائمة من طعن على الشواذ أو عجز في توجيهها وهي إذ نقل له رأيا فيها

¹ المرجع السابق، ن ص.

فإنما ينكر للنيل منه ،من ذلك رده لرأيه في قراءة ابن محيصن ولعل ابن خالويه كان أكثر اعتدالا وإنصافا لابن مجاهد، إذ نقل عنه في كتابه المختصر بعض تخريجاته لها ¹ .

فهدف من البحث هو تبين الذي كان غامض في المؤلفات السابقة التي مست نفس الموضوع واعتمد عليها ابن جنّي في كتابه وصرح بهذا في المقدمة وثنى على شيخه وجهوده ولكنه حاول توضيح ما كان غامضا في القراءات الشاذة التي لم توضح من طرف ابن مجاهد وغيره ممن سبقه، ولذلك نراه معارضا في بعض التخريجات وتوجيهات النحوية ولكن هذه التوجيهات وهذه الآراء التي يضيفها نلمس فيها نوع من الصحة والجديّة والجديد في عمل ابن جنّي.

2-2- معاني القرآن وإعرابه للزجاج:

الزجاج هو إبراهيم بن سهل أبو إسحاق، كان أول حياته يحترف خراطة الزجاج، كان دخله من هذا العمل ضئيلا لا يكاد يتجاوز الدرهمين وربما كان درهما واحدا أو نصف درهم، تاقت نفسه مع ما هو عليه من إقلال إلى التعلّم ومعرفة اللّغة فاتصل بمجلس ثعلب، وظل يستفيد منه حتى وفد المبرد على بغداد واتخذ له حلقة في المسجد فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرد وترك ثعلبا وعاش الزجاج في القرن الثالث هجري، وعصره الذي عاش فيه كان من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي².

وبعد الزجاج من البغدديين الذين تغلب عليهم النزعة البغدادية ولكن السيرافي يرى: "أنّ أبا الاسحاق كان أشد لزوما لمذهب البصريين"³.

¹المرجع السابق: 167

² إبراهيم بن السراج، معاني القرآن وإعرابه، المرجع السابق، ص: 152

³النحو وكتب التفسير، المرجع السابق، ص: 303.

ويعتبر كتابه (المعاني) من أهم الآثار التي تركها الزجاج في حياته العلمية وهو: "يوضع دائما على رأس القائمة في كتبه وربما ذكروا قبله، ما تفسيرها جامع النطق ولكن هذا الأخير لم ينسخ من غير نسخة واحدة خصصت للخليفة، فلم يكن النفع بها عاما، والفهم الكامل لأنّ هذا الكتاب هو (معاني القرآن وإعرابه) مما يؤذن أنّ إعراب قسم للمعنى في علمه"¹.

وهذا ما يدلّ على أنّ الكتاب هو قرآني نحوي يعنى: "بالجانب اللغوي خاصة فيما لجانب التفسير وإيضاح المعاني القرآنية لآيات السور التي تضمنها الذكر الحكيم، وما هو معروف إعراب رفيق المعنى بمعرفة إعراب الكلمة يتضح معناها أكثر ولذلك نجد المفسرين يعتمدون عليه وبكثرة، وكذلك اللغويين في ميدان إيضاح المعاني الإعرابية يعتمدون عليه لسبب نفسه وهو كما سبق ذكر بالمعنى يتضح الإعراب في معظم الأحيان، ولكن هذا ما صرح به في مقدمة كتابه بقوله: هذا كتاب إعراب القرآن ومعانيه"².

وبالتالي يقول صاحب مقدمة التحقيق: "إنّ الإعراب مقصد حقيقي أساسي للزجاج والمعنى ينبني عليه واستغرق في تأليفه هذا الكتاب سبعة عشرة عاما وبدأ يمليه سنة 285هـ وانتهى منه 301هـ أي قبل وفاته بنحو عشرة أعوام أملاه وهو في قمة من نضجه الفكري وتمكنه اللغوي ولم يذكر روايته للكتاب ولا سبب تأليفه ولعله كما يقال فعل ذلك قربى إلى الله تعالى أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه، ومن بين تلاميذه الذين تلقوا عنه الكتاب أبو علي الفارسي شيخ ابن جنّي وأثره الأكبر في حياته مما يدل على أنّ اعتماد ابن جنّي عليه راجع لتأثر شيخه بهذا الكتاب، وهذا سبب إضافي لاعتماده عليه إلى جانب أهميته العلميّة

¹المصدر السابق، ن ص.

²معاني القرآن وإعرابه، المصدر السابق، ص: 30.

والتفسيرية واللغوية التي يحملها هذا الكتاب. وهي التي جعلت الأنظار تتجه إليه وهذا الكتاب اعتمده المفسرون المتأخرون منهم الإمام التوحيدي في كشافه وأبو جعفر النحاس والرواندي¹.

وأخذت البحوث اللغوية هنا جزء واسع من هذا الكتاب وهي منتشرة في أجزاءه وهو كتاب شمل النحو واللغة والقراءات والاحتجاج بها ومصادر الاحتجاج ومعاني القرآن وتفسيره وكتاب الزجاج هذا يتميز بكثرة الشواهد اللغوية والتي فاقت النحوية وهو كثير الشواهد وطويل النفس وإن كانت شواهد هذه مستمدة من كتاب سيبويه والمقتضب².

وبين الزجاج وابن جنّي في النظر إلى شواذ القراءات أنّ القراءات الشاذة التي تعرض لها الزجاج في كتابه قليلة جدا بالنسبة إلى ما جاء به ابن جنّي في كتابه المحتسب ولا غرابة في ذلك³.

وذلك لا غرابة فيه لأنّ كتاب ابن جنّي عنوانه يدلّ على مضمونه مثل ما يدلّ عنوان كتاب الزجاج على مضمونه بحيث نجد مما أشار إليه من القراءات الشاذة في كتابه قليلة ولم يذكر ذلك في مواضع التي تكون فيها الآية مختلف في معناها لتوضيح ذلك يذكر ويدلّل بالقراءات الصحيحة والشاذة من أجل إحاطة بكل المعاني التي يمكن أن تتجه إليها هذه الآية.

فحتى ما نجده متضمن من قراءات شاذة في المحتسب ربما أشار إليها الزجاج في كتابه إشارة قليلة ويذكر ابن جنّي في بعض الأحيان من باب الاستئناس وإثبات شذوذها وإخراجها وتوضيح سندها في الشذوذ أو وجهها في خروج من الصحيح إلى الشاذ.

¹معاني القرآن وإعرابه، مصدر السابق، ص: 13.

²معاني القرآن وإعرابه، المصدر السابق، ص: 364.

³ رقية محمد صالح إبراهيم الخزامي، القراءات واللغويات في معاني القرآن للزجاج، دكتوراه، 1987، ص: 69.

وبالتالي " فابن جنيّ خصصه لشواذ القراءات في الحين كتاب الزجاج كان غير مخصص لهذا بل شاملا للقراءات وللغويات والمعاني " ¹.

واعتمد على كتاب الزجاج وصرح بهذا في مقدمة مؤلفه بقوله: "وأخبرنا أيضا كتاب المعاني فيه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري لزجاج سماعه عنه " ².

وهذا دليل على اعتماده عليه في كتابه هذا مثله مثل بقية المصادر التي اعتمدها مصدر يتكل عليه إضافة إلى خبرته اللغوية والثقافية وموسوعيته في التراث اللغوي.

ويرى أحد الباحثين أنّ " ما جاء به الزجاج يلاحظ أنّ هناك بعض الشبه في النظر إلى الشاذ بينه وبين ابن جنيّ مع اختلاف في المعالجة " ³.

فكتابه هذا يكتسب المرتبة الأولى والأهمية الكبرى للموضوع الذي يتناوله لأنه جمع بين مجالين مهمين المجال القرآني والمجال اللغوي لأنّ ما عدا هذه الكتب كتب أخرى منها كتاب الاشتقاق وكتاب مختصر في النحو والقوافي والنوادر وغير ذلك ⁴.

¹ المرجع السابق، ص: 69.

² المحتسب، المصدر السابق، ص: 36.

³ القراءات واللغويات، المرجع السابق، ص: 67.

⁴ محمد جمال القاسمي، التفسير اللغوي ومحاسن التأويل، دكتوراه، جامعة الموصل، 2003، ص: 19.

2-3- معاني القرآن للفراء:

والإمام الفراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد إمام مدرسة الكوفة بعد شيخه الكسائي (ت 207 هـ) كان مولى لبني أسد من أهل الكوفة وكان إماماً ثقة وله من الكتب عدا كتاب معاني القرآن وكتاب اللغات والنوادر والمذكر والمؤنث وغيرها وتوفي سنة سبع ومائتين للهجرة رحمه الله¹.

وإن تأليفه كتابه (معاني القرآن) إلى أن طلب تأليفه عمر بن بكير الراوي النحوي وصاحب الفراء إذ كان كاتب الوزير يسأله عن أشياء في القرآن لا يحضره جواب عنها فقال لشيخه فإنّي رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل ذلك كتاباً نرجع إليه ألا فعلت، فاستجاب الفراء لهذا وأملّى كتابه المعاني وكان سبب سؤال عمر بن بكير هو أنّه كتب إلى الحسن بن سهل وكان الحسن بن سهل يسأل عمر بن بكير عن أشياء في القرآن فربما عنده الجواب فكتب كتابه إلى الفراء فأجابه وأمر الفراء أصحابه أن يجتمعوا في المسجد ليملي عليهم فكان يخرج عليهم يوم الثلاثاء فيقرأ رجل شيئاً من القرآن الكريم ثم يفسر الفراء على منوال هذا من أول القرآن الكريم إلى آخره².

ولكن كتاب الفراء كما يقول أحد الباحثين: "وهي رواية طبع منها الكتاب، وهي رواية محمد بن الجهم النمري (ت 277 هـ)، الذي حدد لنا في صدر الكتاب زمن إملاء الفراء له وكان ذلك سنة اثنتين وثلاث وأربع ومائتين وهذا يعني أنه أملاه في أواخر حياته إذ توفي الفراء سنة (207 هـ) أمّا الرواية الثانية التي لم تصل إلينا نسختها فهي رواية سلمة بن عاصم التي اعتمدها القدماء وفضلوها على أختها، وكان سبب قعود الفراء لإملاء هذا الكتاب"³.

¹ النحو وكتب التفسير، المرجع السابق، ص: 115.

² إبراهيم عبد الله آل الخضر الزهراوني، توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معاني القرآن، ماجستير، جامعة أم القرى، ص: 29.

³ محمد ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن 3، دار الحياة، بيروت، لبنان، ط 1/ 1980، ص: 105.

وكتابه هذا يعتبر خطوة مهمة في كتب معاني القرآن والتقاء التفسير الأثري اللغوي والتفسير بالرأي وهو كذلك يعدّ تعبيراً عن مدرسة البصرة النحوية وترسيخاً لمصطلحاتها وأصولها وأرائها النحوية وحديثاً عن أئمتها السابقين ونقاشاً ورداً في كثير من الأحيان لأراء الأئمة، كان هذا الكتاب لخدمة القرآن الكريم هذا هو القصد من تأليفه لغة وإعراباً وتحليلاً للأساليب، وخدمة للعربية بتهيئة أصولها وتأسيس قواعدها وتأسيس علومها وكان التفسير يأتي تبعاً لهذا الغرض الأصلي ولكنه ناله الكثير من التطور فيها والتوسع من حيث المنهج والمضمون¹.

فلاحظ من خلال معالجته للنصوص القرآنية " فمرة يكون كلامه على الرسم ومرة على لغة وردت في لفظه فتارة يوجه قراءة معينة أو شاهداً على استعمال خاص وأخرى يناقش مسألة نحوية أو صرفية وأحياناً يتكلم على أسباب النزول والأحكام الشرعية ومظاهر الإعجاز والفواصل والوقف وما إلى ذلك من موضوعات تتصل جميعاً بهذه الآيات التي ندب القراء نفسه للدفاع عن لغتها وأحكامها وإعجازها في هذا الكتاب"².

ففي المعالجة التي تكون فيها مشكلة يحضر كل جوانب في معالجة هذه الآية، وكل ما يمكن أن يستخرج من هذه الآية وله فائدة ويخدم اللغة والقرآن من ناحية تفسيره وفهمه يستحضره في هذا الموضوع فيظهر الشرح والتفسير الذي يكون في هذا المقام مسهلاً ثقيلًا بالمعاني النفيسة التي تحتاج الجهابذة المفسرين والذين هم في بداية الطريق لفهم الكتاب القرآني ونتيجة ما يحمله من هذه الأهمية وقيمة اللغوية والقرآنية كان هذا الكتاب محط أنظار اللغويين والقراء من أمثال ابن جني الذي اعتمده أساس لبناء كتابه الخالد المحتسب.

¹ النحو وكتب التفسير، المرجع السابق، ص: 411.

² الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية الثالث، المرجع السابق، ص: 103.

ولكن اعتماد ابن جنّي عليه " نتيجة تلاقي وتشابه في بعض جوانب المتناولة ألا وهي موضوع القراءات التي كانت حاضرة في كتابه (المعاني) وكذلك في المنهج النحوي التوجيهي الذي اتبعه الفراء في كتابه وحتى من ناحية تأثر نظر الفراء كان تأثره بالمعتزلة ظاهراً من خلال كتابه هذا وحتى عند ابن جنّي باعتباره كان معتزلي فالفراء درس الجوانب النحويّة والصرفيّة والدلالية وأولى اهتماماً بالغاً للقراءات المختلفة، وكان يذكر الأوجه المختلفة والآراء المتباينة ثم يورد الجانب الصحيح حسب رأيه ¹.

ويرى أحد الباحثين: "أنّه استعمل الأصول النحوية في توجيه قراءاته وتفسيرها والاعتماد على الأقوال كلامية وفقهيّة" ².

وبضيف إبراهيم عبد الله رفيدة: "أنّ الكتاب يعج بقواعد النحو وأصوله وشواهد اللّغة ورواتها والقراءات المتواترة والشاذة وتوجيهها والاحتجاج بها ولها وهو في جملته كتاب نحو ولغة يؤسس مذهباً نحويّاً في ظلال النص القرآني ويحلّل هذا النص وفق أساليب العربية، وما أثر عن العرب من فصيح الكلام ولكنه إلى جانب ذلك نجد فيه مادة غزيرة من التفسير بالمأثور وأسباب النزول" ³.

المتصفح للكتاب يلاحظ ويوافق ما ذهب إليه إبراهيم رفيدة نجد كتابه يطغى عليه الجانب اللّغوي وتكثر فيه الشواهد وتوظيف الأصول النحويّة والقياسيّة في إطلاق الأحكام التفسيريّة وفق ما أثير عن العرب من كلام العرب حتى، أنّ هناك من يرى إلى جانب رأي إبراهيم رفيدة "أنّ هدفه الترسّخ للمذهب نحوي بالدرجة الأولى وهو تأصيل وتنمية المذهب الكوفي قصداً يبرز فيه دور الدراسات في نشأة النحو

¹ الآراء النحوية التي تفرد بها الفراء من خلال كتابه من معاني القرآن، المرجع السابق، ص: 20.

² المرجع نفسه، ص: 87.

³ المرجع نفسه، ص: 412.

ونموه وتعميق مذاهبه في المأثور زمن كلام العرب والمتعارف من أسبابها من الخطاب المأثور من تفسير الصحابة والتابعين وهو المصدر الأول والأوسع والأعمق¹.

وهو ممن يعتمد في أحكامه النحوية على كل القراءات ولا يفرق بينهما من هذه الناحية وهو ينطلق في هذه الأحكام من النص القرآني والمروى عن العرب².

فهو يطلق حكمه ثم يجد له في العربية وجه يطمئن إليه عن طريق تطبيق الأصول النحوية فيدعم حكمها هذا بما يجده عن طريق اجتهاده ومن خلال الكتاب يلاحظ أنّ الأصل النحوي الذي اعتمده في تقوية حكم القياس لكل قراءة يوجهها وكان القياس منهج المتبع في توجيهها وبالتالي أعطى القياس في منهجه النحوي حضور خاص مثل منهج ابن جني.

وما حمله هذا الكتاب من قراءات صحيحة وشاذة وتوجيهات نحوية ولغوية وشواهد من تراث العربي من شعر ونثر وقرآن وحديث كان معرض ومنبع وسند يتكئ عليه ابن جني في بناء سرح كتابه الخالد.

¹ المرجع السابق، ن ص 287.

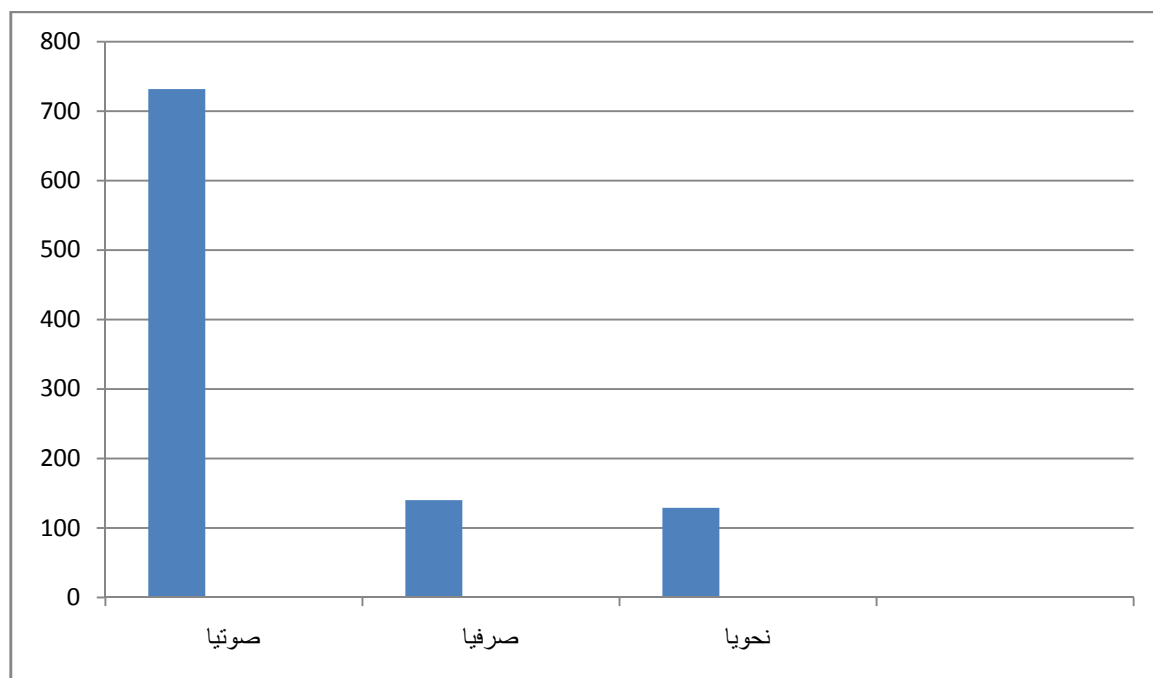
² المرجع نفسه، ن ص.

جدول إحصائي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:

القراءات	وجه شذوذ القراءة	عددتها	نسبها المئوية
النموذج الأول	صوتيا	732	73.12 %
النموذج الثاني	صرفيا	140	14 %
النموذج الثالث	نحويا	129	12.88 %
المجموع	/	1001	100 %

يتبين من خلال هذا الجدول أنّ القراءات الشاذة في كتاب المحتسب وحسب جهات شذوذها نجد أنّ حضور القراءات الشاذة صوتيا تحتل المرتبة الأولى باعتبار القراءات أداء ونطق ومعظم الشذوذ يقع في جانب الأدائي وهي بنسبة 73.12 % وتاليها القراءات الشاذة صرفيا بنسبة 14 % باعتبار صيغ الكلمات يمسه التغيير من منطقة إلى أخرى ولذلك كانت عندما تصل القراءات إلى القراء في منطقة معينة يضعون الصيغ مكان بعضها البعض من باب التيسير كما يقال أو من باب التشابه في المعنى وتاليها القراءات الشاذة نحويا بنسبة 12.88 %.

عدد القراءات الشاذة



جهات شذوذ القراءة

أعمدة بيانية تمثل نسبة القراءات الشاذة حسب جهات الشذوذ في كتاب المحتسب في تبين

وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها

الباب الثاني: المنهج النحوي عند ابن جني
من خلال نماذج من كتابه المحتسب
في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها

الفصل الأول: المنهج النحوي عند ابن

جنّي من خلال نماذج من القراءات الشاذة صوتيا

المبحث الأول: نماذج من سورة الفاتحة والبقرة.

1-1- نماذج من سورة الفاتحة:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"	02	"الْحَمْدُ لِلَّهِ" "الْحَمْدُ لِلَّهِ"	ج1 ، ص : 110
"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"	05	"إِيَّاكَ" و "هَيَّاكَ"	ج1 ، ص : 114
"وَلَا الضَّالِّينَ"	07	و الضَّالِّينَ	ج1 ، ص : 124

المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال الآية (02، 05، 07) من سورة الفاتحة :

القراءة المشهورة "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"¹ وقراءة أهل البادية "الْحَمْدُ لِلَّهِ" بضم.

وردت حسب ابن جنّي ومن عاصرهم بكسر الدال واللام "الْحَمْدُ لِلَّهِ"² كذلك.

وكما يقول صاحب المحيط أن: "الجمهور قرأ بضم الدال الحمد وأتبع إبراهيم ابن عجلة لام الجر

لضمة الدال كما أتبع الحسن وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام وهي الأغر، لأنّ فيه إتباع حركة

المعرب لحركة غير إعراب والأول بالعكس، وفي قراءة الحسن احتمال أن يكون الإتباع في مرفوع أو

¹الفاتحة: 02

²المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 110

منصوب ويكون الإعراب إذ ذاك على التقديرين مقدرا منه ومن ظهوره شغل الكلمة بحركة الإبتاع والمدغم¹.

ويفصف صاحب تفسير البحر المحيط هذه القراءة الشاذة في حالة الكسر بالأعرب وفي الغربية خروج عن المؤلف، "الحمدُ لله" حسب الأخفش الأوسط: فرفعه على الابتداء وذلك أن كل اسم ابتداء لم يقع عليه فعلا من بعده فهو مرفوع، وخبره إن كان هو أيضا مرفوع، نحو قوله: "مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ"² و"ما أشبه ذلك وهذه الجملة تأتي على ما في القرآن من المبتدأ، فافهمها³.

وحكم ابن جني على هذه القراءة بالشذوذ مباشرة وهي حسب شاذة قياسا واستعمالا بعكس ما سنرى في النماذج الأخرى من القراءات الشاذة نادرا ما يحكم عليها بالشذوذ مباشرة وإنما بعد التعليل يطلق الحكم.

ولكنه يعلل ويكشف عن السبب الذي جعل هذا اللفظ يتردد في كلام العرب بقوله: "وهم لما كثر في استعمالهم أشد تغييرا"⁴.

وهذه القراءة أدرجوها في المرتبة الرابعة من الشاذ الذي يكون قياسا واستعمالا والذي هو خارج عن قواعد العامة المبنية على الأعم و الأشمل.

¹ محمد بن يوسف الشهيد أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ص: 199

² الفتح: 29.

³ سعد بن مسعدة الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود، ج1، الخانجي، القاهرة، ط1، 1999، ص: 9

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 111.

وحمل هذه القراءة على ما ورد في كلام العرب بقوله كما جاء عنهم: " لم يك، ولا أدر ولم أبل، وأيش تقول، وحاجي، وسائر بحذف همزتيهما " ¹.

وهذه الكثرة في الاستعمال حسب ابن جني هي التي جعلتهم يتبعون "أحد الصوتين الآخر" ².

وهذا التعليل لجعل " الحمد لله " كجملة واحدة وإن كان فيها مبتدأ وخبر هو الكثرة في الاستعمال.

ولها ما يقابلها في السماع فهي كعُنق وطُئِب وكذلك: " الحمد لله " كإِبِل وإِطِل ³. وفي الموضع

جمع بين الأدلة ⁴، وهدفه من هذا حتى يكشف عن الوجه الحقيقي لهذه القراءة الشاذة وكذلك هو يعدد الأدلة للإقناع وتبيين وجه قوتها في العربية.

وهو لا يكتفي بهذا التوجيه بل يفاضل ويرجح بين القراءتين ويعلل كذلك هذه المفاضلة بين

القراءتين بحيث يرى أن: " الحمد لله " بضم الحرفين أسهل من " الحمد لله " بكسرهما من موضعين ⁵.

وذلك أنه: " إذا كان إتباعا فإنّ أقيس الإِتباع أن يكون الثاني تابعا للأول وذلك أنه جار مجرى

السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب " ⁶.

وفي هذا لم يكتف بالتعليل النحوي الذي عاهدناه منه بل تعدى ذلك إلى التعليل المنطقي ويظهر

من خلال طريقة الاستدلال والمصطلحات المنطقية الموظفة في قوله.

¹ المصدر السابق، ن ص.

² المصدر نفسه، ن ص.

³ المصدر نفسه، ن ص.

⁴ يقصد بأدلة: السماع والقياس والتعليل اللغوي.

⁵ المحتسب، المصدر السابق، ن ج، ص: 111.

⁶ المصدر نفسه، ن ص.

إذن فالسبب والمسبب من المصطلحات المنطقية المحضة وحتى الطريقة الاستدلالية تحمل صبغة منطقية وبناء على التعليل المنطقي تكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال كما تقول مدٌ وشدٌ وشمٌ وفرٌ¹، فنتبع الثاني الأول والتمس لها ما يناسبها من كلام العرب في إتيان الثاني للأول في حالة الضم والنصب وحتى الكسر وذكرها مرتبة وحسب حرمة كل علامة.

وهو يفاضل كذلك بين الإتيان الثاني للأول والأول للثاني بقوله: " وهذا أقيس من إتيانك الأول للثاني في اقتل وأدخل، ومع هذا فإنّ هذا الإتيان أعني اقتل، بابه لا يكاد يعتد "². فالإتيان الثاني للأول أقيس من الأول للثاني لأنّه لا يعتد به والمثال يوضح، ذلك باعتبار: "أنّ الوصل هو الذي عليه عقد الكلام واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه وأنت إذا وصلت سقطت الهمزة"³.

ويعلل هذه المفاضلة من باب الوصل الذي يبني عليه عقد الكلام واستمراره ثم يؤكد أنّ الإتيان الثاني للأول أقيس من خلال قوله "مدٌ أقيس إتياناً من أقتل، ويضيف كذلك تأكيداً للعلة المنطقية بقوله: السبب أسبق رتبة من المسبب"⁴. في التعليل على المفاضلة جمع بين العلة المنطقية والعلة النحوية في الموضع الأول ويعلل كذلك المفاضلة والترجيح لـ: " الحمدُ لله " على " الحمد لله " بحيث " أنّ ضمة الدال في الحمد إعراب، وكسره للام في الله بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا: " الحمدُ لله فقربت أن يغلب الأقوى الأضعف "⁵.

¹المصدر السابق، ن ص.

² المصدر نفسه، ن ص.

³ المصدر نفسه، ن ص.

⁴المصدر نفسه، ن ص.

⁵ المصدر نفسه، ن ص.

في التعليل النحوي تدرج في ذكر العلل النحويّة بمراتبها، وهو في هذا جمع بين العلل مما يدل على أنّ التعليل أخذ حظه في توجيه الشاذ من القراءات عند ابن جنّي وهذا ما سنراه من خلال صفحات الكتاب. وهذا الإتيان في الإعراب والبناء هو حملا على ما ورد في كلام العرب حيث قال بعضهم:

اضرب السّاقين إمّك هابل¹.

ويرى ابن جنّي هذا: نحو "الحمد لله" و"الحمد لله" وجميع ما في هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت جار مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب، وإنّما احتطنا بهذه السمة التي هي، الإدغام الصغير لأنّ في هذا إيذانا بأنّ التقريب شامل للموضعين وأنّه هو المراد المبغى في كلتا الجهتين فاعرف ذلك². وكان كسر " إمّك " هناك إتياناً لكسر الهمزة، والإم لغة في الأم، وهذا هو السماع الذي التمسّه ابن جنّي لتوضيح وجه هذه القراءة الشاذة التي قرأ بها كما يقول ابن جنّي: "إبراهيم بن عبلّة"³.

بسبب إجراء " الحمد لله " مجرى الجزء الواحد بجزأها هو: " شدة الاتصال المبتدأ بخبره " وهذا حملا على: تأبط شرا، نقول تأبطي وقولهم في رجل زيد أخوك: زيدي، وحذفوا الجزء الثاني، كما يحذفون الجزء الثاني من المركب نحو قولهم في حضر موت: حضرّمي، وفي رام هرمز: رامّي، وكما يقولون أيضا في طلحة طلحيّ، فاعرف ذلك دليلا على شدة اتصال المبتدأ بخبره وما علمت أحدا من أصحابنا نحا هذا الموضع على وضوحه لك وقوة دلالاته على ما أثبتته في نفسك⁴.

¹ أبو الفتح عثمان ابن جنّي الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج 2، ص: 145. وذكر عجز البيت دون صدره لأنّه مجهول وكذلك قائله مجهول

² المصدر نفسه، ج 2، ص: 145.

³ المحتسب، المصدر السابق، ج 1، ص: 112.

⁴ المصدر نفسه ، ص: 113.

ويرى سعيد بن مسعدة " أن بعض العرب قد قالت (الحمد لله) فكسر، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة، لا تنزل علّتها نحو: (حيث) جعلها بعض العرب مضمومة على كل حال، وبعضهم يقول: (حيث) و(حيث) فتح وضم¹. وذكر ابن جنّي لهذه الأمثلة المتعددة من أجل تثبيت الفهم والتوضيح لهذه القراءة وإنزال الجزأين منزلة الجزء الواحد، ويقر لنفسه بالتفرد في المبالغة في إيراد الأمثلة التي كان يهدف منها إلى تقوية الدلالة.

وهو في هذا الموضع الذي يكشف فيه عن وجه هذه القراءة اعتمد واستند إلى السماع والقياس والتعليل في الموضع الواحد.

ويدعم هذه القراءة الشاذة كذلك بقراءة ابن الكثير: "فَإِذَا هِيَ تَلْقُفُ مَا يَأْفِكُونَ"²، وكذلك يستدل بقول بعضهم عن الفراء: "وجرى ذكر الرجل فقيل: هاهو ذا، فقال مجيباً: نعم إنّها ها هو ذا"³.

فيرى أنّ: "إلحاقه لام المعرفة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر من أقوى الأدلة على تنزليها عندهم منزلة الجزء الواحد، وفي صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال، وهو مع ذلك كالمتلاقيتين مع عجزه بينهما وإعراضه على كلّ واحد منها"⁴.

وليس هدف ابن جنّي إثبات قاعدة نحوية وتبيينها وشرحها ليس مقصده هذا، وإنّما يسعى للكشف وتقوية وجه هذه القراءة الشاذة في العربية من باب الدفاع عنها فهو جندّ واستعمل وجمع بين الأدلة

¹معاني القرآن، المصدر السابق، ص: 9

²الأعراف: 117. وهي قراءة البزي، السبعة في القراءات، ص: 290، البحر المحيط، ج 4، ص: 363

³المحتسب، المصدر السابق، ج 1، ص: 114.

⁴المصدر نفسه، ص: 115.

النحوية من سماع وقياس وتعليل وأخذ التعليل حظه الأوفر في توجيه هذه القراءة، بحيث لا يذكر نقطة إلاّ ويعللها ويتدرج في استعمال مراتب العلة من العلل الأولى إلى الثانية والثالثة¹.

ونوع ابن جنّي في توجيه من ناحية مسالك العلة بين القراءات المشهورة التي دعمت الشاذة وكلام العرب شعره ونثره وأخذ النثر بين المصادر الاستشهاد مكانته في مقابل غياب الاستشهاد بالحديث الشريف وإن كان ابن جنّي ممن يستشهد بالحديث الشريف.

فهذا المزج العجيب بين الأدلة النحوية والعلل النحوية والمنطقية والمصادر الاستشهادية وشدة اعتناؤه بالإيضاح والإيجاز والاختصار بعيدا عن التعقيد والإغراب، كان من منطلق ثقافته المنطقية واللغوية و"مجالس العلم التي تربي فيها"² وترتب عن هذا البناء المتراص لوجه هذه القراءة ولتعليلها وتوجيهها ومكانتها بين القراءات الشاذة.

قال تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"³.

وقرأها الفضل الرقاشي "إِيَّاكَ" وهي قراءة علي أيضا، ويقول كذلك "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"⁴ بفتح الهمزة.

ويرى ابن جنّي في فتح الهمزة: "إِيَّاكَ وَأَيَّاكَ وَيَّاكَ، وَهَيَّاكَ"⁵، والهاء في "هَيَّاكَ" و"هَيَّاكَ" بدل من

الهمزة وهي قياس على ما هو موجود في لغة العرب "كقولهم: في أرقت:هرقت، وأردت، هردت وأرحت

¹ العلل يقصد بها العلل التعليمية والقياسية والجدلية.

² يقصد منها النتيجة المترتبة عن مزج الأدلة.

³ الفاتحة: 05.

⁴ المحتسب ج1، ص: 114، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، نشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر،

1934، ص: 10، معاني القرآن، الأخفش الأوسط، المصدر السابق، ص: 13.

⁵ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 114

الدابة: هرقت وأندت الثوب: هنرت ¹.

ففي قلب الهمزة هاء موجود في كلام العرب وفي الشعر ما يقابله لمضرس بن ربيعي:

فَهْيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنَّ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ ².

والقراءة الثانية الشاذة لهذه القراءة: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " ³ بتخفيف الياء فيهما جميعاً ⁴، فوزن

"إيا " هي على قياس الوزن الصرفي فَعَلَ كَرِضًا وَحِجًّا وَحِمَّى ونظيره: إِيَا الشمس ⁵.

وفي هذا يقول طرفة بن عبد ⁶:

سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لَنَاتِهِ أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ.

ويرى ابن جني أنه يقال فيه: "أَيَّاءُ الشمس بالفتح والمد" ⁷

ويقول ذو الرمة:

تَنَازَعَهَا لَوْنَانِ وَرُدُّ وَحُوَّةٌ تَرَى لِأَيَّاءِ الشَّمْسِ فِيهِ تَحْدُرًا ⁸.

وكان في الموضوع جمع بين المصادر الاستشهادية النثرية والشعرية وجمع بين السماع والقياس .

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² رضي الإسترياذي، شرح شافية ابن حاجب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 198 ، ج4، ص: 476

³ الفاتحة ،: 05 .

⁴ المحتسب ، ج1 ، ص : 115 ، البحر المحيط ، ج 1 ، ص : 23 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 115 .

⁶ الديوان ، المصدر السابق، ص : 115 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص : 115 .

⁸ المصدر نفسه ، ن ص ، هذا البيت غير موجود في الديوان ذو الرمة المطبوع و هذا ما لمسه محقق الكتاب ولمسناه من

خلال تمحيص الديوان .

كما يقول ابن جنّي: "وأيّا فعل وأيّا فَعَال ،وكلاهما من لفظ الآية ومعناها وهي العلامة وذلك أنّ ضوء الشمس إذا ظهر علم جرمها على وجه الأرض"¹.

وبعد هذا الشرح اللغوي الذي استند إليه ابن جنّي في توضيح معناها بهدف تبين وجه هذا الشذوذ .

يعلل ابن جنّي هذا نحوياً استناداً إلى منهج الفقهاء وتفسيرهم من خلال استشهاده بقول أبي بكر بن علي الذي يقول ابن جنّي أنّه: "حدثه أبو بكر محمد بن علي قال: كان أبو إسحاق يقول في قول " إياك نعبد "أي حقيقتك نعبد، وكان يشتقه من الآية وهي العلامة وهذا يجيء ويسوغ على رأي أبي إسحاق، لأنّه يعتقد في إياك أنّه اسم مظهر خص به المضمّر، فأما على قوله فاشتقاقه فاسد، لأنّ إياك اسم مضمّر والأسماء المضمّرة لا اشتقاق في شيء منها، وينبغي أن يكون عمرو بن فايد إنّما قرأ " إياك " بالتخفيف على أنّها لغة، وذلك أنّا لم نر لذلك أثراً في اللّغة ولا رسماً ولا مرّ بنا في نثر ولا نظم، نعم ومن لم يخلد مع ثقته إلى نظر يعصم به و يتساند إليه بأمانته أتى من قبل نفسه من حيث يظن أنّه ينظر لها، وكان ماءها في ذلك من أجل فقاوته لا أمانته"².

قال تعالى : "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"³.

وقراءة أبو السخيتيائي: "والضّالّينَ" بالهمز⁴.

ويعلل ابن جنّي شذوذ القراءة بقوله: " ذكر بعض أصحابنا: أنّ أيوب سئل عن هذه الهمزة، فقال هي بدل من المدة للالتقاء الساكنين وأعلم أنّ أصل هذه ونحوه: الضالّين وهو الفاعلون من ضلّ يضل

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 115

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ الفاتحة : 07

⁴المحتسب، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 116 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 10

فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الأخرى، فالتقي ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف، واعتمدت وطأة المد، فكان ذلك نحو من تحريك الألف وذلك أنّ الحرف يزيد صوتا بحركاته كما يزيد صوت الألف بإشباع مدته¹. يعلل ابن جنّي نحويا وعقليا شذوذ هذه القراءة القائمة على قلب هذا المد والهمزة .

كما يظهر من خلال هذا التعليل تدرج في ذكر العلل وقياسا على ما ورد في قوله: "فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسألُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ"².

وهذا القياس للفرع على الأصل من باب المشابهة (إبدال المد همزة) يحكم عليها ابن جنّي بالشذوذ وبطريقة غير مباشرة من خلال قول أبو زيد: "فطننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شأبه ومأدة ودأبة"³.

وعليه قول كثير :

إِذَا مَا الْعَوَالِي بِالْعَبِيطِ إِحْمَارَتْ⁴.

وفي قول كثير كذلك :

وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بَيَاضًا وَأَمَّا بَيَضُهَا فَأَدْهَمَاتٌ⁵.

¹ المصدر السابق: 124 .

² الرحمن : 74 .

³ المحتسب، المصدر السابق، ج 1 ، ص: 125 .

⁴ كثير عزة ، الديوان ، بيروت ، لبنان ، ص : 97. و الشطر من هذا البيت :

و أنت ابن ليلي خير قومك مشهدا إذا ما احمارت بالعبيط العوامل

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

فهذه القراءة هي قياس على ما ورد عند العرب كما سبقه الذكر فهو استشهد في باب ذلك بكلام العرب نثره وشعره في توجيهها وتبيين وجهها وابن جنّي يعتبر هذا الشذوذ والذي تمثل في إبدال الألف همزة وهو شذوذ صوتي من " طريق الحديث " وهو يعلل هذا الإبدال الذي جاءت في بابه هذه القراءة الشاذة والتي هي قياسا على ما كان موجود في كلام العرب وبين العلة الجامعة بينهما في الحمل، قد ذكر في هذا الموضع كل مراتب العلة النحوية من العلة الأولى إلى العلة الثانية إلى العلة الثالثة وهكذا أرفق هذا بالشرح للباب النحوي التي وردت فيه هذه المسألة وذلك لتقوية وجه هذه القراءة حتى يكون لها وجه من الصحة في كلام العرب نتيجة لما التمسها لها وذلك عن طريق الاستفاضة في الحديث عن وجه شذوذها حتى تظن نفسك في درس حول هذه المسألة بعينها أو هذا الباب بعينه، وهذا ما نلمسه من قوله في نهاية التوجيه : " وفيه أكثر من هذا ولولا تجنب الإطالة، كراهية الإملال والسآمة لأتينا به مثبت في أماكن من تأليفنا وإملائنا " ¹ .

فابن جنّي في هذا الموضع التوجيهي اتبع طريق الفقهاء في تفسير هذه القراءة وتبيين وجهها وكذلك اعتمد العلة النحوية والعقلية المحضة في تبين الوجه الصوتي لها بالتماس الشواهد وشرحها وفق الأبواب التي تنتمي إليها واعتمد السماع والقياس ومصادر الاستشهاد من شعر ونثر وقراءات قرآنية مغلّبا في ذلك الشعر على بقية الشواهد وحتى وإن كان نثر من كلام العرب وكان له حضور يقارب الشعر وكذلك اعتمد ابن جنّي الشعر باعتبار الشعر ديوان العرب وملجأهم في الاستشهاد كله وكاشف مختلف الوجوه اللغوية النادرة والشاذة فهو في هذا التوجيه مزج بين المصادر الاستدلالية وطرق الاستدلالية ملتصقا من المنطق والفقهاء دعامة لتبيين وجه الشذوذ وتبيان حضورها رغم تصريحه في المضمون من خلال قول أبو زيد بأنّها من الشاذ ومن النادر.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 128 .

1-2- نماذج من سورة البقرة :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "	06	"أَنذَرْتَهُمْ"	ج 1 ، ص : 129
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا "	10	" مَرَض "	ج 1 ، ص : 132
"أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِّحَتْ بِتَجَارَتِهِمْ "	16	" اشْتَرُوا "	ج 1 ، ص : 134 .
"يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ "	20	" يَخْطِف "	ج 1 ، ص : 140 .
" قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ "	33	"أَنبِيَهُمْ " ، "أَنْبِيَهُمْ " .	ج 1 ، ص : 148
"وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ "	35	" الشَّجَرَةَ "	ج 1 ، ص : 155
" " فُلْنَا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى "	38	"هُدًى "	ج 1 ، ص : 157
" أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا "	60	"اثنَتَا عَشْرَةَ "	ج 1 ، ص : 167

			"
ج 1 ، ص : 170	"وَقُنَّائِهَا "	61	تُثَبِّتُ الْأَرْضَ مِنْ بَقْلِهَا وَقُنَّائِهَا وَقَوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصْلِهَا ^ط
ج 1 ، ص : 179	"و آيدناه "	87	"وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ^ط "
ج 1 ، ص : 199	"و إِلَهَ أَبِيكَ "	133	"وَاللَّهُ عَابَايَكَ "
ج 1 ، ص : 202	"وَأَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا "	150	"إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا "
ج 1 ، ص : 202	"أَلَا يَطَّوَّفُ بِهِمَا "	158	أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ^ع
ج 1 ، ص : 255	"و لا يؤوده "	255	"وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا "

المنهج النحوي من خلال الآية (06، 10، 16، 20، 33، 35، 38، 60، 61، 87، 133،

150، 158، 255) من سورة البقرة :

قال تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"¹ .

¹ البقرة : 06 .

وقرأ ابن محيص : "أَنْذَرْتَهُمْ" بهمزة واحدة من غير مدٍّ¹، ويعلل ابن جنِّي هذا بقوله : "هذا ما لا بد فيه أن يكون تقديره أأنذرتهم ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفا لكرهية الهمزتين، ولأنَّ قوله: سواء عليهم لا بد أن يكون التسوية بين الشئيين أو أكثر من ذلك ولمجئ أم من بعد ذلك أيضا"².

فأبو الفتح ابن جنِّي يذكر ثلاثة علل نحوية لشذوذ هذه القراءة من باب التخفيف ومن باب التسوية ولمجئ أم من بعد ذلك .

ومن جهة أخرى يرى الأخفش الأوسط في هذا : "أنما دخلها الاستفهام ،وليس باستفهام يذكر "السواء" لأنه إذا قال في الاستفهام :أزيد عندك أم عمرو؟ وهو يسأل أيهما عندك، فهنا مستويان عليه، ليس واحد منهما أحق بالاستفهام من الآخر، فلما جاءت التسوية في قوله: "أأنذرتهم" شبه بذلك الاستفهام إذ أشبهه في التسوية ، ومثلها"³.

وهي على مثال قوله تعالى : "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ"⁴.

والتمس لها ابن جنِّي من سماع العرب ما يمكن أن يكون نظيرا لها لوجه المشابهة ويحملها على الشعر العربي بحيث يقول عمران بن حطان⁵ :

فَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ أَمِنَا لَا لِمُعْشَرٍ أَتُونِي فَقَالُوا: مِنْ رَبِيعَةٍ أَمْ مُضَرٍ.

¹ . المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 129 . مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 111 .

² المصدر نفسه ، ص : 130

³ معاني القرآن ، الأخفش الأوسط ، المصدر السابق ، ص : 31 .

⁴ المنافقون : 06 .

⁵ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 281 .

ويقدرها ابن جني بقوله: " فيمن قال: أم، أي: أمن ربيعة أم مضر " ¹.

فهو جمع بين القياس والسماع والتقدير والتعليل في الموضع الواحد وبشكل متدرج ومتناسق .

وفي هذا الضرب كذلك يستشهد ابن جني بأبيات من كتاب سيبويه:

لَعُمْرِكَ مَا أَدْرَى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْبُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنْقَرٍ ².

وقال الكميث على مثال " أنذرتهم " .

طربتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِبًا وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ ³ .

ويقدر ابن جني حذف الهمزة هنا بقوله: " قيل أراد: أو ذو الشيب يلعب " ⁴. فهو يقدر المهمل

في هذه الأبيات الذي ناب عليه المستعمل والتقدير من السمات الأساسية للمنهج النحوي ونجد ابن جني يقدر المهمل مثل ما كان يفعل سيبويه وغيره من النحاة .

فابن جني حاول في توجيه هذه القراءة أن يجمع بين السماع والقياس والتعليل والتقدير والتمس

لها شواهد من كلام العرب وهذا ما يفتقد عند بقية النحاة، مثلاً في توجيه القراءات نجده لا يقتصر على

الأصل الواحد في الموضع الواحد، ولربما هذا نابع من استماته في الدفاع عن الشاذ من القرآن .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 129 .

²الكتاب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 175 . خزنة الأدب ، المصدر السابق، ج 5 ، ص : 450 .

³ الخصائص ، المصدر السابق ، ص : 111.

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 130 .

وحتى من مصادر الاستشهادية استشهاده بالشعر وحتى القراءات ومثال ذلك قوله تعالى: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ"¹.

ويقدر ابن جني ذلك بقوله : أو تلك نعمة ؟² .

فحذفت الهمزة في الاستعمال في هذه الآية ويؤكد الأخفش الأوسط بقوله: "وهذا استفهام وكأنه قال

:أو تلك نعمة تمنها ؟ ثم فسر فقال :أن عبّدت بني إسرائيل"³.

ويواصل قوله: " بدلا من النعمة "⁴.

وهذه القراءة المشهورة دعمت القراءة الشاذة وجمّع هذه القراءة الشاذة والمشهورة هي على قول عمر بن أبي ربيعة⁵ :

لَعُمْرِكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ.

ويرى نور الدين علي بن الحسن الباقلوي: " الاستفهام بمعنى الإنكار "⁶ ويقصد الآية الكريمة : " أو تلك نعمة "⁷.

¹ الشعراء : 22 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 130 .

³ معاني القرآن، الأخفش الأوسط ، المصدر السابق ، ص : 461 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المحتسب ، ج 1 ، ص : 130 ، المصدر السابق ، و تقديرها " أبسبع " و ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص : 65

⁶ نور الدين الحسين الباقلوي ، إعراب القرآن و علل القراءات ، تح : الشريسي شديدة ، دار اليقين ، ط 1 ، 2010 ، مصر ، ص : 430 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 130

وبعزل هذا الحذف بقول أبي علي الفارسي: "قال أبو بكر حذف الحرف ليس بقياس وذلك أنّ الحرف نائب عن الفعل وفاعله ألا ترى أنّك إذا قلت: ما قام زيد نائب ما عن أنفى كما نابت إلا عن أستثنى، كما نابت الهمزة وهل عن أستفهم، وكما نابت حروف العطف عن أعطف، ونحو ذلك، فلو ذهبت تحذف الحرف لكان ذلك اختصارا المختصر إجحاف به، إلا أنّه إذا صح التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة"¹.

وبعد هذا التفسير والتعليل النحوي يتدرج وفق مراتب العلل ويقدر في نفس الوقت، فهو جمع التعليل والتقدير وذلك من أجل إثبات وجه العربية لهذه القراءة الشاذة مبنية على حذف الاستفهام ويطلق الحكم على جواز حذف الهمزة في هذا الموضع بحيث يقول: "فثبت حذف همزة الاستفهام على ما رأينا في غير هذا، فيجب أن يحمل هذا عليه أيضا"².

ولزيادة الشرح وتثبيت علة الحذف يقارنها مع حذف همزة أفعل في الماضي فيقول "وأما همزة أفعل في الماضي فما أبعد حذفها"³. فهو يبيّن هنا أنّ حذف الهمزة في الأفعال ليس مطلق وإنّما إذا كانت كانت هناك حالة شبه مطابقة لـ: "أنذرتهم" فيها حكم جواز الحذف العلل المذكورة السابقة واستنادا لوجود ما يدعمها من القرآن وكلام العرب استنادا إلى التعليل .

وما يمكن أن يلاحظ في توجيه هذه القراءة الشاذة في اللغة هو تجنيد ابن جني لمعظم الأسس الاستدلالية المنهجية من أساس السماع والقياس واستصحاب الحال والتعليل والتقدير لإطلاق الحكم مبني على ما هو موجود في المصادر الاستشهادية التي نلاحظ فيها تنويع بين الشعر والقرآن واعتماده على الشعر أكثر، باعتباره ديوان العرب فكل مفقود إلا وله في كلام العرب وجود، وما لوحظ من خلال تتبع

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 130 .

² المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 130 .

³ المصدر السابق ، ن ص .

خطى ابن جنّي التوجيهيّة لهذه القراءة وكذلك المصدر الاستشهادي النثري تجاوز الحدود الزمانية من خلال الاستشهاد بأقوال معاصريه، فهو دعم حكمه النحوي وتعليله لهذه القراءة بما أخذه عن أستاذه أبي علي الفارسي فهو يصنع صنيع سيبويه وأستاذه الخليل.

قال تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" ¹.

ونقل ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" ².

ويقول أبو الفتح: "لا يجوز أن يكون (مرض) مخففاً من مَرَضٍ لأنَّ المفتوح لا يخفف وإنَّما ذلك في المكسور والمضموم كإِبل وفَخِذ، وطَنْب وعَضُد، وما جاء عنهم من ذلك في المنتوج فشاذ لا يقاس عليه" ³.

وبوضح ابن جنّي علة التخفيف في هذه القراءة الشاذة غائبة لأنَّ التخفيف بالسكون إمّا عن طريق الضم أو الفتح .

وحملها على قول الشاعر:

وَأَكُلُ مُبْتَاعَ وَ لَوْ سَلَفَ صَفْقُهُ يُرَاجِعُ مَا فَاتَهُ يُزْدَادُ ⁴.

ويرى ابن جنّي أنّ الخروج راجع للاضطراب بقوله يريد: "سَلَفَ فَأُسْكِنَ مضطراً" ⁵.

¹ البقرة : 10

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 132 .

³ المصدر السابق ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه. ن ص .

⁵ المنصف ، ج 1 ، ص : 21 (هو الأخطل ، شواهد الشافية) .

ويذكر أنه سلف له أن تطرق إلى هذا في كتابه المنصف¹، ولا يذكر كل القول للاختصار والإيجاز الذي وعد به قرائه في المقدمة .

ومن باب دفاعي يستدرك ابن جنّي هذا بقوله : " ينبغي أن يكون مرض هذا الساكن لغة في مرض المتحرك ، كالحلب والحلب ، والطرد والطرد ، والشلل والشلل ، والعبب والعباب ، والدّيم والدّام"².

وهذا يؤكد من خلال الإشارة إلى باب تقاود الفتح والسكون والكسر³، الذي أورده في الخصائص باعتبارهما يجريان مجرى جزء واحد في عدة أماكن من باب التقريب⁴، فابن جنّي اقتصر على ذكر الأمثلة التي تجسد فيها تقاود الفتح والسكون لمناظرتها لوجه شذوذ هذه القراءة .

وبذكر المقابلات في بعض الأحيان يتضح الشيء الحاضر، اضطر ابن جنّي إلى ذكر مقابلات الأخرى لتقاود الفتح والسكون بقوله: " أنّ كل واحد منها قد يفرع ويستروح إليه من الضمة والكسرة، ألا

¹ يقول: " قالوا أراد سلف ولكنه اضطر فخفف المفتوح ، وهذا عندهم من الشاذ، فهذا ما قال أصحابنا فيه ، ويحتمل عنده وجهها آخر، وهو أن يكون مخففا من فعل المكسور العين، ولكنه فعل غير مستعمل إلا أنه تقدير الاستعمال وإن لم ينطبق به كما أنّ قولهم : تفرقوا عباديد وشماطيط، كأنهم قد نطقوا فيه بالواحد من هذين الجمعين، وإن لم يكن مستعملا في اللفظ، فكأنهم استغنوا بسلف هذا المفتوح عن ذلك المكسور أن ينطقوا به غير مسكن وإذا كانوا قد جاءوا بجمع لم ينطقوا لها بأحد مع أنّ الجمع لا يكون إلا عن واحد ، فإن يستغنى بفعل عن فعل من لفظه ومعناه، وليس بينهما إلا فتحة عين هذا وكسرة عين ذاك أجدر و أرى أنهم استغنوا بالمفتوح عن المكسور لخفة الفتحة، فهذا ما يحتمله القياس وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ ما وجدت إليه ضربا من القياس " (المنصف ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 12)

² المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص : 133

³ الخصائص ، المصدر السابق، ج2 ، ص : 338 ، يقول ابن جنّي : " وأما ما كان متحركا ثم أسكن فعلى ضربين : متصل ومنفصل فالمتصل : ما كان ثلاثيا مضموم الثاني أو مكسورة فلك في الإسكان تخفيفا، وذلك كقولك في علم وفي ظرف قد ظُرف وفي رجل : رجل وفي كبد : كبد ."

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ج1 ، ص : 133 .

تراهم قالوا في غُرِفَات ونحوها :غُرِفَات بالفتح وأُخْرَى وغُرِفَات بالسكون ،كما قالوا في سِدَرَات تارة :سِدَرَات بالفتح وأُخْرَى سِدَرَات بالسكون "1.

وذكره لهذه الأمثلة من باب إثبات الوجود لوجه هذه القراءة جامعا بين الطرق الاستدلالية من سماع وقياس وتعليل نحوي في موضع لرصد الوجه اللغوي لهذه القراءة معتمدا على كلام العرب (شعره ونثره). ويستدل في هذا على ما ذكره سيبويه في كتابه من إجراء الياء المفتوحة مجرى الياء الساكنة نحو السيال والصياح ونحو شيبان وقيس وعيلان "2.

ويستند إلى التعليل العقلي في إثبات هذا الحضور فيقول: "والفعل كالأصل في مصادر الثلاثية لاسيما في المتعدي منها، والمتعدي أكثر من غير المتعدي، فلذلك ساغ فيها فعل"3.

وكذلك " كان المتعدي أكثر من غيره من قبل أنَّ الفعل قد يكون حديثا عن المفعول به نحو: ضرب زيد، فكما يكون حديثا عن الفاعل نحو: قام زيد، فكما لابد للفعل من الفاعل فكذلك كثر المتعدي لأنَّ فيه تسببا إلى أن يكون الفعل حديثا عن المفعول "4.

وكانت على منوال هذا التعليل طريقة المناطقة والفلاسفة في إثبات مسائلهم وترجيحها ومقارنتها .

قال تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ "5.

¹المصدر السابق ، ص : 134 .

²الكتاب ، المصدر السابق ، ج4 ، ص : 122 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 134 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ البقرة : 16 .

ومن ذلك قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق وأبي السمال : "إِشْتَرُوا الضَّلَالَةَ"¹.

والفتح في هذه الواو هو لغة من لغات ثلاث حسب ابن جنّي : "أَنَّ في هذه الواو ثلاث لغات الضم والكسر، وحكى أبو الحسن في فتحها وروينا أيضا عن قطرب الحركة في جميعها وسكون الواو وما بعدها والضم أفشى، ثم الكسر ثم الفتح "².

وباعتبار الفتح أضعف اللغات فهو حكم وبطريقة غير مباشرة وغير صريحة على شذوذ هذه القراءة وهو يذكر هذا بصفة عامة ثم يتدرج في التفصيل من خلال تعليل وإدراج كل حركة في مرتبتها فيذكر أن:

الضم أقوى لأنها واو الجمع، فأرادوا التفريق بينها وبين واو "أو" و"لو" لأن تلك مكسورة نحو قوله تعالى : "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَآيَاتِ"³.

ومنهم من يضمها فيقول "لَوْ اطلعت"⁴ كما كسر أبو السمال وغيره من العرب واو الجمع تشبيها لها بواو "لو" فضم هنا فارق بين واو الجماعة واو الحرف والتمس لها الوجوه التي ورد بها الحرف من القرآن الكريم.

¹المحتسب ، ج 1 ، ص : 134 ، البحر المحيط ، ج 1 ، ص : 81 ، الخصائص ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 337 وقال ابن جنّي : "و من قرأ (اشترُوا الضلالة) قال في التذکر : اشترُوا، و من قرأ : اشترُوا قال في التذکر : اشتروي و من قال : اشترُوا الضلالة ، قال في التذکر : اشترُوا "

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 135 .

³ الكهف : 17 .

⁴أحمد بن محمد الساعاتي، إتحاف فضلاء البشر، تح : شعبان إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 1989 ص : 175 .

والفتح أقلها والعذر فيه خفة الفتحة مع ثقل الواو وهذا من باب إجراء غير اللازم مجرى اللازم¹.

وهذا التعليل الذي ذكره فيه هو تبين لوجه الشذوذ والتوضيح له، وقد وردت في الفتح من

القراءات وما روي عن قطرب وعن بعضهم: "قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا"² و"وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ"³.

وفيما يبدوا حاول ابن جني أن يعلل هذا نحويًا بإدراجه ضمن إجراء غير لازم مجرى لازم⁴.

وفيها من لغة قيس: "اشترؤوا الضلالة"⁵.

وهدفه من توسع في ذكر الاحتمالات الواردة في لغات الأخرى لهذه القراءة إيجاد مكانة لهذه

اللفظة من الاستعمال بين الألفاظ التي وردت في لغة العرب وهو اعتمد في توجيهها على مصادر

الاستشهادية على القراءات المشهورة وكانت ذات الحظ الأوفر بين المصادر الاستشهادية الأخرى من

الشعر الذي كان مغيب والنثر الذي كان حضوره من خلال الاستعمالات التي كانت لهذه اللفظة في

القبائل الأخرى .

ويستند إلى التعليل العقلي المحض بقوله: "ولو وقفت مستذكرا وقد ضمنت الواو لقلت اشتروا

ففصلت ضمة الواو فأنشأت بعدها واوا ، كأنك تستذكر الضلالة أو نحوها"⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 35

² المصدر نفسه.ن.ص.

³ المزمّل : 02 .

⁴ الخصائص ، ج 3 ، ص : 87 و هو فيما يرى ابن جني: "إجراء اللازم مجرى غير اللازم من المنفصل نحو جعل لك وضرب بكر كما شبه غير اللازم باللازم فادغم ، نحو : ضرب بكر و جعلك، فهذا مشبه في اللفظ بشد و استعذ و نحوه ونحوه، مما لزم فلم يفارق " .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 135 .

⁶ المصدر نفسه ، ص : 136 .

ولكن ما يلاحظ أنّ هذا تعليل يحمل نوع من تعقيد الذي يصعب في بعض الأحيان الكشف عن المساهمة التعليلية له. وفي الموضع نفسه يقول: "كما أنّك ولو استذكرت بعد من، وأنت تريد الرجل ونحوه لقلت: منا لأنك أشبعت الفتحة من الغلام وفي منذ: منذو، وفي هؤلاء، هؤلاء¹".

يلمس فيه تعقيد العقلي في الاستدلال الذي يصعب فيه استخراج العلة بسهولة واعتماده في هذا الموضع التعليل العقلي باعتباره من أصول ثقافته التي تربي عليها في مجالس زمانه وحتى يلاحظ أنّه خصص لذلك باب في كتابه الخصائص فيما يخص ذكر "علل عربية أو كلامية هي أم فقهية"².

فتساو له هذا ناتج عن الالتقاء الكبير لهذه العلل فيما بينها حتى صعب عليه أمر إدراجها وتصنيفها وهذا ما جعل منهجه النحوي متميّز لا يوظف فيه العلل النحوية خالصة وحدها، وإنّما كان يرفقها في أغلب الأحيان بالعلل العقلية أو الكلامية باعتبارها الأقرب إليها والعلل الفقهية في بعض الأحيان باعتبارها بعيدة نوع ما عنها ونجدها في المحتسب كانت حاضرة من خلال التفسير الفقهي.

قال تعالى: "يَكَاذُ الْبَرُّ يُحْطَفُ"³.

ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراء فيما ذكر ابن مجاهد: "يَحْطَفُ"⁴.

¹ المصدر نفسه ، ص : 136 .

² الخصائص ، المصدر السابق، ج1، ص : 48 ، ويقول في ذلك : " اعلم أنّ علل النحويين ، و أعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفاظهم المستضعفين، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين، وذلك أنّهم إنّما يحيلون على الحسّ، و يحتجون فيه بنقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه " .

³ البقرة : 20 .

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص : 140 ، معاني القرآن ، المصدر السابق ، ص : 54 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، ص : 12 .

بنصب الياء بحيث يرى الأخفش الأوسط في هذه القراءة: "ومنهم من قرأ (يَخْطَفُ) من خَطَفَ وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف، وقد رواها يونس (يَخْطَفُ) بكسر الفاء لاجتماع الساكنين، ومنهم من قرأ (يخطف) على خطف يخطف وهي الجيدة"¹.

وليس بالنصب الياء والحاء شاذة حسب الأخفش الأوسط وحتى من دون تشذير فهي شاذة وهي من القراءات الشاذة صوتياً. وابن مجاهد فيما حكاه ابن جنّي في هذا الموضع يرى أنّه في هذا الوجه: "لم يرو لنا أحد"². وهذا من المواقف التي كانت لابن مجاهد من القراءات الشاذة ويرويه ابن جنّي عنه ولم يرد عليه وبشكل مباشر.

فهو يرى أنّه: "ومنهم من إذا أسكن التاء ليدغمها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين فاستغنى بحركتها عن نقل الحركة إليها، يَخْطَفُ، ومنهم من يكسر حرف المضارعة إتباعاً لكسرة الفعل ما بعده، فيقول: يَخْطَفُ وأنا إِخْطَفُ"³.

وفي عرضه لهذه الحالات الممكنة في العربية بهدف توضيح وجه شذوذها هذه القراءة ولكن حتى هذه الحالات الممكنة التي تعتبر شارحة لهذه القراءة الشاذة ويستشهد لها من الشعر العربي بقول أبي النجم⁴:

تَدَافُعُ الشَّيْبِ وَلَمْ تَقْتُلْ.

¹ معاني القرآن ، أخفش الأوسط ، المصدر السابق ، ص : 54 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 140 .

³ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 140

⁴ المنصف ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 225 ، المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 140 ، معاني القرآن الأخفش الأوسط ، ص : 55.

وابن جنّي يرى أنّه : " أراد تقتتل فأسكن التاء الأولى للإدغام، وحرك القاف للالتقاء الساكنين بالكسر فصار تقتل، ثم أتبع أول الحرف ثانيه فصار تقتل¹ " .

وما يلاحظ في الموضع فهو لا يوجه فقط " يَخْطَفُ " والتي هي القراءة الشاذة المذكورة يوجه حتى "يَخْطَفُ" و"اخْطَفُ" والتي هي من الحالات الممكنة لها ويلمس لها ما يقابلها في العربية.

ويرى احتمال آخر وثالث بحيث : "ومنهم من كان يتبع الطاء كسرة الخاء "، ومثال ذلك ما أنشده الشماخ بن ضرار² :

لَا حَظَبَ الْقَوْمَ وَلَا الْقَوْمَ سَقَى .

ويقدر ابن جنّي ذلك فيقول : " أراد احتطب على ما مضى³ " .

وفي هذا الشطر من البيت الشعري يقول ابن جنّي : "أنشدونا⁴ مما يدل على أنّ البيت المستشهد به لشاعر معاصر له فهو يستشهد بشعر من عايشهم في ذلك عصر فهو بذلك يتجاوز الحدود الزمانية التي رسمت للاستشهاد في استدلال السماعي.

واعتمد في الاستشهاد على أشرط دون البيت كما سبق وأن ذكرنا من باب الاختصار بحيث يكتفي بذكر الشطر الذي يوجد فيه الشاهد فقط ، ويستشهد عن هذا من كلام العرب بما حكى أبو الحسن : " فِتَحُوا الأبواب أي افتتحوا الأبواب على م انتقدم⁵ .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 140 .

² المصدر نفسه ، ص : 141 .

³ لسان العرب ، مادة حطب ، المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 141 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 141 .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

من أمثلة هذا الموضع والتي يمكن القياس عليها في قوله : " يَهْدِي وَيَهْدِي وَيَهْدِيهَا " ¹ ، وجاء "المعذرون والمعذرون والمعذرون" ² ، و "مُرْدَفِين وَمُرْدَفِين وَمُرْدَفِين" ³ .

ويعلق ابن جني شارحا "تتبع الضم للضم ، كما أتبع الكسر للكسر وأصله كله :المعذرون ومرتدّون وهو باب منقاد، وهذه الطريقة، ومن بعد فيسأل :ما مثال يخطّف ؟" ⁴ .

وهذا الموضع من المواضع التي يتجاوز فيها ابن جني السماع كما سبق وأن ذكرنا حدود الزمن وكذلك في الاستشهاد يقدم كلام العرب (شعره ونثره) على القرآن .

وكما يلاحظ يقدم الاحتمالات الممكنة لهذه القراءة عن طريق التقدير أو أوجه الأخرى ويوجهها كذلك مما أعطت للأسلوب في هذا الموضع سمة الإطالة والتكرار التي نفاها عن نفسه في المقدمة وعابها على أستاذه أبي علي الفارسي في مؤلفه .

أمّا منهجه النحوي عامة في توجيه هذه القراءة الميزة التي ميّزته اعتمده التقدير بذكر الأوجه الممكنة الأخرى وكذلك في مصادر الاستشهاد تقديمه كلام العرب (شعره ونثره) على القرآن واعتماده التعليل العقلي والتعليل النحوي والقياس وذلك من خلال قياس النظائر على بعضها في توضيح وجه الشذوذ.

قال تعالى " قَالَ يَتَّبِعُكُمْ أَنبِيَائُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَبَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ " ⁵ .

¹ في إشارة إلى سورة يونس :35

² في إشارة إلى سورة التوبة :90

³ في إشارة إلى سورة طه

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 141 .

⁵ البقرة : 33 .

ومن قراءة الحسن رحمه الله : " أنبئهم " بوزن أعطهم وروي عنه : " أنبئهم " ¹ .

بلا همز، وروى عن ابن عامر: " أنبئهم " بهمز وكسر الهاء ² .

وفي هذا يرى ابن جنّي أنّ : " قراءة الحسن أنبهم يوزن كأعطهم على فعلى إبدال الهمزة ياء على أنّه أنبئت كأعطيت، وهذا ضعيف في اللّغة ولأثّه : " لا تخفيف والبديل عندنا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر " ³ .

وهذه القراءة من القراءات التي يحكم عليها ابن جنّي بالشذوذ مباشرة قياسا على بعض ما ورد في سماع العرب وهي من باب البديل مما لا يجوز إلا في الضرورة الشعرية واستشهد ابن جنّي على شذوذ هذه القراءة لتقوية وجهها في العربية بما حدثه به أبو علي الفارسي بحيث قال له : " لقي أبو زيد سيبويه فقال : سمعت العرب تقول : قرئت وتوضيت فقال له سيبويه : فكيف تقول في المضارع ؟ قال : أقرأ آخر الحكاية عن أبي علي، وزاد أبو العباس محمد بن يزيد فقال له سيبويه : فقد تركت إذا مذهبك " ⁴ ، وهذا الوجه ما نجده في حفص القراء في رواية هبيرة : " أن تبوّيا " ⁵ .

وأما قراءته على رواية الأخرى : " أنبئهم " ⁶ فهو قياس التخفيف الصريح وهذه الهاء فيها الضم والكسر ⁷ .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 148 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 148 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 149 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 149 ، البحر المحيط ، ج 5 ، ص : 186 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 149 .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

أما الضم ففيه وجهين¹:

أحدهما: وهو الأظهر وإخراجها على الأصل فيه .

والآخر: وفيه الصنعة، وأن هذه الياء ليس بلازمة، وإنما احتاجها لتخفيف الهمزة وذلك أن الهمزة إذا سكنت مكسورا قبلها فتخفيفها القياسي أن تخلصها في اللفظ ياءً، وذلك قولك في ذنب: ذيب، وفي بئر: بير فقولك أنبيهم بياء الساكنة ينبغي أن يكون على تخفيف القياسي .

لا على أنه إبدالا مستكرها على حد قولهم في البدل: قريت كأعطيت، فإنما ذلك من قبل أنه لو أبدل لكان همزة قد أخرج الهمزة على أصلها ذوات الياء².

جمع ابن جنّي في هذا الموضع بين الاستدلال النحوي والعقلي في تبين وجه الضم الذي وردت به هذه القراءة وفي التعليل كعادته ينتقل من البسيط إلى التعقيد أكثر فأكثر استنادا إلى العقل والمنطق .

وهذا البدل كما ذكر ابن جنّي سابقا مستكرها وكراهية هذا البدل أعطت سمة الشذوذ لهذه القراءة فالحكم على هذه القراءة بالشذوذ كان غير مباشر متضمن انطلاقا من وجه إلى وجوها التي ذكرها والتي وجدت في كلام العرب استنادا إلى الأدلة المذكورة .

ففي: "أنبيهم" ولو اعتقد أنه قد أبدل البتة لما جاز إثبات الياء في موضع الوقف، كما لا يجوز أعطيهم ولا اغزيهم إلا أن يحمل ذلك على الضرورة³، وهي حملا على ما ورد في كلام العرب :

¹ المصدر نفسه ، ص : 149

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 148 .

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَ الْأَنْبَاء تُتَمِّي لَمَّا لَاقَتْ لِبْنُون بَنِي زِيَاد¹ .

وفي هذا البيت (أُتيت) في موضع الجزم، ويرى ابن جني في هذا: "فعل هو على ضرورتان :

إحداهما :الإبدال، ولا ضرورة فيه والآخر: إثبات حرف العلة في موضع الوقف وذلك ضرورة- أفحش - من الأولى لكثرة الإبدال على قبحه .وقلة إثبات حرف اللين في موضع الوقف ،لكن إذا اعتقد أنه خفف لم يكن في هذه القراءة ضرورة البتة وفي هذا كاف² .

فابن جني يقف في هذا موقف فيما يبدو مخالفا لخطة الكتاب بحيث رغم الوجوه التي أوردها بها في العربية إلا أنه يصرح بابتعادها عما هو ظاهر ومتفق عليه ويرميها بالقبح والفحش وفق الاستدلال العقلي الذي يعتمد على الانتقال بين المقدمات ونلمس في موقفه هذا مخالفة لما صرح به في بداية الكتاب فهو يردّها ويصفها بأوصاف تخالف ما صرح به ابن جني في بداية الكتاب باستعمال صيغة "أفحش" مما يدل على مبالغة في الابتعاد عما هو متداول في العربية .

وفي هذا جمع بين الطرق الاستدلالية كعادته في الموضع الواحد من استصحاب الحال والسماع والقياس اللغوي والعقلي والتعليل العقلي والنحوي على السواء والمصادر المستشهد بها هي ما بين كلام العرب شعره ونثره والقراءات القرآنية .

ووضع ابن جني " أنبيهم "موضع التخفيف القياسي والهمزة حاضرة هنا وهي الأصل³ .ويتساءل ابن جني في نفس الموضع بقوله: "ألا ترى إلى صحة الواو والياء في تخفيف ضوء وفيء وذلك قولك هذا ضوٌ وفيٌ وشيٌ بضمة الواو والياء مع حركتهما وانفتاح ما قبلها، وترك ما قبلهما وعلى ألفين بذلك يدل

¹ المصدر نفسه ، ص : 149 .

² أبي الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ج7 ، ص : 201 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 150

على أَنَّ الواو والياء لما تحركتا بحركة الهمزة المحذوفة للتخفيف كانتا لذلك في حكم الساكنين فكما تصحان هنا ساكنتين في ضوء وضوي وشيء وكذلك صحتا متحركتين في ضو ونو وشيء وعلى ذلك صحت الواو والياء أيضا في تخفيف نحو جئيل ويؤدب¹.

التمس هذه الأدلة عن طريق الاستدلال للوجه الذي جاءت به في العربية قياسا لما ورد في كلام العرب من قلب وإبدال للهمزة واوا وياء على أساس وأنَّ لها أصل في العربية في هذا الباب ويستشهد في هذا الموضوع بكلام من عاصرهم فيقول سألت أبا علي رحمه الله: فقلت من أجرى اللزوم مجرى غير اللزوم فقال: في تخفيف الأحمر لَحْمَر، أيجوز له على هذا أن يقلب الواو والياء في حوب وحيل وحوب ألفا فيقول: حاب وجال؟ فقال: لا، وأوماً إلى أنَّ حكم القلب أقوى من حكم الاعتداد بالحركة في لَحْمَر أي: فلا يبلغ في الجواز ذلك لشناعته، وهو كما ذكر².

فبعد توجيه ابن جنِّي لقراءتا الحسن اللتان كانتا على وجه: "أنبهم" و"أنبيهم" وبعد إطلاقه الحكم التوجيهي على هاتين القراءتين يستدرك قوله السابق وكذلك الشرح المفصل ووصفه لهذه القراءات بأوصاف مخالفة كما عهد به نفسه بإنصاف هذه القراءة بقوله: "وقد يجوز عندي في القراءة الحسن رحمه الله هذه أن يكون أراد(أنبهم) كقراءته في الأخرى إلا أنه أشبع الكسرة فأنشأ عنها ياء، فقال(أنبيهم) كما يقول قد يجوز ذلك قوله "ألم يأتيك"، فإنه اشبع الكسرة فمدها فبلغت ياء، وعليه الرواية الأخرى التي ذكرها أبو الحسن وهي قوله: "ألم يأتك"³.

فابن جنِّي ينسب هذا الحكم الذي أصدره على القراءة الحسن لنفسه، وهو في موقفه هذا يقف وفق خطة تأليف هذا الكتاب التي مبدأها الانتصار للشاذ من القرآن، بحيث يقول في بداية القول: "يجوز

¹ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 95

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص 150 .

³ المصدر السابق ، ص : 151 .

عندي " أي وفق نظريته الخاصة أنّ القراءتين "أنبهم" و "أنبيهم" هما بمنزلة القراءة الواحدة "ويظهر هنا تأثير المعتزلة في مذهب النحوي ومنهجه في إنزال الأحكام وإطلاقها عند المعتزلة .

وهذا يعتبر كتفرد وتميز في منهجه بحيث إضافة إلى اعتماده الطرق الاستدلالية اللغوية، اعتماده مذهب أهل الكلام في التوجيه ومثل هذه الأحكام وإطلاقها حاضرة عند المعتزلة التي كان لابن جنّي تأثير بفكرها الاعتزالي .

ولكن ما يلاحظ التكرار في توجيه هذه القراءة الذي نتج عنه الإطالة، إضافة إلى تكرار نفس الأمثلة¹.

أمّا قراءة ابن عامر: " أنبئهم " ² بالهمز والكسر الهاء .

ويرى ابن جنّي في هذا أنّ "الهمز وكسر الهاء في طريقه أنّ هذه الهمزة ساكنة، والساكن ليس بحاجز حصين عندهم ، فكأنّه لا همز هناك أصلاً، وكأنّ كسرة الباء على هذا مجاورة للهاء، فلذلك كسرت فكأنّه على هذا قال(أنبيهم)"³.

ويجمع ابن جنّي بين هذا وقوله: "من أنّ ضعف الساكن أن يكون حاجزاً حصيناً قولهم: قنية وهي من قنوت ، و صيبة وهي من صبوت وعلية وهي من علوت ،وعنده هو من قولهم أرضون وعدوات وبلئ سفر لقولهم في معناه: بلؤ وهو من بلوت ومنه ناقة علين وهي من علوت ودبة مهيار وهو من تهور ،وفلان قديّة في هذا الأمر وهو من القدوة وأصله كله قنؤ ،وصبوة وعلوة وعدؤ، وبلو سفر، وناقة علوان

¹المحتسب، المصدر السابق، ص: 152 ، 151 .

²البحر المحيط ، ج1 ، ص : 149 ، السبعة في القراءات، المصدر السابق:153

³المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص: 152 .

«ودابة مهوار فقلبت الواو في ذلك كله لكسرة تباشر الواو ،فتقلبها لذلك ياءً،تقلبها لو تجد بينهما حاجزا ،فكذلك الهمزة في(أنبئهم) لتجري على هذا النحو الذي ذكرناه " ¹ .

ويختتم توجيهه هذا وشرحه هذا بموقف ابن مجاهد مما شرحه وبيّن من خلاله أنّ ما قاله ابن مجاهد بعدم وجود وجه لهذا، مع عدم جواز توصل غيره إلى هذا بقوله : " بفضل الله الذي يرزق البعض بما لا يرزق البعض الآخر فقد علمت أنّ قول ابن مجاهد :هذا لا يجوز ولا وجه له، لما شرحناه من حاله، ورحم الله أبا بكر فإنّه لم يأل فيما علمه نصحا، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله تعالى إياه وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده وإياه نسأل عصمة وتوفيقا وسداد بفضلّه " ² .

قال تعالى : "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ " ³ .

ومن ذلك قال ابن عباس : " سألت أبا عمرو عن "الشَّجَرَة " فكرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها ⁴ وبحكم عليها ابن جني من خلال قول ابن عباس الذي كرهها وبرأها من مكروه الكلام وبالتالي فهو حكم بالشذوذ على هذه القراءة المذكورة .

وهذه الكلمة واردة عند بعض العرب من خلال ما رواه ابن جني بحيث " قال هارون الأعور عن

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 153 .

² المصدر نفسه، ص .154.

³ البقرة : 35 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 155 ، والبحر المحيط ، ج 1 ، ص : 158 ، الكشف للزمخشري ، ج 1 ص : 63 ، معاني القرآني للأخفش الأوسط ، ص : 67 ، ووردت في مختصر شواذ القرآن من كتاب لابن خالويه :و لا تقربا بكسر التاء يحيى بن وثاب، و لا تقربا هذه بالياء ابن كثير في بعض رواياته، هذه الشجرة بكسر الشين أبو السمال ،هذه الشيرة بالياء حكاه أبو زيد "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، ص : 13 .

بعض العرب : تقول الشجرة ، وقال ابن أبي إسحاق : لغة بني سليم الشجرة¹ .

ويرى ابن جنّي إلى جانب هذا استعمال آخر لها إلى جانب استعمال " الشجرة " ألا وهو الشيرة² .

بحيث يقول أبو الفتح : " حكى أبو الفضل الرياشي : قال كنا عند أبي زيد وعندنا أعرابي فقلت له

: إنّه يقول الشيرة ، فسأله فقالها ، فقلت له سله عن تصغيرها فسأله فقال : " شيرة " ³ .

ولها ما يناظرها في كلام العرب مما أنشده الأصمعي في أجوزة طويلة⁴ :

تَحْسَبُهُ بَيْنَ الْإِكَامِ شِيرَة .

وابن جنّي لا يكتف بهذا الشرح فقط والذي أورد له ما يقابله في كلام العرب من شعر ونثر وإنّما

يقترح البديل إذ يقول : " وإذا كانت الياء فاشية في هذا الحرف كما ترى فيه فيجب أن تجعل أصلا يساق

الجيم ولا تجعل بدلا من الجيم كما تجعل الجيم بدلا من الياء في قولهم : رجل فقيح أي فقيمي وعربانج

أي عرياني⁵ .

فهو يقترح أكثر من الإبدال بين الجيم والياء كما هو متداول في قول العرب وإنّما مادام هناك فشو

في الياء في هذا الحرف ينبغي أن يكون أصلا يساق الجيم ، باعتبار وجود ما يسند لها من المنظوم

والمنثور من كلام العرب .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 156 .

² وهي رواية أبو الفضل الرياشي .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 156 ،

⁴ البحر المحيط ، ج 1 ، ص : 157 (و هناك من يرى أنّ البيت للعجاج و هو ليس في ديوان العجاج بحكم رجوعنا إليه .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 156 .

وهي منتشرة في الاستعمال عن طريق الرواة الثقة كان من المفروض والواجب أن تكون لها نفس مرتبة الاستعمال وفيما يبدو ابن جنّي من استدراكه هذا أعطى قاعدة جديدة في الاستعمال الصرفي وهذا النهج الذي نهجه ابن جنّي هو على منوال مناهج الفقه، الذين يعطون الاستعمالات الجديدة لنفس القضية الفقهية أو الحكم الفقهي من باب توسيع الحكم حسب حالات الاستعمال الطارئة أو ما يعرف "بفقه النوازل" إن صح التعبير .

ويحمل قوله هذا على ما ورد في قول العجاج¹:

حَتَّى إِذَا أُمْسَجَتْ و أُمْسَجَا

ويقدر ابن جنّي بقوله: " يريد أُمست وأمسي " ²، وكذلك قال أبو علي: " هذا يدلّك على أنّ ما حذف للالتقاء الساكنين في حكم الحاضر الملفوظ به، قال: ألا ترى أنّه أبدل من لام أمسي بعد أن قدرها ملفوظا بها، ولو كان الحذف ثابتا هنا لما جاز أن يبدأ من اللام شيء، لأنّ البديل إنّما هو من الملفوظ به كما أنّ البديل ملفوظ به " ³.

يعلّل نحوياً ابن جنّي هذا استناداً إلى قول أبي علي الفارسي، وهذا التعليل يدعم ما ذهب إليه ابن جنّي من افتراض فيما يجب أن يكون فيما حدث من إبدال بين الحرفين (الياء والجيم). فقول ابن جنّي يدعمه قول أبي علي الفارسي وهذا مما يدل على التوافق الكبير الذي كان بين ابن جنّي وأستاذه، فيما استنتجه ابن جنّي وإن كان نتيجة تراكم قبلي في هذه القضية .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 156 ، سر صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص : 77 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 156 ، سر صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص : 177 ، يقول في هذا : " و هذا أحد ما يدل على ما ندعيه من أنّ أصل رَمَت ، رَمِيت ، وعزت عزوت ، وأعطت : أعطيت ، واستقصت : استقصيت ، و أُمست - أُمسيت " . سر صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص : 177 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 156 .

إلا أنه تفرد بتخريج جديد لها، فهو لم يعلل فقط الوجه الذي قرأ به القارئ والحاضر (الشجرة) وإنما يعطي الوجوه التي يمكن أن تأخذها هذه الكلمة استناداً إلى ما ورد في سماع العرب عن طريق القياس وفيما يبدو ذكر الوجوه الأخرى حتى يتضح وجه هذه القراءة وهذه طريقة اعتمدها ابن جني في الاستدلال بحيث لا يستدل على ذلك الوجه بعينه ويذكر الوجوه و يعللها في بعض الأحيان للتوضيح وهذا ما يعتمد في الفقه وحتى في القضايا الفلسفية .

ويورد المثال كذلك ليتضح المقال حول وجه شذوذ هذه القراءة بحيث يقول أبو علي فارسي: "وليس كذلك لام عَشِيَّة إذا حقرتها فقلت: عُشِيَّة، لأنَّ الياء الثانية من عَشِيَّة لم تحذف للالتقاء الساكنين لأنَّه لا ساكنين هناك، وإنما حذفت حذفاً للتخفيف فلذلك سقط قول أبي العباس في تحقير العرب عَشِيَّة على عَشِيَّة، لأنَّها لم تثبت هنا فتبدل منها"¹.

وقال أبو الحسن: "إنَّ قوماً يقولون في تحقير نحو فعيلة من الياء : إنَّ المحذوف منها الياء الثانية"².

وقول أبو علي الفارسي وأبو الحسن من باب المقارنة حتى يكون الخلط في حذف للالتقاء الساكنين وحذف من باب التخفيف وهذا قول أبي علي الفارسي مما أبدت فيه الجيم من الياء قوله ورويناه من غير وجه :

خالي عُوَيْفَ وَأَبُو عَلَجٍ المَطْعَمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشَجِ

وبالغداة فلق البرنج يقلع بالودِّ وبالصَّيْحِ³.

¹ المصدر السابق ، ص : 156 .

² المصدر نفسه ، ص : 156 .

³ المصدر نفسه ، ص : 157 ، المنصف ، ج 1 ، ص : 78 (هو مما يقال فيه مجهول القائل و رواه ابن جني في كتابه المنصف) .

روينا أيضا قوله :

ياربَّ إن كنت قبلت حشَجْتَج فلا يزال شاحج يأتِيكَ بج¹.

وكذلك استشهد بقول أبي النجم:

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوْل مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونًا لِجَلِّ².

ويعطي تعليل آخر لهذه القراءة بحيث يقول : "لقد يجوز أن تكون الجيم في شجرة بدل من الياء في شجرة لفشو شيرة وقلة شجرة"³.

واعتماده في توجيهه وتبيين وجه هذه القراءة على شواهد من الشعر والنثر مرجحا الشعر أكثر من الشواهد الأخرى إضافة إلى تجاوز الحدود الزمنية بحيث استشهد بكلام من عاصرهم بالإضافة إلى مزجه سماع بالقياس والتعليل بنوعيه العقلي والنحوي واعتماده في إصداره الأحكام على الطرق الاستدلالية الفقهية .

قال تعالى : " قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى "⁴.

¹ شرح شواهد الشافعية ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 215 . وفي هذه الأبيات يقول محقق كتاب المحتسب : " لم يخطر ببال أبي علي و لا على و لا على بال ابن جني رواية هذه الأبيات عن أبي زيد في نوادره ، و لهذا نسبها إلى الفراء و قالوا : أنشدها الفراء و قالوا : أنشدها الفراء و لو خطرت ببالها لم يعدلا عن الفراء البتة لأنَّ لهما غراما بالنقل عن نوادره " .

² أبي النجم ، الديوان ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان . د ، ط / د ، ت . ص : 145

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 157 .

⁴ البقرة : 38 .

ومن ذلك قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي طفيل وعبد الله بن أبي إسحاق وعاضم الجحدري وعيسى ابن عمر النخعي: "هدى"¹.

فيرى ابن جني أنّ لها وجود وهي: "لغة فاشية في هذيل وغيرهم، أن يقلبوا الألف من الآخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياء"²، قال الهذلي³:

سَبَقُوا وَأَعْنَقُوا الْهَوَاهِمَ وَتَحَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ .

ويروي ابن جني عن قطرب قول الشاعر⁴:

يَطُوفُ بِي عَكَبٌ فِي مَعْدٍ وَيَطْعُنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفَا

فَإِنْ لَمْ تَنْتَارَ لِي مِنْ عَكَبٍ فَلَا أَرَوَيْتَ مَا أَبَدًا صَدِيًّا .

وفيما يبدوا التمس لها وبحث لها ابن جني عن وجه يناظرها في العربية قياسا على ماورد في السماع العربي .نحو غلامي، ورأيت صاحبي، فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء، فقالوا هذا عصي، وهذا فتى أي عصاي وفتاي، وشبهوا ذلك بقولك:مررت بالزّيدين، لما لم يتمكنوا من كسر الألف

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 157 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 169 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 13 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 157

³ وهي من قصيدة لأبي ذؤيب و قالها وقد هلك له خمسة بنين في عام واحد أصابهم الطاعون ، وفي رواية كان له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حية ثم ماتت فيه فهلكوا في يوم واحد، هامش المحتسب ج1 ، ص : 158 المحتسب ج1 ، ص : 158 ، عكب صاحب سجن النعمان بن المنذر، والصلمة العصا كما في التاج في صمل وفي الجمهرة أنّها حربة ، الخصائص ، ج1 ، ص : 178 و هامشه . ونسب في اللسان العرب عكب للمنخل الشكري و كان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر .

⁴المحتسب، ج 1، المصدر السابق ، ص: 150 و هامشه .

للجر قلبوها ياء، ولا يجوز على هذا أن تقلب ألف التثنية لهذه الياء، فنقول هذان غلاميّ، لما فيه من زوال علم الرفع ولو كانت ألف عصا ونحوها علما للرفع لم يجر فيها عصيّ¹ .

فهو يعلل عن طريق السماع اللغوي لما أورده من قول أبي علي فارسي والذي تجاوز فيه الحدود الزمنية من خلال نقله عن عاصره من أمثال أبو علي الفارسي متجاوزا في ذلك التقعيد الزمني الذي اعتدنا احترامه من طرف اللغويين والنحويين في المنهج النحوي .

وعلة هنا تنطبق على كلمة صدياً² والتي حدث على مستواها قلب الألف ياء، قياسا على الأمثلة التي ذكرها أبو علي الفارسي واستنادا إلى علل التي ذكرها أبو علي فارسي لقلب الألف في هذه الأمثلة (عصاي، فتاي).

وهذا يجوز في الأفراد ولا يجوز في التثنية وهذا القلب كما قال ابن جنّي في الخصائص : "لئلا يذهب علم الرفع"³. والسماع الذي أعتمد عليه ابن جنّي هو بين الشعر والنثر، ونلمس في هذه القراءة الموجهة التي تحتل عدة وجوه نحوية إطالة في الشرح وذكر الأمثلة حتى يغلق جميع الأبواب المحتمل فتحها في حق وجه هذه القراءة وهذا ما لمسناه في هذا الموضع .

وهناك وجه ثاني في قلب الألف ياء كما يذكر ابن جنّي في حالة الوقف ويعطي أمثلة عن ذلك ويمثل لهذا ويدلل على هذا من كلام العرب بقوله "منهم من يبذل هذه الألفات في الوقف ياءات، فيقول: هذه عصي، ورأيت حبلً، وهذه رجي، أي الناحية يريد رجي، أي الناحية، يريد رجا"⁴.

¹ المصدر نفسه ، ص : 158 .

² و صدّي في زعم الجاهلية طائر يصيح إذا لم يثأر بالمقتول (هامش الخصائص ، ج1 ، ص : 117) .

³ الخصائص ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 177.

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 158 .

ومنهم : " يبدلها في الوقف واوا، فيقول: هذه عصو وأفعو وحبلو، ومنهم من يبدلها في الوصل واو أيضا فيقول: هذه حبلو يا فتى " ¹.

وكل هذه الأمثلة مستمدة وفق ما تداول في كلام العرب وهو يشترك في الاستشهاد مع الكثير من أهل المذاهب النحوية من البصرة والكوفة وغيرهم من استشهد في هذا المقام .

ويحمل كذلك على ما أنشده محمد بن حبيب ²:

إِنَّ لَطِيَّ نِسْوَةٍ تَحْتَ الْفَضَى يُمْنَعَنَّ اللَّهُ مِمَّنْ قَدْ طَغَى

بِالْمُشْرِفِيَّاتِ وَطَغَى بِالْفَتَى يَا حَبْدًا ابْنَ قَحْطَى

وَحَبْدًا قَدَرُوكَ الْمَنْصَبِي كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهَا إِذَا غَلَى

صَوْتُ جَمَالٍ هَدَرَى فَقَبَقَبِي .

وهذه الأبيات كانت كشاهد لغوي دعمت وجه القراءة الذي فيما يبدو ابن جني يلتزم لها الأدلة وبأي طريق من باب انتصاري لما هو شاذ، ويعلل ابن جني هذه الأبيات تعليل عقلي فيه نوع من تعقيد بقوله: " أراد بن قحطبة، فإمّا أن يكون حذف الهاء للترخيم في غير النداء مفتوحة فأشبع الفتحة للقافية فصارت قحطبا ثم أبدل ألف ياء على ما مضى وإمّا أن يكون أبدل الهاء ألفا، فصارت قحطبة إلى قحطبا ثم أبدل الألف ياء على ما مضى " ³.

¹المصدر نفسه، ص : 158 ، وكلمة " منهم " التي يستعملها ابن جني يقصد منها المذهب البصري في أغلب الأحيان.

²المنصف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 160

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 159

وهناك احتمال آخر، وذلك لقول الراجز المستوغر بن ربيعة¹:

كَفَعَلَ الْهَرَّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا .

يقدرها ابن جنّي بقوله: "أراد العظاية ثم أبدل الهاء ألفا فصار العظايا، وإن شئت قلت: شبه ألف النصب بهاء التأنيث فقال العظايا"².

ويوجد قول ثالث: "وهو أن يكون العظايا جمع عظاية على التفسير كما تقول في حمامة حمام فعظايا على هذا كمطايا وحوايا جمع حويّة"³. ويضيف مثال آخر فيقول: "المنصبي فأراد المنصبّة فأبدل الهاء ألفا، ثم أبدل الألف ياء على ما مضى ولا يجوز أن يكون أراد هنا الترخيم لأنّ فيه لام التعريف، وما فيه هذه لام فلا يجوز نداؤه أصلا فهو من الترخيم أبعد"⁴.

هذا كما يقول يفسد من قال في قول العجاج⁵:

أُولَفَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحِمَى .

ومن ملاحظ أنّ ابن جنّي لا يطلق الحكم على وجه ما إلا بعد إيراد الوجوه الأخرى. معتمدا في ذلك السبر والتقسيم على طريقة الفقهاء حتى لا يكون هناك رد للحكم المطلق ولا يكون هناك وجه، محتمل للتساؤل حوله وهو يعتمد في هذا أسلوب التعليل الذي يغلب عليه الجانب العقلي المحض باعتبار المنطق وعلم الكلام في القرن 4هـ أخذ حضوته ومكانته في هذا القرن .

¹ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 292 ، سر صناعة الإعراب ، ج 2 ، ص : 165 ، المنصف ، ج 2 ، ص 155:

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 159

³ المصدر نفسه، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 160

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

ويقدر ابن جني هنا المراد من هذا البيت فيقول: "أراد الحمام ثم رخم، لأنّ ما فيه لام التعريف لا ينادى أصلاً فكيف يرخم؟ وأمّا قوله هدرى فإنّه أراد هدر"¹.

ثم أشبع الفتحة على حد قول عنتره²:

يُنْبَأَعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ .

ويرى ابن جني أنّها صارت: "هدرا أجرى الوصل مجرى الوقف، فقال هدرى "ويورد مثال آخر: "قبقبي أراد قبقب، ثم أشبع فصارت قبقبا"³.

وهذا المثال الذي حمل عليه ابن جني هذه القراءة وهو على مثال ما سبق ذكره من شواهد وهذا التوجيه وفق الطرق الاستدلالية تمكن فيها من رد قاعدة نحوية أقرها سيبويه وهذا تمخض عن هذه القراءة وفق المنهج النحوي، وهذا ما يقر به محقق الكتاب بقوله: "وعلى هذا التخرّيج يسقط قول سيبويه عن يونس فيما هو آتي ذكره"⁴.

ويحتج بقول الشاعر⁵ :

دَعَوْتُ لَمَّا يَا بَنِي مَسُورًا فَلَبَّيْ يَدِي مِسُورٍ .

¹ المصدر نفسه، ن ص.

² ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ص: 332 وهي من قصيدة:

هل غادر الشعراء من مترد أم هل عرفت الدار بعد توهم

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 161.

⁴ المحتسب، ج 1، ص: 116، ويقصد منه التخرّيج والتوجيه هذه القراءة وفق الطرق الاستدلالية و بالتالي تسقط هذه القاعدة وتحل محلها المتوصل إليها من خلال استقراء الأمثلة الموظفة في التوجيه.

⁵ المحتسب، المصدر السابق، ص 161، الخصائص، ج 1، ص 214.

قال سيبويه إمام النحاة: " لو كان لبيك اسما واحدا كما يقول يونس، وإنّما قلبت في لبيك لاتصاله بالمضمر كما يقلب في إليك وعليك وفي ذلك رد لقول يونس: إنّ لبيك مفرد كإليك وعليك "¹.

فسيبويه أقر بهذه القاعدة أنّ لبيك ليست مفرد كإليك وعليك استنادا لما علله بناء على ما ورد في البيت المحتج به .ولكن أبو علي الفارسي يرى أنّه : " يمكن يونس أن يقول أنّه أجرى الوصل مجرى الوقف، فكما نقول في الوقف: عصي وفتي، كذلك قال: فلبيّ ثم وصل على ذلك "².

وابن جنّي على رأي أستاذه أبي علي الفارسي وهذا كان ثابت من خلال أقوال ابن جنّي ومصادره المستشهد بها والعلل التي أوردها في توجيه "هدى" وهي القراء الشاذة .ويدلل ابن جنّي على هذه القراءة الشاذة من الشعر العربي قول الشاعر فيما أنشد أبو زيد ³:

ضخم نَجَازَى طَيِّبٌ عُنْصُرِي.

وتقدير في ذلك رأي ابن جنّي أنّه أراد عنصري فتقل الراء لنية الوقف ثم أطلق بالإضافة من بعد ويتساءل ابن جنّي على هذا القول ويجيب في نفس الموضع على هذا التساؤل بحيث: كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه وجوابه لأنّ ذلك قد جاء ⁴.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص :161

² المصدر السابق ، ن ص .

³الخصائص ، المصدر السابق ، 214 .

⁴الخصائص ، المصدر السابق ، ص:214

ويقول كذلك: "نعم وإذا جاز التوهم مع أنّ المضاف إليه مضمر، والمضمر المجرور لا تصور انفصالة فإن يجوز ذلك مع المظهر الذي هو " يرى " أولى وأجدر من حيث كان المظهر أقوى من "المضمر"¹ مثله قول الشاعر: يا ليتها قد خرجت من فمه "².

وفيما يبدو أطال ابن جنّي في هذا الموضوع في توجيه هذه القراءة الشاذة رغم الإيجاز الذي حاول أن يظهر به كلامه من خلال ذكر الأشرطة دون ذكر البيت بكامله من باب الاختصار وذكر فقط ما هو مأثور من الأقوال ووجه هذه القراءة يحمل أوجه عدة حاول تعددها عن طريق السبر والتقسيم والذي يعتبر أساس مهم من أسس الفقهاء وخاصة الأحناف الذين يعتمدون عليه كثيرا³، وابن جنّي كان ممن ينتصر للأحناف على ذكر الأمثلة وتدرج في ذكرها في محاولة جمع وربط بينها وبين وجه هذه القراءة وجّد في ذلك أغلب الطرق الاستدلالية المنهجية في تبين الوجه وإقراره، بحيث اعتمد في منهجه التوجيهي على التفسيرات المنطقية والتي دفعت به إلى إطلاق بعض الأحكام كما سبق ولاحظنا وهذه التعليقات العقلية والتفسيرات جمع بينها وبين النحوية للتشابه الذي وقع في معالجة الظاهرة المتعلقة بقلب الألف ياء، وربط بين العلل العقلية والنحوية كان فريد بحيث لا يلاحظ هناك خلل أو تكرار إلا أنّ التعليل العقلي الذي اعتمده كان حادا، بحيث يلمس فيه نوع من التعقيد مما يؤدي في بعض الأحيان إلى صعوبة الفهم بحيث كان لا يركن إلى شيء إلا ويعلله وغير مكثف بتعليل النحوي وفقط، وإنّما يلجأ إلى تحليل العقلي ويربطه به معتمدا في هذا على السماع والقياس والتقدير والإجماع والاستصحاب الحال والاستحسان والذي يعتبر من الأصول الفقهية المحضة وإجرائه يشبه إجرائه في أصول النحو وأمّا مسالك المعتمد عليها كانت شعرا ونثرا وحضورها كان كثير في غياب الحديث والقراءات القرآنية التي يمكن أن

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 161

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ استشهد في توجيه هذه القراءة الشاذة بثلاثة عشر بيت من الشعر و يغفل في بعض الأحيان ذكر صاحب البيت.

تدعم وجه هذه القراءة الشاذة وإن كان الوقف على الألف من المميزات والسمات الأساسية في القراءات المشهورة، كما نجد في السماع تجاوز الحدود زمنية باعتباره استشهد بشعر وأقوال من عاصريهم أمثال أبو علي الفارسي، والذي يعتبر بالنسبة إليه كمرجعية في إصدار أحكامه وهذا ما لمسناه في هذا المقام حتى في ردّ قول سيبويه أصدر حكمه استنادا لما قاله أبو علي الفارسي في نفس المقام .

وما يلاحظ أنّه استند إلى العقل والمنطق في هذا التوجيه باعتباره ركن أساسي من ثقافته وأعطاه مظهر يتلاءم هنا والتعليل النحوي .

ويقول في آخر كلامه : "وفيه أكثر من هذا" ¹ .

مما يعني يوجد في هذا المقام كلام كثير يتجاوز ما ذكرناه رغم ما قيل فيه من قبل إلا أنّ المقام لا يتسع إلا هذا باعتبار ابن جنّي عهد نفسه وقرائه بالإيجاز كما في مقدمة الكتاب .

قال تعالى : "فَأَنْفَجَرْتُ مِنْهُ أُثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" ² .

ومن ذلك قراءة ذلك قراءة الأعمش : " ائْنَتَا عَشْرَة " ³ بفتح الشين .

وهذه القراءة يطلق عليها ابن جنّي الحكم مباشرة فيقول : " فأما عَشْرَة فشاذ وهي قراءة الأعمش " ⁴ .

وبعلل ابن جنّي شذوذ هذه القراءة من باب التعليل مبني على الملاحظة والاستقراء فيقول : " فينبغي أن يعلم أنّ ألفاظ العدد قد كثرت فيها الإنحرافات والتخليطات، ونقضت في كثير منها العادات، وذلك أنّ

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 162 .

² البقرة : 60 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 165 .

⁴ المصدر نفسه، ص : 167 .

لغة أهل الحجاز في غير العدد، نظير عشرة :عشرة، وأهل الحجاز يكسرون الثاني، وبنو تميم تقول نبقيه فلما ركب الاسمان استحال الوضع "1.

فشذوذ هذه القراءة هو نتاج التحريف في الكلام والخلط الذي كان يقع فوضع حتى أي القرآن التي كان فيها العدد وجاءت هذه الآية على المنوال وبالتالي خرجت عن الصفة التي تجرى عليها ألفاظ العدد والخروج عن المعهود هو شاذ وهي فيها لغات منها التي ذكرها ابن جنّي عشرة و عشرة "2.

فالسكون يقابل استعمالها عند بنو تميم والكسر يقابل الاستعمال عند أهل الحجاز والذين يكسرون ونتيجة هذا التعدد في الاستعمال فيما يرى ابن جنّي استحال الوضع فكان قول بنو تميم: "إحدى عشرة وثنتا عشرة إلى تسع عشرة، بكسر الشين وقال أهل الحجاز: عشرة بسكونها ومنه قول في الواحد: واحد وأحد، فلما صاروا إلى العدد قالوا: إحدى عشرة فبنوه على فعلى، ومنه قولهم: عشر وعشرة، فلما صاغوا منه اسما للعدد بمنزلة ثلاثون وأربعون قالوا :عشرون، فكسروا أوله، ومنه قولهم: ثلاثون وأربعون إلى التسعون فجمعوا فيه بين لفظين ضدين، أحدهما يختص بالتذكير والآخر بالتأنيث "3.

حاول ابن جنّي تفسير استعمال الأعداد في يعلل نحويا هذه القراءة بقوله: "واختصارهم من ثلاث مائة إلى تسعمائة على أنّ أضافوه إلى الواحد ولم يقولوا، ثلاث مئتين ولا أربع مئات إلا مستكرها وشاذا فكما سماع هذا وغيره في أسماء العدد قالوا أيضا (اثنتا عشرة) في قراءة الأعمش هذه "4.

وإن قلنا يعلل نحويا وفيما يبدو يعلل فقط الجزء الأول من العدد وليس كل العدد " فعشرة " سبق وأن حكم عليها بالشذوذ .

¹ المصدر نفسه ، ص : 168 .

² المصدر نفسه ، ص : 167 .

³ المصدر السابق ، ص : 168 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 168 .

وابن جَنِّي يرى بعين التحقيق فيقول : " وينبغي أن يكون قد روى ذلك رواية، ولم ير رأيا لنفسه " ¹.

فهو يشك في أن تكون هذه القراءة الشاذة للأعمش وإنما أخذه رواية ويحمل ابن جَنِّي وبالعموم ما ورد من تغير أوضاع الكلم عن حالها في موضع الأفراد من ذلك يشهد بحكاية أبي عمرو الشيباني من قول بعضهم في حضر مَوْت: حضر مَوْت بضم الميم، ليصير على وزن المفردات نحو حضر فُوط ويستغور ².

وكذلك حملها ابن جَنِّي لما ورد في كلام العرب، وان نلمس فيها صفة العموم ما أنشده أبو زيد في نوادره ³:

عَلَامَ قَتَلَ مُسْلِمٌ تَعَمُّدًا مُذْ سَنَةٍ وَخَمْسُونَ عَدَدًا .

بكسر الميم في هذا البيت الشعري وعلته في ذلك حسب ابن جَنِّي وحتى كما يظهر: " لإقامة الوزن فلم ير لأن يفتحها فيقول خمسون " ⁴.

ولذلك ففتح عشرة لإقامة الوزن ولكن مادام هناك مخالفة للمعهود وما هو سائد في الوزن المشهور تبقى من الشاذ، وهكذا يقف أمام أمرين : " إما أن يظن أنه كان الأصل فتحها ثم أسكنت، وهذا غير مألوف لأن المفتوح لا يسكن وإما أن يقال إن أصل السكون فاضطر ففتحها، وهذا ضرورة إنما جاء في الشعر " ⁵.

فهو يعلل نحويا ويعطي وجهين محتملين وهي حملا على قول رؤية :

¹ المصدر نفسه ، ن ص .

² المصدر السابق ، ص : 167 .

³ الخصائص ، المصدر السابق ، ص : 79 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 167 .

⁵ المنصف ، المصدر السابق ، ج 1، ص : 309 ، 310 .

مُشْتَبِهٍ الْأَعْلَامِ لِمَاعِ الْخَفَقِ¹.

والتقدير: أي الخفق².

وكذلك منه قول الزهير³:

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَ قَالُوا إِنَّ مَشْرِيقَكُمْ نَاءَ بِشَرْفِي سَلْمَى فِيدُ أَوْرَكَكُ.

اعتمد ابن جنّي التعليل النحوي والسماع والقياس واستصحاب الحال والاستحسان في توجيه هذه القراءة قال تعالى "لَنْ تَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا"⁴.

من ذلك قراءة يحيى بن وثاب والأشهب: "وَقِثَّائِهَا"⁵.

قال أبو الفتح: "الضم القاء حسن الطريق، وذلك أنه من النوابت، وقد كثر عنهم الفَعَال كالزباد والقلام العلام والثقاء، ومن هاهنا كان أبو الحسن يقول في زمان: إنه فعال، لأنه من النبات وقد كثر فيه الفعال على ما مضى، وأما قياس مذهب سيبويه: فأن يكون فعلاً، زيادة النون لغلبة زيادة النون في هذه المواضع بعد الألف"⁶.

¹ المصدر نفسه ، ن ص .

² المصدر السابق ، ن ص .

³ شرح ديوان الزهير بن أبي سلمى ، ص : 167 .

⁴ البقرة : 61 .

⁵ المحتسب ، ج 1 ، ص : 170 ، الكشف للزمخشري ، ج 1 ، ص : 72 ، البحر المحيط ، لأبي حيان المصدر السابق ، ص : 233 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 170 .

وهو يستحسن هذا الشذوذ وقد كثر السماع وأورد بعض المفردات التي كانت في كلام العرب وحتى سيبويه على هذا النهج، ومما حمل عليه ابن جنّي قوله أيضا في كلمة رمان والتي وزن عليها قثاء من كلام بعض المولدين بحيث قال الشاعر مولد¹ :

مَا يَحْسُنُ الرُّمَانُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي قِشْرَةٍ إِلَّا كَمَا نَحْنُ.

وهو في هذا تجاوز الحدود الزمنية واحتج بشعر المولدين وهذا ما خالف فيه السماع عند بقية اللغويين وهو كذلك جمع بين القياس والسماع في التماس وجه في العربية التي حملت عليه هذه القراءة الشاذة .

ويشرح ابن جنّي ويفسر هذا البيت بقوله : "ويدل على أنّه من معنى الاجتماع والتضام: تسميتهم لرمان البر: المظّ ، وذلك لقوة اجتماعه، واتصال أجزائه فهو معنى المماظة المعازة، وهو إلى الشدة، ويدل على صحة مذهب سيبويه في أنّ الألف والنون إذا جاءتا بعد المضاعف كانتا بحالهما وهما بعد غير المضاعف"² .

واستشهد لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ قوما وردوا عليه فقال لهم من أنتم ؟ فقالوا :بنو الغين وهو إلباس الغيم"³ .

¹المصدر السابق، ج 1 ، ن ص

²المصدر نفسه ، ن ص .

³المصدر نفسه ، ن ص .

ويحمل هذا على قول الشاعر¹: "غَيَّان"، فقال عليه السلام: "بل أنتم بنو رشدان"².

ويعلق ابن جني على حديث رسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "أفلا تراه، كيف اشتق الاسم من الغي والغواية حتى حكم بزيادة النون، لأنَّه قابله بضده وهو قوله: رشدان وترك أن يشتقه من الغين وهو إلباس الغيم. وفي ذلك قول الشاعر:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتِي عِقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةً فِي يَوْمِ الْغَيْنِ .

فصار "غيان" عنده مع التضعيف الذي فيه بمنزلة ما لا تضعيف فيه من نحو مرجان وعدان، فكما يحكم بزيادة النون في مثل هذا من غير التضعيف كذلك بزيادتها مع التضعيف³.

ما يلفت الانتباه ويلمس في منهجه النحوي في توجيه هذه القراءة وتبيين وجه شذوذها وشرحها وتفسيرها على نهج وطريقة الفقهاء هو استشهاده بالحديث الشريف الذي نجد البقية أغفلوا الاستشهاد به للأسباب منهم يقول أنه روي بالمعنى ومنهم من يقول طول المدة التي تربط بين الحديث وتدوينه ولكن ابن جني اعتمده مسلكاً للتعليل وتبيين وجه شذوذ القراءة وهذا يعتبر كميزة خاصة مميزة لمنهجه النحوي بحيث اعتمد الحديث الشريف كمصدر من مصادر الاستشهاد وكان يعتبر في نظر الباحثين عند ابن جني مصدراً معرفياً إضافياً مكن من بلورة منهجه في السماع اللغوي.

¹ المصدر السابق، ص: 172، المنصف، المصدر السابق، ج3، ص: 48. بحيث قال ابن جني في المنصف بأنه قرأ عن أبي علي عن ابن سكيت قوله:

فداء خالتي و فدى صديقتي و أهلي كلهم لبني قعين .
فأنت حبوتي بعنان الطرف جموم الشدذي بذل وصون .
كأني بين خافتي عقاب تريد حماسة في يوم غين .

² المحتسب، مصدر السابق، ص: 171.

³ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 171.

إضافة إلى اعتماده شعر المولدين متجاوزا الحدود التي رسمت لزمن الاستشهاد وإضافة إلى هذا اعتماده التفسير الفقهي الذي يقود إلى إطلاق الحكم، فابن جنّي اعتمد الاستحسان والقياس والسماع الذي كان متميزا عنده بتجاوز قاعدة الزمن واستشهاده بالحديث الشريف .

قال تعالى : "وَعَاثَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"¹.

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو : "وأيدناه"².

وقال ابن مجاهد: "وعلى ما علمناه - ممدودة الألف خفيفة الياء"³.

وروي عنه أيضا في قوله : "إِذْ أَيْدَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ"⁴ أي آيدتك، قال ابن مجاهد : على فاعلتك⁵

فهي حملا على القراءة المشهورة القراءة التي رويت عن ابن مجاهد باعتبار القراءة المشهورة داعمة في المعنى والتفسير والتوجيه للقراءات الشاذة .

فأبو الفتح لم ينصف ابن مجاهد فيما ذهب إليه وتهجم عليه بقوله: " هذا الذي توهمه ابن مجاهد

أَنَّ آيدتك فاعلتك لا وجه له، وإنما آيدتك أفعلتك من الأيد وهو القوة"⁶.

يتبين من خلال هذا القول أَنَّ ابن مجاهد أخطأ في التقدير وما ذهب إليه من وزن ضعيف، وأنَّ

البديل الذي اقترحه " فاعلتك " هو وجه الأقوى وهذا ما يبحث عنه ابن جنّي من خلال هذا الكتاب في الشاذ من القرآن.

¹ البقرة : 87 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص:179 ، البحر المحيط ، لأبي حيان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 299 .

³ المحتسب، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 179 .

⁴ المائدة : 110 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 179

⁶ المصدر نفسه ، ص : 179 .

وابن جنيّ يستشهد على رد قول ابن مجاهد بقول أبي علي الفارسي: "إنما كثر أيدتك فعَلتكَ لما يعرض في أيدتك من تصحيح العين مخافة توالي إعلالين في أيدتك" ¹.

وأنشدنا قوله ² :

يُنْبئ تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا وَكَرَأْسَ الْفَدَنِ الْمُؤَيَّدِ.

وهذا المتجنب من قول أبي علي الفارسي تجر الاعلالين .

وبعدما استند إلى السماع والتماس ما يؤيد قوله في الرد على ابن مجاهد الذي كان منطلقه تعليلي .

ويخضع ما قاله ابن مجاهد واحتج به لأبي علي الفارسي إلى مفارقة عقلية محضة ونحوية أساسها: "أنَّ أيدته أي قوته، لأنَّه مفعول كمكرم ومقتل ومؤدم، ولو كان أيدتك كما ظن ابن مجاهد فاعلتك لكن اسم المفعول منه مؤايد كمقاتل ومضارب ولكن قراءة من قرأ: آتينا، فاعلنا ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حذف الجر، لأنَّه إنَّما يقال: أتيت زيدا بكذا وآتيته، كقولك أعطيته كذا، فكذلك لو كان آتينا أفعلنا لكان آتينا كقولك أعطيناها، وأنت لا تقول: آتيته بكذا، كما لا تقول أعطيته بكذا فقوله في تلك القراءة آتيناها كقولك حاضرنها بها وشاهدنا بها وهذا واضح" ³.

عُضد ابن جنيّ ردّه لقول ابن مجاهد بعقد مقارنة تعليلية عقلية بين ما قاله ابن مجاهد وما احتج به من قول لأبي علي الفارسي استنادا إلى ما ذهب إليه من ردّ لقوله في بداية التعليل والتبيين لوجه هذه القراءة

¹ المصدر السابق، ن ص .

² المصدر نفسه، ص: 179، المنصف، ج 1، ص: 269 (ذكر هذا البيت دون نسب) .

³ المحتسب، المصدر السابق، ج 1، ص: 180

وحاول من خلالها تقدير الأصل المقاس عليه الذي نتج عنه هذا الاستعمال والذي حضر في هذه القراءة : و"آيدناه " وهذا تقدير كان قياسا على ما ورد في سماع العرب ¹.

فأيدتك حسب ابن جني²، لو جاءت على ما هو سائر في الاستعمال مثل أمثالها، لكانت معلولة العين كأقمت زيدا، وأشرته وأبعته، لتتابع اعلالين، لأن أصل: آيدت: أيدت وهي حملا على غيرها آمن هذه الأفعال وفي الأسماء نحو: آدام وآدر، فكان يجب أن تلقى حركة العين على الفاء، وتحذف العين وترتب عليه قلب فاء هنا واوا ويعلل هذا حذف على أساس تحرك فاء وفتح ما قبلها ولا بد لها لوقوع الهمزة أولى قبلها وهذا أدى حسب ابن جني إلى أن نقول أودته كأقمته وأدرته، فتحذف العين وتقلب الفاء وهي أصل الهمزة ويقول ابن جني: "إذا أدى القياس إلى هذا رفض وكثر فيه فعلت أيدت ليؤمن ذلك الإعتلان فلما استعمل شيء منه جاء قليلا شاذا آيدت ³.

وإخراج عين أفعلت حسب ابن جني هي قياسا على قوله ⁴ :

صَدَدْتُ فَأَطُولْتُ الصُّدُودُ.

ويؤكد في توجيه هذه القراءة على توهم ابن مجاهد في تبين وجه القراءة وتقديرها وهذا من باب المقارنة ويتبين وجه هذه القراءة من قوله تعالى: " فقد ثبت أن قراءة مجاهد (إذ آيدتك) إنما هو أفعلتك لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد ⁵.

¹ سماع العرب الذي استند كان شعرا ونثرا وشعر الذي أستشهد به ما يلاحظ عليه مجهول القائل وهذا ينطبق على عدة مواضع من كتاب المحتسب .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 180 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المنصف ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 191 و المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 180 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 81 .

وفيما يبدو الهدف هذا التنبيه باعتبار ابن مجاهد يعتبر المرجع الأساسي في القراءات المشهورة

ويرى كثير من الدارسين أمثال محمد أحمد الصغير أنّ ابن جنّي من خلال مؤلفه هذا لم يكن

منصفا في حق بعض القراء ويدرجه ابن مجاهد ويصفه بأوصاف تنزه عنها ونفها عنه الكثير .

الملاحظ في توجيه هذه القراءة ومحاولة تبیین وجهها في العربية اعتماد ابن جنّي طريقة المقارنة

التعليلية النحوية العقلية باعتباره انطلق من رأيين رأي ابن مجاهد وموقفه من هذه القراءة و رأي أبي علي

الفارسي الذي يؤيد استنادا إلى القياس والسماع على ما يناظر هذه القراءة باعتبار وجود وجه الشبه في

بعض جوانبها ولجأ إلى التقدير في توضيح لكيفية حمل الفرع على الأصل لصلة أو لشبه بينهما وعقد

هذه المقارنة التعليلية التي كشفت عن الجوانب الاستدلالية التي اعتمدها في توضيح وجه هذه القراءة في

العربية.

قال تعالى : " قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وأبي رجاء بخلاف : " وَإِلَهَ أَبِيكَ " ²

بالتوحيد.

يحكم عليها بطريقة غير مباشرة بالشذوذ بقوله : " قول ابن مجاهد بالتوحيد لا وجه له وذلك أنّ

أكثر القراءة جمعا كما ترى فإذا كان واحدا كان مخالفا لقراءة الجماعة فتحْتَاج حينئذ إلى أن يكون أبوك

هنا واحدا في معنى الجماعة، فإذا أمكن أن يكون جمعا كان كقراءة الجماعة، ولم يحتج فيه إلى التأويل

¹ البقرة : 133

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 199 ، معاني القرآن للفراء ، ج 1 ، ص : 88 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص : 18 .

لوقوع الواحد موقع الجماعة، وطريق ذلك أن يكون أببك جمع أب على الصحة، ع لى قولك للجماعة: هؤلاء أبون أحرار أي أباء أحرار قد اتسع ذلك عنهم¹.

فكلمة أببك يمكن أن ترد بمعنى الواحد وهو خارج عن جماعة ولا سبيل إلى ذلك إلا إنزال الواحد منزلة الجماعة أو ترد كلمة أببك بمعنى جمع أبأ وهذا ما التمس له ابن جنّي وجه في سماع عرب فحاول إيجاد ما يناظره في كلام العرب فيقول زياد واصل السلمي²:

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصَوَاتُنَا بَكِينٍ وَفَدَيْنَا بِالْأَبِينَا³.

وكلمة أبين في هذا البيت هي جمع لكلمة أب فهي قراءة استنادا إلى هذا البيت ومما سيذكر لها ما يقوي وجهها من ناحية العربية .

ويقول كذلك أبو طالب⁴ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي بَعْدَهُمْ هَمْتُهُ لَفَرَقَهُ حَرٌّ مِنْ أَبِينِ الْكَرَامِ .

ويقول آخر⁵:

فَهُوَ يَفْدِي بِالْأَبِينِ وَالْحَالِ .

¹المحتسب، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 199 .

² هو من الشعراء الجاهليين و يقول سيبويه في تعليقه على هذا البيت " أنشدناه من نثق به ، و زعم أنه جاهلي ، وإن شئت كسرت فقلت أباء و آناء (كتاب سيبويه ج 3 ، ص : 406) .

³ المحتسب ، ج 1 ، ص : 199 ، الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص : 347 و لسان العرب مادة " أبى " .

⁴خزانة الأدب ، ج 2 ، ص : 275 .

⁵ لسان العرب ، مادة " أبى " و صدر البيت : أقبل يهوى من دوين الطريال .

ويؤكد من خلال السماع الذي استند إليه أنّ المراد الجماعة، وما يظهر من خلال قول ابن جنّي استند إليه في توجيه هذه القراءة إلى الفقه والمنطق فنجدّه يفتح باب التأويل والافتراض وتأويل هو سمة بارزة في مذهب الفقهاء وخاصة الأحناف وهذا الافتراض والتأويل والمناقشة أكمل به جوانب التوجيهية لهذه القراءة الشاذة ولجأ كذلك إلى القياس الافتراضي الذي كان يلجأ إليه الأحناف ويفضلونه على بقية الأدلة .

ويؤكد ابن جنّي أنّ المراد من أبيك الشاذة عن الجماعة والذي يؤكد ما جاء بعده من قوله تعالى : **وَاللَّهُ عَابَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** ¹.

فيقول ابن جنّي : "قأبدل الجماعة أبيك لا محالة ، لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل" ².

ويقر فيما بعد بقوله : "هذا هو الوجه وعليه فيكن العمل" ³.

وحمله ابن جنّي على ما يناظره في القرآن فيما حكاه ابن مجاهد عن ابن عباس أنّه قال : لا نقرأ : **وَاللَّهُ عَابَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** ⁴.

فإنّ الله ليس له مثل، ولكن اقرأ : **"بِمَا آمَنُتُمْ بِهِ"** ⁵.

وقال : وروى عنه أيضا أنّه كان يقرأ : **"بِالَّذِي آمَنُتُمْ بِهِ"** ⁶.

¹البقرة : 133 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 200 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴البقرة : 137 .

⁵البقرة : 137 .

⁶المحتسب، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 200 ، الكشاف للزمخشري ، ج 1 ، ص : 97 . مغني اللبيب ، ج 1 ، ص : 153 ، إعراب القرآن للعكبري ، ج 1 ، ص : 39 . البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 40 .

وقال : "قال عباس في مصحف أنس وأبي صالح وابن مسعود : " فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنُتُمْ بِهِ ¹ .

واستحسن ابن جني ما ذهب إليه ابن عباس ويرى هذا الذي ذهب إليه ابن عباس حسن، وصحة ذلك أنه فإن آمنوا بما أمنتكم كما أراد ابن عباس وغيره، غير أن العرب قد تأتي بمثل، في نحو هذا توكيدا وتشديدا². فحكمه بالحسن انطلاقا من الغاية التي تم الوصول إليها وهي لأن ابن العباس وغيره يشتركون ويتفقون إلا أن العرب تضيف مثل كلمة "مثل" من باب التوكيد وتيسير الفهم وهذا ما عهدناه على ابن جني لا يذكر الشيء إلا ويعلله.

وهي محمولة على ما ورد في كلام العرب :يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح : مثلي لا يفعل هذا، أي : أنا لا أفعله، ومثلك إذا سئل أعطى أي أنت كذلك ³.

ومثال ذلك قول الشاعر ⁴:

مِثْلِي لَا يَحْسُنُ قَوْلًا فَعَفَ .

أي أنا لا أحسنه .

وفي حديث سيف باذي يزن :

أَيُّهَا الْمَلِكُ مِثْلُكَ مَنْ سَرَّ وَبَرَّ ⁵.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 200 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ الخصائص ، ج 3 ، ص : 32 وهامشه ، و صدره و لا تأمرني ببيئات أسفع .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 200 .

ويرى ابن جنّي : " أنه كذاك وكثير في الشعر الجاهلي والمولد"¹.

فإنّ ابن جنّي في هذا الموضع فيما يلاحظ ناقش واعترض على ابن عباس فيما ذهب إليه من قوله وهو يصرح بهذا ويقول : "ورحم الله ابن عباس فإنّ القول وإن كان اعتراضا عليه فعنه أيضا أخذوا إليه ردّ غير ملوم من نصر الجماعة وبالله والحول والاستطاعة"².

وقوله تعالى : "كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا"³.

أي : كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الحس على سعيته وانتشار جهاته فقد اهتموا⁴.

فابن جنّي جمع في توجيه هذه القراءة الشاذة بين أدلة النحو من السماع وقياس نظير على نظير وقياس الفرع على الأصل والقياس الافتراضي والتأويل والتعليل النحوي والمنطقي والإجماع وذلك من خلال إجماع ابن عباس وغيره في معنى الآية : " فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به "⁵.

فابن جنّي مزج و بطريقة عجيبة بين الأدلة النحويّة والفقهية والمنطقيّة وكان يناقش ويعارض ولكن بطريقة نلمس فيها إشادة بجهود من عارضه مثل ما رأيناه مع ابن عباس الذي قال فيما قال عندما عارضه : " فعنه أيضا أخذ "⁶.

أما مسالك العلة فتتوعدت عنده بين النص والإجماع والاستحسان الذي كان من محض عمل الفقهاء فنجده يستحسن ما ذهب إليه ابن عباس وأحناف ومن خلال هذا تظهر ثقافته المستمدة من مذهب

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² المصدر نفسه ، ص : 201 .

³ النساء : 134 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 201

⁵ المصدر نفسه ، ص : 201 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

الحنفي وترتبت عن هذا وجوه إعرابية جديدة لمسناها من خلال توجيه ابن جنّي لها، وطريق الاستدلالي الذي اعتمده هو جملة من روافد الأخرى غير نحوية من الفقه والمنطق ويظهر من خلال توجيه هذه القراءة ولكن رغم هذا المزج العجيب الذي تمده عدة تيارات إلاّ أنّه يبدوا هيكلًا مترصًا لتوجيه هذه القراءة قال تعالى: "لئلاّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا"¹.

ومن ذلك قراءة زيد بن علي، رضي الله عنه: "أَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا"² بفتح الهمزة خفيفة اللام.

ويرجع وجه هذه القراءة إلى الاستئناف منبها بعد الوقوف في قوله تعالى: "لئلا يكون للناس عليكم حجة"³.

ثم يستأنف منبها فقال: "فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُؤْمِنُوا بِمَا يَقُولُونَ وَلَا تَعْلَمُوا مَا تَعْلَمُونَ"⁴.

وهي كما يقول ابن جنّي كقولك: "إلاّ زيد فأعرض عنه وأقبل عليّ"⁵.

وبين ابن جنّي الوجه الإعرابي لهذه القراءة من خلال اعتبار و"لأتم نعمتي عليكم". وهو معطوف على قوله تعالى: "لئلا يكون للناس عليهم حجة"⁶.

ويرى ابن جنّي: "إذا كان عطف عليه فأن يكون في عقد واحد معه أولى من أن يتربص عنه"⁷.

¹ البقرة: 150 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 202 ، الكشف للزمخشري ، ج 1 ، ص : 103 ، البحر المحيط ج 2، ص: 155

³ البقرة : 150 .

⁴ البقرة : 150 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 202

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 202 .

ويكون قوله تعالى على هذا: "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ"¹.

وفيه استناد منقطع، أي: لكن الذين ظلموا منهم يعتقدون أن لهم حجة عليهم.

ولهذا كانت هذه القراءة كدعم للقاعدة النحوية، ويقول ابن جني: "فإن قلت فقد فصل بقوله: فلا تخشوهم واخشوني"².

ثم عطف بقوله: "ولأتم نعمتي عليكم"³. قد كرهت الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

وفي تفسير وشرح وتعليل ابن جني لهذا الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نجد ابن جني يستند إلى رافد من روافد ثقافته المتمثل في المنطق وفي التعليل ويظهر هذا من خلال المصطلحات التي وظفها وهي مصطلحات منطقيّة محضة وهذا من خلال قوله: "لما كان أمر للمسلمين يترك خشية الظالمين إنما هو مسبب عن ظلمهم اتصل به اتصال المسبب بسببه فجرى مجرى الجزء من الجملة وليس كذلك استئناف التنبيه بالإلاذ ألا تراها إنما تقع أولاً في أول الكلام ومرتجلة"⁴.

وفي هذا يلجأ إلى تعليل المنطقي فقط ويلمس من خلال الاستدلال ويظهر أكثر من خلال المصطلحات الموظفة بل يجمعه مع التعليل النحوي ونجده يستند في الحكم اللغوي على هذه القراءة الشاذة إلى الحكم الفقهي بحيث يقول: "ولكن الذين ظلموا منهم يعتقدون أن لهم وجه عليهم فأما في الحقيقة وعند الله تعالى فلا"⁵.

¹ البقرة: 150.

² المحتسب، المصدر السابق، ص: 202.

³ البقرة: 150.

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ص: 202.

⁵ المصدر نفسه. ن ص.

فما يظهر في توجيه هذه القراءة الشاذة، كان الحكم العقلي والمنطقي آخذاً حظه وفقاً لثقافة عصره وتياره الفكري الذي يحدد ويتحكم في توجيهه، فهو يعتمد التعليل المنطقي وما شابه في توجيه هذه القراءة ولكن لا يبتعد عن روح العربية ولا يبتعد فيه عن التقعيد ما استطاع إليه من خلال ربطه بالشرح والتفسير والتبسيط، ويلاحظ في توجيهه للقراءات الشاذة بصفة عامة وهذه القراءة بصفة خاصة قي نهاية التوجيه والتفسير وتبيين لها بحيث يترك إشارة تدل على باب مفتوح للبحث كعادته .

وما يلاحظ فما هو حاضر من مصادر الاستشهادية القرآن وكلام العرب ولم يكثر من ذلك باعتباره في مقام تبين لوجه هذه القراءة وفقط والتي تفسيرها موجود في مضمون الآية لذلك لم يطل في ذكر الأدلة باعتبارنا نجده دائماً ينزاح إلى الاختصار والإيجاز إلا في بعض المواضع.

قال تعالى: "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا"¹.

ومن ذلك قراءة علي وابن عباس وجوها بخلاف سعيد بن جبير وأنس بن مالك ومحمد بن سيرين وأبي بن كعب وابن مسعود وميمون بن مهران: "أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا"².

ويرى ابن جنّي: "تقرباً لذلك، أي فلا جناح عليه أن يطوف بهما تقرباً بذلك إلى الله تعالى لأنهما من شعائر الحج والعمرة"³.

وهو يصدر حكمها الفقهي هذا وهو موافق للحكم الفقهي الذي عند أبي حنيفة باعتبار ابن جنّي من الأحناف.

¹ البقرة : 158 .

² المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص : 202 ، الكشاف ، للزمخشري ، ج1 ، ص : 104 ، البحر المحيط لأبي حيان ، ج1 ، ص : 456

³ المحتسب، المصدر السابق، ج1 ، ص : 203 ، ويقصد بها الصفا و المروى ليس بفرض عند أبي حنيفة و عند الشافعي - رحمة الله عليهما ، إعراب القرآن وعلل القراءات ، نور الدين الياقوت ، دار اليقين ، 2010 ، ص : 68

علة الفقهيّة في هذا جواز الطواف حولهما لأنّهما من شعائر الحج والعمرة و يرى ابن جنّي: "ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التطوف بهما بدعة"¹.

والإمام الباقر يقول: "لأنّ المسلمين كانوا يخرجون عن الطواف لما رأوا فيه من الأصنام، فرفع الله تعالى فلا جناح عنهم"².

وأما من قال: "فلا جناح عليه ألا يطوف بهما"³، فيرى ابن جنّي أنّ ظاهرة: "مفسوخ له في ترك ذلك كما قد يفسخ للإنسان في بعض المنصوص عليه الأمور به، تخفيفا كالقصر بالسفر وترك الصوم ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها"⁴.

فالمعنى الظاهري في القراءة المشهورة غير المعنى الظاهر في القراءة الشاذة رغم وجود علاقة دلالية تربط بينهما وحكم الشرعي في القراءة المشهورة غير الحكم الشرعي في القراءة الشاذة .

ويرى ابن جنّي احتمال أن تكون "لا" في القراءة الشاذة زائدة بقوله: "وقد يمكن أيضا أن تكون لا على هذه القراءة زائدة"⁵.

وينتقل إلى التأويل الذي هو من صلب الفقه فيقول: "فيصير تأويله وتأويل القراءة على الكافة واحدا حتى كأنّه قال فلا جناح عليه أن يطوف بهما وزاد لا"⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص :203

² المصدر نفسه، ص :203

³ المصدر نفسه ، ص :204 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

حملا على نظيرتها في قوله تعالى: "يَتْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"¹.

وتقديرها ليعلم وهذا القياس مماثل للقياسي الفقهي ويقدم دليل القرآن على ما هو من كلام العرب باعتباره أصح الأدلة ويحملها على قول العجاج²:

مِنْ غَيْرِ لَا عَصَفَ وَلَا إِصْطِرَافَ .

وتقديرها من غير عصف³.

وما يميز منهجه في توجيه هذه القراءة الشاذة هو اعتماده على جانب الفقهي بحيث اعتمد القياس الفقهي والتعليل الفقهي في تبين وجه هذه القراءة وهذا كشف عن الفرق الدلالي بينها وبين القراءة المشهورة إضافة إلى بعض الطرق الاستدلالية اللغوية كالسماع والقياس اللغوي مع غياب التعليل النحوي الذي لا يلمس له أثر في هذا الموضع التوجيهي واعتماده هذا راجع لثقافة ومرجعية ابن جني الفقهية وهو يشير بطريقة غير مباشرة أن ما ذكره في هذا من باب الإيجاز وما قيل في هذا كثير بقوله في الأخير " وهو كثير"⁴ ويعني المقام لا يتسع لهذا وكذلك حتى يترك باب البحث مفتوح.

قال تعالى: "لَا يَأْخُذُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"⁵.

¹ الحديد: 29

² العجاج ، الديوان ، دار الشروق ، بيروت : 40 ، ويوجد كذلك بغير عطف " لا اصطراف" .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 204 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ البقرة : 255

ومن ذلك ما روي عن الزهري والأعرج وأبي جعفر بخلاف عنهم " ولا يُؤوِّدُه"¹.

وروي ابن جني عن ابن مجاهد قوله: " من لم يهمز قال (يؤوده) فخلف الهمزة بواو ساكنة فجمع بينها وبين الواو فيجتمع ساكنان، فإن شاء ضمها فقال: يؤوده، ومن ترك الهمز أصلاً، قال يؤده"².

قال أبو الفتح: " خلط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطاً ظاهراً غير لائق، بمن يعدّ إماماً في روايته وإن كان مضعوفاً في فقاوته"³.

وهذا قول ابن جني من خلال ما ذهب إليه ابن مجاهد شخصه بحيث أطلق الحكم على ما ذهب إليه بأنّه تخليطاً ويكشف عن جانب من جوانبه شخصيته العلميّة وهي ضعفه في الفقه والفهم، وهذا يؤخذ على ابن جني في هذا الكتاب بحيث تهجم على ابن مجاهد ورماه بأوصاف لا تليق بشخصه وهذا المقام يؤكد هذا.

ومن خلال تبين وجه شذوذ هذه القراءة التي كان لابن مجاهد فيها رأي ويدل على ما ذهب إليه بقوله: " أنّ قوله تعالى (يؤده) لك فيه التحقيق والتخفيف، فمن حقّ أخلصها همزة، قال (يؤوده) كيعوده ومن خفف جعل الهمزة بين بين، أي بين الهمزة والواو لأنّها مضمومة تجرى مجرى قولك في تخفيف لؤم لؤم وفي مئونة مئونة ولا يخلصها واو لأنّها مضمومة، فقوله: بلا همز أي يخففها كذا أحسن الظن بهؤلاء المشيخة"⁴.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 222.

² المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 222 ، البحر المحيط لأبي حيان ،المصدر السابق ، ص : 280 ، إعراب القرآن للعكبري ، ج 1 ، ص : 63

³ المحتسب ، المصدر السابق ، 222 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

يعلل ابن جنّي قوله تعالى (يوده) وذلك بتقسيمها إلى ثلاث أقسام أو حالات أو إمكانات بحيث من حقّ يخلص الهمزة وخفف جعل الهمزة بين بين أي بين الهمزة والواو أي لا همزة ولا واو وفي هذا إتباع لمنهج المعتزلة في تعليلهم¹.

ويخرج ابن جنّي في هذا التوجيه عن خطة الكتاب ويرمي هذه القراءة بالشذوذ ويقول: "فأما ترك الهمزة فشاذ وينبغي لمن هو دونهم أن يسان عن أن يظن ذلك به"².

ويواصل ابن جنّي قوله بمناقشة قول ابن مجاهد ويعطي البديل عما قال ويعلل ذلك بقوله: "إنّه يخلف من الهمزة واو ساكنة واجتماع ساكنان شديد الاضطراب وذلك أنّه قد سبق أنّ سبيل هذا أن يخفف لا يبدل وإذا كان مخففا فالواو متحركة لا ساكنة، فلا ساكنين هناك أصلا، نعم ثم لما قال: إنّّه يجتمع ساكنان لم يذكر ماذا يعمل فيهما ؟ قال : وإن شاء ضمها فقال: (يووده) وهذا هو الذي ينبغي أن يعمل عليه، ولكن ينبغي أن يعلم أنّه لا يضم الواو، بل الضمة على الهمزة إلّا أنّها مخففة فقربت بذلك من الواو لضعفها مع ضمها"³.

ويواصل قوله بمناقشة الجزء الثاني منه بقوله: "من ترك الهمزة أصلا قال (يوده) يؤكد ما كنا قدمناه من أنّ قوله: لا يهمز إنّما يريد به التخفيف لا البذل والحذف، لولا ذلك لم يقل: ومن ترك الهمز أصلا فقوله: (أصلا) يدل على أنّه لا يريد التخفيف الذي قدمه"⁴.

اعتمد ابن جنّي في رد قول ابن مجاهد ومناقشته، التعليل العقلي الذي يهدف إلى تعميق الفهم لأنّ ابن جنّي استتكر ما ذهب إليه ابن مجاهد وبشدة .

¹ تسمى منزلة بين المنزلتين ، ابن جنّي النحوي ، المرجع السابق ، ص : 234 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 222.

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 222 .

واعتمد التقسيم وطرق الاستدلال عند المعتزلة مع اعتماد القياس الافتراضي والتقدير والتعليل باستناد إلى أقوال اللغويين أمثال سيبويه وتبيين من خلال قوله: "فمن ترك الهمزة أصلاً، أي حذفها البتة كما يحذفها من قولهم: لا ب لك، أي: لا أب لك، ومن قولهم: و يُلْمُه، وأصلها: ويل لأمه، ومن قولهم ناس وأصلها أناس والله في أحد قولي سيبويه الذي أصله فيه إله غيرك ذلك"¹.

ويقول كذلك في تعليقه: "فإذا هو حذف الهمزة البتة وهي فاء الفعل بقي يوده في وزن يعله، والفاء على ما ذهب محذوفة وعلى أن الحذف لا يقدم أحد عليه قياساً لنكارتة وضيق العذر في اقتباسه"².

المبحث الثاني : نماذج من سورة آل عمران و النساء و الأنعام و الأعراف

2-1- نماذج من سورة آل عمران:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا "	41	" إِلَّا رُمُزًا "	ج 1، ص: 258
" قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ عَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "	52	" الْحَوَارِيُّونَ "	ج 1، ص: 258
" لَمَّا آتَيْنَاكُمْ "	81	" لَمَّا آتَيْنَاكُمْ "	ج 1، ص : 260

¹المصدر السابق، ن ص .

² المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 223 .

			كِتَبٍ وَحِكْمَةٍ
ج 1 ، ص : 266	" وَمَا مُحَمَّدٌ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ "	144	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ "

المنهج النحوي من خلال الآية: (41 ، 52 ، 81 ، 144) من آل عمران

قال تعالى: "أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا" ¹.

ومن ذلك قراءة الأعمش: "إِلَّا رُمَزًا" ² بضميتين .

ويرى أبو الفتح ابن جنِّي: "أن يكون هذا على قول من جعل واحدتها رمزة كما جاء عنهم ظُلْمَةٌ

وظُلْمَةٌ وَجُمُعَةٌ وَجُمُعَةٌ، ويجوز أن يكون جمع رمزة على رمز، ثم أتبع الضم الضم" ³.

وذلك مما حكاه أبو الحسن عن يونس أنه قال: "ما سمع في شيء فُعِلَ إِلَّا سمع فيه فعل" ⁴.

وله ما يقابله في كلام العرب من المنظوم من قول طرفة ⁵:

ورادًا وشُقُر .

¹ آل عمران : 41.

² المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 258، البحر المحيط ، ج 2 ، ص : 453 ، الكشف ، ج 1 ، ص : 189 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ طرفة بن عبد ، الديوان ، ص : 57 و البيت بكامله : أيها الفتيان في مجلسنا حردوا منها ورادا وشقرا

ويقدر ابن جني ذلك ب: "شُقُرًا"¹.

يعتمد ابن جني في منهجه النحوي في هذا الموضوع على التعليل في توضيح وجه الشذوذ وتبيين وإثبات ما يناظره في كلام العرب واستند إلى أقوال غيره من أهل العربية وإلى سماع العرب من المنظوم الجاهلي من خلال شعر طرفة بن العبد ولم يذكر من البيت إلا الشاهد على وجه الشذوذ والذي دعمه لغويا في العربية، وفيما يبدو في هذا الموضوع التوجيهي لهذه القراءة التزم الإجازة والاختصار ويظهر من خلال التعليل ومن خلال الاستشهاد لم يذكر إلا شاهدا واحدا وذكر فقط الدال على وجه الشذوذ .

قال تعالى: "فَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ"².

ومن ذلك قراءة إبراهيم وأبي بكر الثقفي: "الْحَوَارِيُّونَ"³.

وقال أبو الفتح: "ظاهر هذه القراءة يوجب التوقف عنها والاحتشام منها، وذلك لأن فيها ضمة الياء الخفيفة المكسورة ما قبلها، وهذا موضع تعافه العرب و تمتنع منه"⁴.

وهذا يعتبر حكما غير مباشر على هذه القراءة بالشذوذ لأنه يحمل أوصاف من شأنها إدخال هذه القراءة دائرة الشذوذ.

لها ما يدعمها من القرآن قوله تعالى: "فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ"⁵.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 258 .

² آل عمران : 52

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 258 (و هي مخففة البناء في جميع القرآن)

⁴ المصدر نفسه ، ص : 259 .

⁵ المؤمنون : 07

والتقدير حسب ابن جنّي: "العاديون"، وهذا الخروج عن الأصل من العاديون إلى العادون علته فيما ذكر ابن جنّي: "استتقال الضمة على الياء، فأسكنت وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها، فكان يجب على هذا أن يكون الحوارون كالقاصون والساعون، إلّا أنّ هنا غرضاً وفرقاً بين الموضعين يكاد يقنع مثله وذلك أنّ الأصل هذه الياء أن تكون مشددة وإنّما خففت استتقالاً لتضعيف الياء، فلما أريد فيها معنى التشديد جاز أن تحمّل الضمة تصوراً لاحتمالها إياها"¹.

ويستدل على هذا كذلك بما ذهب إليه أبو الحسن: "في تخفيف يستهزيون إلى عضو فوط من قرأت: قرأىء فأبدل الهمزة الثانية التي كانت في قرأء ياءً، ثم ضمها بعد أن أخلصها ياءً وجرت مجرى التي لاحظت فيها لشيء من الهمز"².

ويميز هذه القراءة ويقوي وجهها في العربية وباستناد ابن جنّي إلى المشهور من القراءات في قياس المناظرة مما يعزز وجه هذه القراءة ويدعمها معتمداً في ذلك موقف يتميز بحكمه على هذه القراءة بأنّها من شاذ القرآن باعتبارها تدخل في دائرة ما "تعافه العرب وتمتنع منه"³ كما سبق وأن ذكرنا هذا.

وموقف الثاني تعليلي لهذا الشذوذ بإضافة إلى ذكر أمثلة من كلام العرب مساندة لهذا الوجه وعلى مثاله كالقاصون وساعون وغيرها ويستحسن بعض ما ظهرت به هذه القراءة في هذا الموضع من خلال تقدير الأصل اعتماداً على ما هو مجمع عليه معتمداً في ذلك السماع والقياس اللغوي .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 258

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

وفي هذا الموضع يتساءل ابن جنّي حول الحذف الحادث في كلمة " الحوريين " ويقول فأَيُّ الياءين حذف من الحوريين¹؟

وقيل : " المحذوفة هي أشبهها بالزيادة، وهي الأولى لأنها بإزاء ياء العظاميس والزناديق، فإن قيل: فالثانية وقع فيها الاستتقال، فهلا حذفت دون الأولى² .

والجواب في ذلك : " قيل :قد يغير الأول من المثلين تخفيفا كما يغير الآخر³ .

ومن ذلك قول سعد بن قرظ⁴ :

يَا لَيْتَمَا أَمَّنَّا شَأَلْتَ نَعَامَتَهَا أَيَمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَيَمَّا إِلَى نَارٍ

وتقديرها فيما يقدرها ابن جنّي يريد الشاعر هنا " أمّا"⁵.

وكذلك القول في : " قيراط ودينار وديماس فيمن قال: دماميس، وديباج فيمن قال: دبايح وقد حذفت هذه الياء في الواحد من هذا الجمع⁶ .

ويذكر كذلك ما قرأه عليه من نواذر أبي زيد⁷ :

بَكِي بَعِيْنِكَ وَأكْفَ القِطْرُ ابْنُ الحُورِيِّ العَالِي الذِّكْرُ .

¹ المصدر السابق ، 259

² المصدر نفسه ، ص : 259 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ مختصر شواهد العين ، المصدر السابق ، ص : 299.

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 259 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

⁷ المصدر نفسه ، ص : 259 ، و هو لعبيد بن قيس (المحتسب و هامشه) .

ويقدر ابن جنّي " بالهوري " وهي إذن على مثال ما ورد في القراءة الشاذة لإبراهيم وأبي بكر الثقفي فيما سبق سبب هذا التمظهر الذي أخذته من خلال هذا البيت الشعري هو أنّه : " قد خفت ياء النسب في غير موضع مع كونها مفيدة لمعنى النسب " ¹.

ومن خلال هذا البيت يقارن ابن جنّي بين كلمة حواريّ وتخفيفها في القراءة الشاذة وتخفيفها في هذا البيت الشعري في رأيّه أنّها مفيدة في المعنى لأنّها تخفف ياء نسبة وباعتبار كلمة حواريّ لفظ نسبة هنا ولا حقيقة له هناك فهو يعتبره في القراءة ليس بلفظ نسبة هنا وإنّما مثله مثل كرسى .

متبعا في ذلك التعليل المنطقي الذي فيه نوع من التعقيد من خلال قوله كيف بها إذا كان لفظها لفظ النسب ولا حقيقة له هناك ؟ ألا ترى أنّ الحورّي بمنزلة كرسى ؟ ².

وهذا التعليل كان يلمس عند أهل الكلام والفلاسفة وابن جنّي كان من روافد ثقافته المنطق وعلم الكلام

قال تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ³.

ومن ذلك قراءة الأعرج فيما يروى عنه: " لَمَّا آتَيْنَاكُمْ " ⁴.

بفتح لام وتشديد الميم وآتيناكم بالألف قبل الكاف ونجد ابن جنّي من خلال توجيهه هذا ينوع في المصطلحات التي يطلقها على القراءة بحيث أنّ الحكم واحد وهو "شذوذ" بحيث نجده يحكم كذلك على

¹ المصدر السابق، ن ص .

² المصدر نفسه ، ص :159

³ آل عمران :81

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص :260 ، البحر المحيط ، ج1 ، ص :497 . (وهذه القراءة الشاذة لم ترد في كتاب مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه .

هذه القراءة بالشذوذ من خلال قوله: " في هذه القراءة اغراب وليست لَمَّا هاهنا بمعروف في

اللغة"¹.

ويذكر ابن جنّي أوجه هذه القراءة الشاذة التي وردت عليها ويقابلها بما ورد من السماع اللغوي²، بحيث يمكن أن ترد حرفا جازما وظرفا بمعنى إلّا، وابن جنّي يذكر هذه الأوجه ويعددتها من باب الإيضاح وتبيين الوجه الذي تنطوي تحته "لَمَّا" في هذا الموضع والذي يرى مسبقا بأنه خارج عن هذه الأوجه بحيث يمكن أن يكون حرفا جازما كقوله تعالى: "وَلَمَّا يَعْلَمَ آلُهَا لَذِينَ جَهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ"³.

وتكون ظرفا نحو قوله تعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ"⁴.

وتكون بمعنى إلّا في نحو قولهم: "أقسمت عليك لَمَّا فعلت أي إلا فعلت، ولا وجه لواحدة منهن في هذه الآية"⁵. ويستند في تبين أوجه وأقسام "لَمَّا" إلى القرآن الكريم رغم وجود ذلك في كلام العرب ما ينطبق على وظائفها من جزم وظرفية واستثناء من شعر ونثر وسبب في ذلك باعتبار القرآن أصح الأدلة فذكر شاهد منه يعوض كلام العرب شعره ونثره .

وباعتبار لَمَّا خارجة هنا عن هذه الأوجه، يحاول ابن جنّي أن يجد لها وجه بقوله: "أقرب ما فيه

أن يكون أراد: إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمن آتيناكم وهو يريد القراءة العامة لما آتيناكم"⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 259 .

² معتمدا في تبين "لَمَّا" على الاستدلال بالتقسيم والسبر معتمدا كطريقة استدلالية لتبيين وجه هذه القراءة و كان ذلك استنادا الى الوظيفة التي تخضع للموضع الذي وظفت فيه و السبر والتقسيم يعتبر من طرق الأدلة الفقهية المحضة رغم التشابه مع التقسيم كأصل لغوي معتمد في اللغة .

³ آل عمران : 142.

⁴ القصص : 22

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 216 .

⁶ المصدر نفسه ، ص : 261 .

فزاد "من" على مذهب أبي الحسن في الواجب وصارت (لمم) فلما إلتقت ميمات فتقلن، فحذفت الأولى منهن فبقي لما مشدد كما ترى ولو فكت لصارت (لنما) غير أنّ النون أدغمت في الميم كما يجب في ذلك فصارت (لما) هذا أوجه ما فيها إن صحت الرواية بها ¹.

و(آتيناكم) بالجمع فطريقة حسب ابن جنّي أنّه ورد مع لفظ الجماعة من النبيين أيضا تعالى في اللفظ ².

ويحملها ابن جنّي على قوله تعالى: "وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" ³.

وكذلك قوله تعالى: "وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ" ⁴.

ويفسر ذلك بقوله: "ولو كانت وضربت لكم الأمثال لم تبلغ في سمو اللفظ وتعالى في قوله (ضربنا لكم) فتفهم معناه" ⁵.

اعتمد في استدلال على هذه القراءة الشاذة على تعليل النحوي كطريق استدلال لتبيين علة شذوذها معتمدا في ذلك على التقسيم كطريق لتبيين مكانة "لما" بحيث في أي قسم تتدرج حسب وظيفتها في السياق؟ مستندا في ذلك لما هو مجمع عليه من اللغويين ومن خلال السماع والقياس كذلك كعادته معتمدا على رافد من الروافد التي شكلت ثقافته الفقيه من خلال الرجوع إلى التفسير وخاصة في القسم التوجيهي الثاني لهذه القراءة "آتيناكم".

¹ المصدر السابق ، ص : 261 .

² المصدر نفسه، ن ص .

³ الإنسان : 28 .

⁴ إبراهيم : 45

⁵ المحتسب : المصدر السابق : ن ص .

قال تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" ¹.

من ذلك قراءة حطّان بن عبد الله: "مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ" ².

يستحسن ابن جنّي هذه القراءة بقوله: "هذه القراءة حسنة في معناها وذلك أنّه موضع اقتصاد

بالنبي صلى الله عليه وسلم وإعلام أنّه لا يلزم ذمته ممن يخالفه تبعه" ³.

ويتبعه بقوله تعالى: "وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" ⁴.

وقوله تعالى: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" ⁵، وقوله تعالى: "مِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ

وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ" ⁶، وقوله تعالى: "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ" ⁷

وإنّما "موضوعة للاقتصاد والتقليد" ⁸ ومثاله قوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" ⁹.

وهذا كقوله تعالى: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" ¹⁰، وكذلك قوله: "وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ" ¹¹.

¹ آل عمران: 144

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 265 . البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج3 ، ص : 67 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 266 .

⁴ العنكبوت : 18 .

⁵ آل عمران : 128 .

⁶ الرعد : 07 .

⁷ يونس : 42 .

⁸ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 267

⁹ فاطر : 28 .

¹⁰ هود : 40 .

¹¹ ص : 24 .

و قوله كذلك : " وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " ¹.

ويرى ابن جني: " فلما كان موضع اقتصادية وفك ليد الذم عن ذمته وكان من مضى من الأنبياء

عليهم السلام في هذا المعنى مثله لا بالحال تذكير ذكرهم بقوله (خلت من قبله رسل) ².

والتذكير ضرب من الكف والتصغير كما التعريف ضرب من الإعلام والتشريف .

وقول زياد الأعجم ³ :

فَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ .

فأين هذا من قوله ⁴:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَ الْحَلَّ وَالْحَرَمُ ؟.

واعتمد ابن جني في توجيه هذه القراءة الشاذة القياس والتعليل وقال الشاعر :

مَنْ حَدِيثِ نَمَى إِلَى فَمَا أَطْعَ مَ غَمَضًا وَلَا أَلَذَّ شَرَابِي ⁵ .

فَنَكَرَ الْغُمُضَ احْتِقَارًا لَهُ إِذْ كَانَ لَا يَعْرِفُهُ، وَعَرَّفَ الشَّرَابَ إِذْ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَشْرِبَ وَ إِنْ قُلْ ⁶.

¹ سبأ: 13

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 267 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ ديوان الحماسة ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 530

⁵ معجم الشعر ، للمرزباني ، المصدر السابق، ص : 324 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 267 .

ويقول ابن جني "ولأجل ذلك لم تتدب العرب المبهم ولا النكرة لاحتقارها وإنما تتدب بأشهر الأسماء المندوب يكون ذلك عذرا لها في اختلاطها وتفجييعها"¹.

ولذلك جرى قوله سبحانه وتعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"².

مجرى قولك لصاحبك: "اخدم كما خدمنا غيرك من قبلك ولا تبعة علي بعد ذلك، فهذا موضع اسماح له فلا بد إذا من إلا ذكره"³.

يرى ابن جني: "ومن قرأ (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، فوجه تعريفهم ومعناه أنكم قد عرفتكم حال من قبله من الرسل في أنهم لم يطالبوا بأفعال من خالفهم وكذلك هو صلى الله عليه وسلم، فلما كان موضع تنبيه لهم كان الأليق به أن يومئ إلى أمر معروف عندهم"⁴.

اعتمد ابن جني على الشواهد القرآنية وشعرية واللغوية في توجيه هذه القراءة وما يلاحظ هو اعتماده على القرآن والشعر في توجيه لهذه القراءة واعتماده هذا الترتيب في الاستشهاد باعتبار القرآن أصح الأدلة معتمدا التعليل النحوي والتفسير الفقهي في توجيه هذه القراءة من خلال تبين معناها حتى يتبين وجه شذوذها لغوي باعتبار الزيادة في المبني زيادة في المعنى ولذلك كان للتكرير والتعريف أثر في المعنى ولذلك اعتمد التفسير الفقهي مبني على تبين وجه شذوذها اللغوي مبني على التكرير بدل التعريف المعروف في القراءة المشهورة⁵.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² آل عمران : 144 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 268 .

⁴ المصدر السابق ، ن ص .

⁵ ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبعة ، تح : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، ط3 ، 1979 ، بيروت

، لبنان ، القاهرة ، مصر ، ص : 144

2-2- نماذج من سورة النساء :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" أَئِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ "	78	" أَئِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ "	ج 1 ، ص : 295
" يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً "	100	" مَرَعَمًا "	ج 1 ، ص : 298
" إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ ، إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ ، إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ "	117	" أَأَنْتُمْ ، " أَأَنْتُمْ ، " إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ ، " وَتُنَادُوا ، " إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ ، " إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِغُوا الْفُلَ . "	ج 1 ، ص : 303
" مُذَبِّبِينَ "	143	" مُذَبِّبِينَ "	ج 1 ، ص : 308

المنهج النحوي من خلال الآية : (78 ، 100 ، 117 ، 143 ،) من سورة النساء:

قال تعالى : " أَئِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ " ¹.

¹ النساء : 78 .

و من ذلك قراءة طلحة بن سليمان : " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ¹ برفع الكافين .

وقال عنه ابن مجاهد " مردود في العربية ² ولكن يرميه بالضعف ويقول " لعمري ضعيف في العربية وبابه الشعر والضرورة، إلا أنه ليس بمردود لأنه لو قال: مردود في القرآن لكان أصح معنى ³ .

فابن جنّي يرمي ما ذهب إليه ابن مجاهد بالخطأ، كذلك في هذا الموضع مثل المواضع السابقة يصف ما ذهب إليه ابن مجاهد بالخطأ، وكذلك يدلل عليه بالشعر والضرورة، ولكن ردّه صعب لأنه روي عنهم من ألسنتهم وأعطى البديل الذي من المفروض لو قاله لكان وقعه أخف وهو " المردود في القرآن " بدل و "لا أصل له " .

فابن جنّي هنا فيما يبدو يظهر تمكنه على ابن مجاهد من خلال اقتراحه للبديل الذي كان من المفروض أن يقال ويحكم من خلال قوله السابق بالضعف على هذه القراءة وهو مصطلح عنده مرادف للشذوذ باعتباره ينوع فقط في المصطلحات باختلاف المواضع.

ويدعم موقفه هذا من خلال تعليل بقوله : "وذلك أنه على حذف الفاء كأنه قال : فيدرككم الموت ⁴ .

ويمثل بببيت لحسان بن ثابت ⁵ :

¹ البحر المحيط ، ج 2 ، ص : 296 ، المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 295 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 296 .

³ المصدر نفسه ، ص : 296 . و باب الضرورة فيما ورد في سؤال ابن جنّي لأبي علي الفارسي بقوله : " هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا " .

⁴ المحتسب ، المصدر نفسه ، ص : 296 .

⁵ الكتاب ، سيبويه ، و هذا البيت لم يرد في ديوانه كما قال البغدادي : " الأصمعي عن يونس قال : نحن علمنا هذا البيت وكذلك نقله الكرمانى في الموشح و البيت نسبه سيبويه لعبد الرحمان بن حسان بن ثابت رضي الله عنه : رواه عن جماعة كعب بن مالك الأنصاري " ، هامش المحتسب ، ج 1 ، ص : 296 . الخصائص ، ج 2 ، ص : 283 ، المنصف ، ج 3 ، ص : 118 ، خزنة الأدب ، ج 3 ، ص : 644

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ .

وتقديرها : " فالله يَشْكُرُهَا " ¹ ، وهناك اشتراك في العلة بينه وبين القراءة الشاذة .

و يمثل كذلك بقول الأسدي ² :

بُنُو نَعْلٍ لَا تَتَكَبَّرُوا الْعَنْزَ بِشَرِّهَا بَنِي ثَعْلٍ مَنْ يَنْكَعِ الْعَنْزَ ظَالِمٌ .

ويقدر ابن جني المحذوف والتي كان من ممكن أن يقوله الشاعر بحيث يقول : " فكأنه قال: فهو ظالم فحذف الفاء والمبتدأ جميعا إلا أنه لما ترك هناك اسم الفاعل فهو لشبهه بالفعل كأنه هو الفعل، فيصير إلى كأنه قال: من ينكع العنز يظلم، وشبه الفعل في هذه اللغة أفشى من الشمس حتى إنهم استجاروا لذلك أن يولوه نون التوكيد المختصة بالفعل " ³ .

يمثل بقول الشاعر ⁴ :

أَرِيدُ إِنْ جِئْتُ بِهِ أَمْلُوداً مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُوداً .

أَقَاتِلَنَّ أَحْضِرِي الشُّهُودَا .

ويرى أن ابن جني كأنه " قال أيقولن فيه كثيرا " ⁵ .

¹ المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 296 .

² الكتاب ، المصدر السابق ، ص 63 ، و بنو ثعل هو بنو ثعل بن عمرو فقال كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا وما فطرته عليهم فطرته علينا "

الخصائص ، ابن جني ، ج 1 ، ص : 323 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 296 .

⁴ خزنة الأدب ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 574 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 296 .

ويرى ابن جنّي: "فالحق نون التوكيد اسم الفاعل تشبيها له بالفعل فهذا إذن استحسان لا عن قوة علّة ولا عن استمرار عادة، ألا تراك لا تقول: أ قائلنّ يا زيدون ولا منطلقنّ يا رجال، إنّما تقوله بحيث سمعته وتعتذر له وتنسبه إلى أنّه استحسان منهم، على ضعف منه واحتمال بالشبهه له"¹.

وما يلاحظ هنا ما أصل له ابن جنّي من أصول نحويّة في كتابه الخصائص ووظيفه هنا لذلك تشترك اشتراك في الأمثلة الموظفة بين الكتابين².

وجه هذه القراءة فيما يرى ابن جنّي أنّها ضعيفة وليست بخاطئة والضعف أقل رتبة من الخطأ متبعا طريقة الفقهاء في حكم الشرعي التعليلي مع استناده إلى التعليل العقلي والنحوي المبني على التقدير مستندا في ذلك إلى السماع والقياس اللغوي .

قال تعالى: "يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً"³.

ومن ذلك ما رواه الواقدي عن عباس عن الضبي عن أصحابه: "مَرْغَمًا"⁴.

ويعلل هذه القراءة في العربية بقوله: "ينبغي أن يكون هذا إنّما جاء على حذف الزيادة من راغم، فعليه جاء مرغم، كمضرب من ضرب ومذهب من ذهب، وأصل هذه المادة رغم فمنه الرغام التراب وهو إلى الذل والشدة والمراغم المعار الذي يروم إذلال صاحبه"⁵.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² يقصد به كتاب المحتسب و الخصائص .

³ النساء: 100 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 298 ، البحر المحيط ، ج 3 ، ص : 336 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، ص : 36 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 298 .

وكذلك الحديث المرفوع: "إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرّغم .أي هي: يذل ويخضع لله عز وجل وعليه بقية الباب ¹ .

يعمل نحويا ابن جنّي باعتبارها على حذف الزيادة والمعروف أنّ كل زيادة أو نقصان في المبنى فيه تغير في الدلالة أو المعنى ومنه فصيرورة ومجيء مُراغما على صورة مرغما هو حذف للزيادة وهي على منوال ما جاء في العربية مثل مضرب ومذهب (مفعّل) ويقدر أصلها بمادة(رغم) ويقدر معناها " بالذل والشدة " ² وحملها على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور سابقا والذي يحمل هذا المعنى بمعنى الذل وفيه حقيقة الذل والخشوع لله سبحانه وتعالى .

استشهد ابن جنّي بالحديث النبوي الشريف على هذه القراءة معتمدا في ربط الشاهد بوجه القراءة ومعناها على التعليل الفقهي الذي يبيّن المعنى الحقيقي من هذا مما يدعم المراد من كلمة " مرغّم " التي كوجه شذوذ للقراءة المذكورة سابقا في استدلال ابن جنّي على هذه القراءة ويبين وجهها واعتماده في السماع على الحديث الشريف الذي ألزم الأوائل أنفسهم بعدم استدلال به للأسباب المذكورة سابقا ومصاحبته بالتعليل الفقهي لتبيين ودعم وجه هذه القراءة الشاذة .

قال تعالى "إِلَّا إِنْشَاءً" ³.

ومن ذلك قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها : "أُنْثَأً" ⁴.

¹ المصدر السابق ، ص :299.

² المحتسب ،المصدر السابق، ج 1 ، ص : 298 .

³ النساء : 117

⁴الكشاف ، ج 1 ، ص : 299 ، البحر المحيط ، ج 3 ، ص : 352 .

بنون قبل الثاء و روي عنه أيضا " إِلَّا أُثْنًا "¹، والثاء قبل النون في قراءة ابن عباس: " إِلَّا وَثْنًا "² وروي عنه أيضا: " إِلَّا أُنْثَا "³ بضميتين والثاء بعد النون، وقراءة عطاء بن أبي رباح: " إِلَّا أُنْثَا "⁴ الثاء قبل وهي ساكنة .

وببين وجه هذه القراءة مع توضيحها بأمثلة مما ورد في كلام العرب وفي القرآن الكريم .

فابن جنّي يرى أنّ " أثن " فجمع " وثن " وأصله " وثن " فلما انضمت الواو ضما لازما قلبت الهمزة ⁵.

فابن جني فيما يبدو يصل كلمة أثنّا الحاضرة في هذه القراءة الشاذة وهذا الضم لازم وهو الذي كان سبب في قلب الهمزة وهذه اللفظة يحملها ابن جنّي على ما ورد في القرآن الكريم من لفظة تناظرها في الآية الكريمة : وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ ⁶.

ويوجد حسب ابن جنّي في كلام العرب ما يناظرها من مفردات كقوله: وجوه:أوجه ،في وعد: أعد وهذا باب واسع ⁷.

نجد ابن جنّي في مواضع توجيهية كثيرة يضطر إلى ذكر الكلمة التي هي كشاهد فقط من دون ذكر الشاهد الذي وردت فيه كاملا من باب الاختصار والإيجاز، فكل هذه الكلمات لو رجعنا إلى كلام العرب نجدها وردت في الشعر والنثر والأمثال والأقوال مأثورة ولكن الملاحظ نجد إنّ الكلمة تكون كمثال وهي في آية قرآنية يذكر الآية وبأكملها، وذلك لأنّ القرآن مكانته تبقى أولى وأصح وذلك يضطر إلى ذكر

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 303 .

²الكشاف ، ج1 ، ص : 299 ، البحر المحيط ، ج3 ، ص : 352 .

³ المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص : 303 ، الكشاف ، ج1 ، ص : 299 .

⁴ الثاء قبل وهي ساكنة .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 303 .

⁶المرسلات : 11.

⁷المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 303.

كل الآية وليس الكلمة الشاهدة فقط والفرق واضح في هذا الموضع من خلال ذكر كلمة أقتت ضمن الآية الكريمة من سورة المرسلات أمّا الكلمات أخرى فيذكرها بمفردها، وحسب ما ورد من سماع اللغوي يناظر هذا الوجه كثير وفاش في العربية وذلك من خلال قوله: "وهذا باب واسع"¹، من هذه الأمثلة أسد وأسد² وأثنا بسكون الثاء فهو كأسد بسكون السين³.

ويقول ابن جنّي حول ما: "ذهب إليه أبو بكر محمد بن السري في قوله أن: أسد وأسد إلى أنّها محذوفة من أسود"⁴. ويرى ابن جنّي أن أبو بكر محمد السري قوى قوله هذا بقول أو ببيت للأخطل يقول فيه⁵:

كَلَمَعَ أَيْدِي مَثَاكِيلِ مُسَبِّبَةٍ بَنَدِينَ ضَرَسَ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ وَالْخُطْبِ.

ويقدرها بالخطوب، فقصر الكلمة بحذف واوها⁶.

وهناك بيت آخر يقول صاحبه⁷:

إِنَّ الْفَقِيرَ بَيْنَنَا قَاضٍ حَكَمَ بَيْنَنَا قَاضٍ حُكَمَ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ إِذَا النُّجْمُ .

ويقدرها ابن جنّي بقوله: "يريد النجوم"⁸.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 303 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ الأخطل ، الديوان ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان ، د ط/ د،ت: 188 .

⁶ المحتسب، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 304 .

⁷ الخصائص ،المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 134 ، وردت " أن ترد الماء إذا غار النجم " المحتسب ، المصدر السابق ،

ص: 304

⁸ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 304 .

وأما أنْتُ فيمَا يرى ابن جَنِّي: " فينبغي أن يكون جمع أنيث، كقولهم: سبق أنيث الحديد¹، وذلك كقراءة العامة: "إلا إناثا"².و يعني به الأصنام .

ويرى ابن جَنِّي في تبين معنى الإناث نقلا عن الحسن: " الإناث كل شيء ليس فيه روح:خشبة يابسة وحجر يابس،قال:وهو اسم صنم لحى من العرب، كانوا يعبدونها ويسمونها أنثى بنى فلان"³.
وعليه القراءة: "إلا أوثانا"⁴.

اعتمد في منهجه النحوي في تبين وجه هذه القراءة وتعليلها والتماس الأدلة والشواهد على كلام الله باعتباره أصح الأدلة في القياس واعتمد على ذكر الشاهد كاملا متضمنا للشاهد المتمثل في "أقنت " واعتمد ما ورد من أمثلة في كلام العرب من نثره ومأثوره من القول ولكن التزم الاختصار الذي وعد به من خلال هذا الكتاب مرعاة لنفسية القارئ وتجنبه الملل ولجأ إلى الشعر والتزم فيه هنا بإطار الزمني واعتمد في تدليل بمصادر الاستشهادية وفق الأهمية واعتمد القياس النظير على النظير وذلك بالتماس الوجوه المناسبة لهذه الأوجه قرائية واعتمد التعليل النحوي والتقدير في تبين أصول الكلمات وخروجها إلى الوجه الإستعمالي الحاضر واستحسن بعض الجموع في القراءات .

ولكن ما يظهر في هذا الموضع أنّ منهج ابن جَنِّي كان نحويا خالصا مشابها لمنهج غيره من أئمة اللّغة وتوجيه هذه القراءة كانت نقطة التقاء في المنهج النحوي عند ابن جَنِّي ومع غيره من الأئمة .

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² النساء : 104 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ن ص .

⁴ قراءة عائشة ، أبي السوار و مجاهد ، البحر المحيط ، ج 3 ، ص : 362 .

قال تعالى: "مُذَبِّبِينَ"¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس وعمرو بن فايد: "مُذَبِّبِينَ"².

قال بعيث بن حديث³:

خيال لأَمّ السلسيل ودُونه مَسِيرَة شَهر لليزيد المذبذب .

وهو يريد به: "المهتر الفلق الذي لا يثبت في مكان فكذاك، هؤلاء: يخفون تارة إلى هؤلاء: يخفون تارة

إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء"⁴.

نهى على مثال قوله: "لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء"⁵.

ونرى ابن جنّي يفسر اعتماداً على هذا بقوله: "وهو من ذَبَبْتُ عن الشيء: أي صرفت عنه شيئاً

يريد إلى غير جهته، وقريب من لفظه، إلاّ أنّه ليس من لفظه كما يقول البغداديون وأبو بكر معهم، وذلك

أنّ ذَبَبْتُ من ذوات الثلاثة وذذب من مكرر الأربعة فهو كقولهم: عين ثرة وثرثرة، وهو كثير في معناه"⁶.

معناه"⁶.

واعتمد التعليل والسماع والقياس في توجيه هذه القراءة وظهر المنهج النحوي خالص مثل ما نجده عند

بقية اللغويين .

¹ النساء: 143 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 308 ، البحر المحيط ، ج 3 ، ص: 378 ، الكشف ، ج 1 ، ص: 307 .

³ ديوان الحماسة ، ج 1 ، ص: 307 .

⁴ ديوان الحماسة ج 1 ، ص: 117 .

⁵ المحتسب ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص: 308 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 308 .

2-3- نماذج من سورة الأنعام:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ "	61	" وَلَا يُفْرِطُونَ "	ج 1 ، ص : 331
" لِأَبِيهِ عَازَرَ "	74	" لِأَبِيهِ آزَرَ " ، أَازَرًا ، " أَنزَرَ "	ج 1 ، ص : 331
" قِنَوَانٌ "	99	" قَنَوَانٌ "	ج 1 ، ص : 332
" وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْحَيْنَ وَخَلَقَهُمْ " "	100	" : " وَ خَلَقَهُمْ "	ج 1 ، ص : 332

* المنهج النحوي من خلال الآية : (61 ، 74 ، 99 ، 100) من سورة الأنعام

قال تعالى: "وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ"¹.

ومن ذلك قراءة الأعرج: "وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ"².

يفسر ابن جنّي هذه الآية بقوله: "يقال أفرط في الأمر إذا زاد فيه وفرط فيه: إذا قصر"³.

ويربط هذا بالتفسير الفقهي للقراءة العامة: "لَا يُفْرِطُونَ"⁴.

بحيث يرى: "لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفّي من تحضر منيته فكذاك أيضا لا يزيدون ولا يتوفّون إلا من أمرؤا بتوفّيهِ"⁵.

ويحمل هذا المعنى اللغوي للقراءة الشاذة والتي ربطها بالمعنى الفقهي وبعلمته في محاولة لتبيين وجهها والمراد بها حمل ذلك على قوله تعالى: "وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ"⁶.

استند إلى التعليل الفقهي مبني على التفسير وإلى القياس في تبیین وتوضيح وجه هذه القراءة وهذا ليس بمذهب بعيد على ثقافة ابن جنّي باعتباره كان من المترددين على مجالس الفقهاء.

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا"⁷.

¹ الأنعام : 61 .

² المحتسب ، المصدر السابق، ص : 331 ، البحر المحيط ، ج 4 ، ص : 148 ، الكشاف ، ج 2 ، ص : 19 .

³ المحتسب، المصدر السابق، ص : 331 .

⁴ الأنعام : 61 .

⁵ المحتسب، المصدر السابق، ص : 331 .

⁶ الرعد : 08 .

⁷ الأنعام : 74 .

ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المداني ويعقوب ورويت عن سليمان التيمي: " لأبيه آزر"¹.

وقرأ ابن عباس بخلاف: "أَزْرًا نَتَّخِذُ"². بهمزتين استفهام وينصبها وينون .

وقرأ أبو إسماعيل رجل من أهل الشام: "أَزْرًا " مكسورة الألف منونة " نَتَّخِذُ"³.

قال أبو الفتح " أَمَا آزرُ " فنداء وأما " أَزْرًا " ففعل " إزْرًا " هو الصنم ، وأزْرًا بالفتح أيضا"⁴.

وهذه من القراءات التي اعتمد فيها ابن جني الاختصار والإيجاز .

وقال تعالى: " طَلَعَهَا قَنَوَانٌ"⁵.

ومن ذلك قراءة الأعرج: " قَنَوَانٌ"⁶.

وبعلل ابن جني نحوياً هذه القراءة ويبين وجهها لغوياً من خلال قوله: " ينبغي أن يكون قَنَوَانٌ هذا

اسماً للجمع غير مكسر، بمنزلة رَكْبٌ وسيبويه والجامل والباقر وذلك أَنَّ فَعْلان ليس من أمثلة الجمع"¹.

¹ المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص: 331 ، البحر المحيط ، ج 4 ، ص: 164 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، ص: 45

² البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص: 164 ، الكشف ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص: 22:

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 331 ، البحر المحيط ، ج 4 ، ص: 164 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 332 .

⁵ الأنعام: 99

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 332

ويقول ابن جنّي: "قرأ أبي علي فارسي في بعض كتب أبي زيد قوله ²:

خَلَعَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرَ الْعِزَّاءِ وَعَرَاعِرِ الْأَقْوَامِ .

ويرى ابن جنّي تقدير هذا من خلال: "قول أبو زيد عراعر جمع عرعة، فقلت لأبي علي: كيف يكون هذا وأوله مضموم" ³.

ويرى ابن جنّي: "أنّ أبي زيد يعني إنّه اسم للجمع يفيد مفاد التكسير" ⁴.

اعتمد السماع اللغوي من شعر العرب معتمداً في ذلك القياس اللغوي والتقدير لتبيين الأصل المراد.

قال تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ" ⁵.

ومن ذلك قراءة ابن يعمر: "وخلّقهم" ⁶ بجزم اللام .

وبين ابن جنّي معنى هذه القراءة وجهها اللغوي والفقهي بقوله: "أي وخلق الجن، يعني ما يخلقونه: ما يأفكون فيه ويتكذبونه" ⁷، ويقول كذلك: "جعلوا له الجن شركاء، وأفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عنى بذلك الأصنام ونحوها" ¹.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 332 ، و يريد هنا بجمال : ذو الجمال و الباقر ، هو جماعة البقر، المعجم الوسيط ، المصدر السابق مادة : جمل ، و بقر .

² لسان العرب ، مادة : عرعر .

³ المحتسب ، المصدر السابق، ص : 332

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ الأنعام : 100 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق، ن ص ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 194 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 333 .

ويحمل معناها الفقهي واللغوي على قراءة ابن عباس وعمر رضي الله عنهما: "وحرفوا له"².

بالحاء والفاء.

و " خرقوا له بنين وبنات بغير علم " أي اختلفوا وافترقوا ويقال خرق الأمل وخلقه واختلقه واحترفه واقتلعه وافترزه وخرصه وارد قاله الفراء هذا³.

ويقول ابن جنّي و "هذا شاهد بكذبهم"⁴.

ومثله قوله تعالى: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"⁵، وفي هذا التوجيه نوع ابن جنّي بين القياس والافتراض الذي كان يميل إليه الأحناف في مذهبهم الفقهي ويظهر هذا كذلك من خلال قول ابن جنّي في تفسير معنى هذه الآية بقوله: "وأصله من الانحراف أي الإنعزال عن القصد، وكلاهما من حرف الشيء لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وهو أيضا معنى القراءة الجماعة (خرقوا) بالحاء والقاف ومعنى الجميع كذبوا"⁶.

يعتمد ابن جنّي في توجيهه هذه القراءة وفي توضيح وجهها التفسير الفقهي في محاولة تبين معنى الآية معتمدا في ذلك إجراء القياس الافتراضي كمساعد لتبيين معنى صيغة "حرفوا" وذلك في قراءة ابن عباس وعمر والتي كان للمعنى الذي حملته في سورة النساء بمعنى العدول عن القصد علاقة بمعنى

¹المصدر نفسه ، ن ص .

² المصدر السابق ، ن ص ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 194 .

³البحر المحيط ، أبي الحيان ، المصدر السابق ، ج6 ، ص : 197 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 332 .

⁵ النساء : 46 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 333 .

الذي أخذته القراءة المشهورة وبصفة عامة كتاب المحتسب كما يظهر كان كتاب في تبیین وجوه شواذ القراءات في العربية وجمع هذه الشواذ وانتصر لها ودافع عنها باعتباره يمس كتاب الله (القرآن) وتفسير علما لصيقا ويتمشى والقرآن الكريم ولذلك كان الفقه حاضرا في كتاب المحتسب والتفسير الفقهي بعناصره حاضر.

2-4- نماذج من سورة الأعراف:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" مَذْعُومًا مَذْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ "	18	"مَذُومًا مَذْحُورًا "	ج 1 ، ص : 353
" فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا "	20	" سَوَاتِهِمَا "	ج 1 ، ص : 357
"وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً "	34	" فَإِذَا جَاءَ أَجَالُكُمْ "	ج 1 ، ص : 357
" سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ "	145	" سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ "	ج 1 ، ص : 380

ج 1 ، ص : 373	" أُصِيبُ مِنْ أَسَاءَ "	156	" أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ ^ط "

المنهج النحوي من خلال الآية: (18، 20، 34 ، 145، 156) من سورة الأعراف

قال تعالى: " قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا^ط لَمَنْ تَبِعَكَ "¹.

ومن ذلك قراءة الزهري: " مَذْمُومًا مَذْحُورًا "².

وعلة ذلك حسب ابن جنِّي: " تخفيف الهمزة من مذعوما كقولك في مسئول: مسئول "³.

وقال كذلك: " أف يكون في ذمته أذيمة ؟ قيل: لو كان منه مذميا كمبيع ومكيل فإن قيل: فقد حكى الفراء هو

بر مكول ورجل مسود به، وقد خالط في مهيب: مهوب "⁴.

ويحكم على هذه القراءة بطريقة غير مباشرة بالشذوذ بقوله: "وهذا من الشذوذ "⁵.

ومنزلة من: " منزلة (قُصِيَا) فلا يحسن الحمل عليه، وإنما ذكرناه لئلا يورده من يضعف نظره وهو يظنه

طائلا فلا تحفل به "¹.

¹ الأعراف: 18

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 353 ، إتحاف الفضلاء ، ص : 222 ، مختصر شواذ في القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، ص : 49.

³ المحتسب ، المصدر السابق ج 1 ، ص : 353 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 353 ، وقد ذكره ابن جنِّي في باب الخصائص في حذف الهمز و إبداله و يقول في ذلك: " قد جاء هذا الموضع في النثر و النظم جميعا و كلاهما غير مقيس عليه إلا عند الضرورة "

الخصائص، المصدر السابق، ج 3 ، ص : 144

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 353 .

قال تعالى: "وَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"².

ومن قراءة الحسن وأبي جعفر شيبه والزهرى: "سَوَّاتِهِمَا"³.

وهي في معناها: "تهافت عنهما الناس، فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر"⁴.

ويبين ابن جنّي وجه هذه القراءة فيقول: "حكى سيبويه ذلك لغة قليلة، والوجه في تخفيف نحو ذلك أن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها فتقول في تخفيف نحو ذلك، أن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها فتقول في تخفيف نحو السوءة: السّوة وفي تخفيف الجيئة: الجية، ومنهم من يقول: السّوة والحيّة هو أدون اللغتين وأضعفهما ومنهم من يقول في المنفصل من أو أوت وفي أبو أيوب أبو يّوب وهو في المنفصل أسهل منه في المتصل كما يوهم "سوة" أنه من مضاعف الواو نحو القوة والحوّة"⁵. يبين ابن جنّي بأنّها من الشاذ بقوله: "ذلك لغة قليلة"، وعلته في ذلك التخفيف وأمثلة كثيرة في كلام العرب مثل ما ذكر بحيث يمكن القول في السوءة: السّوة وفي الجيئة: الجية .

ويعتبر ابن جنّي هذا من الضعف وهذا من المتصل أمّا المنفصل وهي من مثال: أو أنت :أوّنت وفي أبو أيوب:أبو يّوب "⁶.

¹المصدر نفسه ، ص : 353

² الأعراف : 20 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 353

⁴ الكشف ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 433 .

⁵ المحتسب، المصدر السابق ، ص : 354 .

⁶ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 353 .

ورأى ابن مجاهد قرأ: "سوء تهما" ¹.

ويرى في تعليلها أنّ: "وجه ذلك أنّ السوءة في الأصل فعلة من ساء يسوء كالضربة والقتلة فأتاها التوحيد من قبل المصدرية التي فيها، فإن قلت: "إنّ الفعلة واحدة من جنسها والواحد معرّض للتنثية والجمع" ².

قال تعالى: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ" ³.

ومن ذلك قراءة ابن سيرين: "فإذا جاء آجالهم" ⁴.

ويرى أبو الفتح أنّ: "هذا هو الظاهر، لأنّ لكل إنسان أجلا فأما إفراد الأجل فلأنّه جعله جنسا أو لأنّه مصدر أتته الجنسيّة من قبل المصدرية، وحسن الإفراد لإضافته أيضا إلى الجماعة، ومعلوم أنّ لكل إنسان أجلا" ⁵.

فهذا الانتقال من قراءة الجماعة "آجلهم" إلى الشاذة "آجالهم" وعلة في ذلك الإفراد وهذا باعتبار الجنسيّة آتية من المصدرية، وابن جنّي يستحسن إضافة هذا الإفراد وحتى إلى الجماعة ويستحسنه من هذا الجانب بحيث يمثل في هذا بقول مسيب بن زيد مناة: في قوله ⁶:

فِي حَلَقِكُمْ عَظَمَ وَقَدْ شَحِينَا .

¹ المصدر السابق، ص: 354

² المصدر نفسه ، ص: 354 .

³ الأعراف: 34 .

⁴ البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج4 ، ص: 293 ، المحتسب ، المصدر السابق، ج1 ، ص: 357 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج1 ، ص: 445 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 357 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 357 ، و لسان العرب ، مادة : شجا

ويرى في هذا أنّ لكل إنسان حلّقا، وتقدم على هذا: أرس القوم صُلَّب، أي رؤوسهم صلاب ويجوز أن تقول رأس القوم صلاب حملا على المعنى¹.

واعتماد بعض الطرق الاستدلالية اللغوية في تبیین وجه هذه القراءة بحيث يستحسن ما ظهرت ما جاءت عليه هذه القراءة مستندا في ذلك على ما ورد في السماع اللغوي من شعر العرب والبعض من كلامهم معتمدا طريقة القياس على النظر بحيث ظهر هنا منهجه مشابها في بعض جوانبه للغويين الآخرين وربما سبب في ذلك ما ذهب إليه من اختصار وإيجاز وقوله يدل على ذلك بحيث يقول: "وندع الإطالة بالشواهد اشفاقا من الإطالة التي سئلنا اجتنابها على ما بينا في صدر الكتاب"².

وفيما يظهر خصوصية منهجه كانت تظهر من خلال ثنايا تعليقاته وإيراد شواهد التي في بعض الأحيان نلمس فيها نوع من الإطالة والبعد عن الاختصار والإيجاز ولذلك وفيما يبدو هذا ما جعل منهجه يظهر نحويا خالصا في بعض المواضع التي يعتمد فيها الاختصار مثل ما نجده عند بقية اللغويين .

قال تعالى: "سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ"³.

ومن ذلك قراءة الحسن أيضا: "سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ"⁴.

¹ المصدر السابق، ج1، ص: 357 .

² المصدر نفسه، ج1، ن ص .

³ الأعراف: 145 .

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 370، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . البحر المحيط، ج4، ص: 389، الكشف، المصدر السابق، ج2، ص: 493 . و قول ابن جنّي ظاهر هذه القراءة مردودة ثم يبحث لها عن وجه في العربية حتى ولو بشق الأنفس من التعليقات الطويلة فيما يبدو و فيما يبدو ابن جني نوع في

وفي حكمه عليها يقول: "وظاهر هذه القراءة مردودة"¹.

وكذلك " لأنه سأفعلكم من رأيتُ، وأصله سأرئيكُم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء فصارت سأريكم، قالوا: وإدًا لا وجه لها، ونحو من هذا قراءته أيضا: (ولا أدراؤكُم به)، إلا أن له وجهًا مّا وهو أن يكون أراد: سأريكم، ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوا، فصارت (سأوريكم) وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثرًا ونظمًا، فمن المنثور قولهم: بينا زيد قائم جاء عمرو إنما يراد بين أوقات زيد قائم جاء فلان، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً"².

يعلل ابن جني صيرورة سأوريكم على هيئة سأوريكم وبين التغيرات التي طرأت عليها في كل محطة من هذه المحطات وسبب ذلك التغير الذي طرأ عليها وهو يقر بصالحية هذا في كلام العرب من شعر ونثر.

ومن ذلك قول عنترة بن شداد³:

يَنْبَأُ عَ مِنْ ذِفرَى غَضُوبِ حَسْرَةٍ .

وتقدير في هذا: "ينبع ، فأشبع فتحة الباء، فنشأت عنها ألف كما ترى"⁴.

المصطلحات و فقط بين الضعيف و المردود و القليل في العربية و الضئيل فكلها هدف واحد و تسمية تتدرج وتعبر عن الشاذ من القراءات لأن الكتاب صرح بتضمينه الشاذ من القراءات.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 370 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر السابق ، ن ص . شرح القصائد السبع الطوال ، ص : 332 و هي من قصيدة سبق الاستشهاد به

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

وكما يحمله على قول أبو علي الفارسي سنة إحدى وأربعين بـحيث: " قال الأصمعي مع ذلك يقال: إنباع الشجاع انبيعا إذ انخرط ماضيا من الصّف " ¹.

ويقول كذلك: "أخبرنا أبو علي عن أحمد بن يحيى أنّه قال: يقال جيء به من حيث وليس " ².

ويورد كذلك الفراء عن بعضهم أنّه سمعه يقول: " أكلت لحما شاة، وهو يريد لحم شاة فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفا وهو اعتراض بين المضاف والمضاف إليه على ضيق الوقت وقصره بينهما ومنه المسموع عنهم في الصياريف والدارهيم " ³.

ويستدل بقول ما أنشده أبو علي الفارسي ⁴ :

وَأَنْتِي حَيْثُمَا يَسْرِي الْهَوَى بَصْرِي
مِنْ حَوْثُمَا سَلَكُوا أَتْنِي فَأَنْظُرُ.

وتقدير ذلك يريد: " فأنظره فأشبع الضمة فأنشأ عنها واوا، هكذا رواه أبو علي يسرى من سریت، ورواه ابن الأعرابي: بشرى، بالشين معجمة، أي يقلق ويحرك الهوى بصري وما أحسن هذه الرواية وأطرفها " ⁵.

وقال آخر ⁶:

عَيْطَاءُ جَمَاءِ الْعِظَامِ عُطْبُولٌ كَأَنَّ فِي أَنْيَابِهَا الْقَرْنَفُولُ.

وبقدر ابن جني ذلك : " القَرْنَفُل " ¹.

¹ المصدر نفسه ، ص : 371 .

² المصدر السابق ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر السابق ، ن ص .

⁶ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 126 .

ويرى فيما يرى ابن جنّي أنّ استحسان هذا في النثر والشعر ويمكن من خلاله إعطاء صورة جديدة لهذه القراءة بحيث: "يتأول لقراءة الحسن: "سأوريكم " أراد سأريكم وأشبع الضمة الهمزة فأنشأ عنها واوا، وهو أبو سعيد والمأثور من فصاحته ومتعالّم إعرابه وعربيته فهذا مع ما فيه من نظائره أمثل أن يتلقى بالردّ صرفاً غير منظور له ولا مسعى في إقامته وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع فمكن الصوت وزاد إشباعه واعتماده فألحقت الواو فيه لما ذكرناه².

ويؤول ابن جنّي "سأريكم " وهذا ما كان معتمداً عند الفقهاء وخاصة الحنفية فتأويل طريق للوصول إلى الأحكام الفقهية القطعية وذلك لتبيين الأقسام المحتملة التي يمكن أن يتيسر منها القسم المناسب وهذا المقدر من المستعمل الذي كانت علته إشباع الضمة فأنشأ عنها واو ومن ذهب إلى هذا أبو سعيد وكما يقر ابن جنّي بفصاحته وعلو كعبه في العربية مما يريده من قطع الشك فيما ذهب إليه ولتوثيق صلة ما ذهب إليه.

ويرى في هذا القبول واستحسان من رفضه وأمّثل من أن يلقي هكذا ويرد، بحيث ما فائدة من رده وعدم قبوله؟. وجانب الفقه الذي يستند إليه والذي يزيد من احتمال الواو هو أنّ ما تقره الآية فقهياً هو موضع "وعيد " بحيث يتوعد الله الفاسقين فكان للصوت درجة خاصة به ولدرجات الأصوات معنى في القرآن الكريم لذلك زاد فيه ومكّنه أكثر من المواضع الأخرى .

قال تعالى: "هُدُنَا إِلَيْكَ"³.

ومن ذلك قراءة أبي وجزة السعدي: "هُدُنَا إِلَيْكَ"¹.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 371 .

² المصدر السابق. ن ص .

³ الأعراف: 156

وقال أبو الفتح : " أما هدنا بضم الهاء مع الجماعة ففتبنا، والهود: جمع هائد، أي تائب وأما هدنا بكسر الهاء فهذه القراءة فمعناه انجذبنا وتحركنا يقال: هادني يهيدني هيدا أي جذبني حركني، فكأنه قال: إنا هدنا أنفسنا إليك وحركناها نحو طاعتك ² .

مما يلاحظ فتغير في الحركة تغير في الدلالة، بحيث أن لإبدال الضمة بالكسرة كان فيه تغير في معنى الآية كما ذكر .

ومثال ذلك قول الشاعر ³ :

ألمّا عليها فانعياني أنظرا أ ينصتها أم لا يهيدّها ذكرى.

وبقدرها ابن جني بقوله : "أي: أم لا يهيجها يهزمها ذكرى، ومنه قولهم في زجر الإبل هيد، أي أسرع ⁴ .

وقال ذي الرمة ⁵ : إذا إحداهن بهيد هيد صفحن للأرز بالخود.

وما يلاحظ في هذا اعتماده تفسير الفقهاء في تبين وجه هذه القراءة في العربية .

قال تعالى: "أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ" ⁶ .

قال تعالى : "أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ" ⁷ .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 372 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 401 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 372 .

³ المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 372 .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 372 .

⁵ لم نعثر على هذا البيت في ديوان ذي الرمة ، المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 372 .

⁶ الأعراف : 156 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، 373 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 402 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ص : 42

ويفضل ابن جنّي هذه القراءة على القراءة المشهورة التي هي بالشين بقوله: "هذه القراءة أشد إفساحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي من أشاء"¹. ويصفها بالفصاحة من القراءة المشهورة والتي يعطيها تسمية الفاشية والتي هي بمعنى المنتشرة .

والعلة في هذا التفضيل لأنّ: "العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له وهو الإساءة والقراءة الشاذة لا يتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له، وأنّ ذلك شيء يرجع إلى الإنسان وإن كنا قد أحطنا علماً بأنّ الله تعالى لا يظلم عباده وأنّه لا يعذب أحداً منهم إلّا بما جناه وإجترمه على نفسه إلا أنّ لم نعلم ذلك من هذه الآية بل من أماكن غيرها"².

ويستدرك قوله بالتفسير هذه القراءة بقوله أنّ: "وظاهر قوله تعالى (من أشاء) بالشين المعجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنّه يعذب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسيئ ، نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله وهو حسبنا وولينا"³. ويرى صاحب البحر المحيط أنّه: "استئناف إخبار عن عذابه ورحمته، ويندرج في قوله أصيب به من أشاء، أصحاب الرجفة وقيل العذاب هنا هو الرجفة ومن أشاء أصحابها"⁴.

ويلاحظ أنّه اعتمد في تبين وجهها على التفسير الفقهي وهذا التفسير يشترك معه غيره من تفاسير من أمثال تفسير الأندلسي في محيطه وتفسير ابن كثير وتفسير ابن مجاهد ويعتمد في تبين وجهها التعليل الفقهي لتوضيحها وتبيين الفرق بينها وبين القراءة المشهورة .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، 373

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 373 .

³ المصدر نفسه ، ص: 373 .

⁴ البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج4 ، ص: 402 .

المبحث الثالث: المنهج النحوي من خلال نماذج من سورة الأنفال ومريم وإبراهيم والنجم

3-1- نماذج من سورة الأنفال:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ "	11	" رِجْسَ الشَّيْطَانِ "	ج 1 ، ص : 388
" أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ "	24	" بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ "	ج 1 ، ص : 391
" فَشَرَّدَ بِهِم مِّنْ خَلْفَهُمْ "	57	" فَشَرَّدَ بِهِم مِّنْ خَلْفَهُمْ "	ج 1 ، ص : 396

المنهج النحوي من خلال الآية : (11 ، 24 ، 57) من سورة الأنفال .

قال تعالى وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ¹

من ذلك قراءة أبي العالية : " رِجْسَ الشَّيْطَانِ " ² بالسين .

¹ الأنفال : 11

² المحتسب، المصدر السابق ، ص : 390 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 117 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 469 .

يرى أبو الفتح أنّ: "كل شيء يستقذر عندهم فهو رجز الشيطان، كالخنزير ونحوه"¹.

ويقصد بـ "عندهم" جماعة الفقهاء فيما يبدوا وهم الذين يدرجون في تفسيراتهم الخنزير وأمثاله ضمن ما هو رجز وما هو القذارة .

وهناك من يرى أمثال علي أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى قال: "الرجس في القرآن العذاب"².

وهناك من قال بعضهم أراد به الصنم، وقال: وكل عذاب أنزل على قوم فهو رجز ووسواس الشيطان رجز.

ويرى ابن جنّي أنّ الدلالة في القراءة الشاذة هي نفسها القراءة العامة لقوله: "أنّ قراءة الجماعة رجز من الشيطان معناه كمعنى رجز الشيطان"³.

حاول من خلال التعليل الفقهي تبیین وجه هذه القراءة رغم التغير في الصيغة بابدال حرف مكان حرف آخر ولكن هذا التزاحم في الحروف أعطى للكلمتين المعنى نفسه .

ومادامت هذه القراءة الشاذة والمشهورة لهما نفس المعنى رغم تغير في الصيغة اللفظية فهذا دليل على أنّ القراءة الشاذة كانت داعمة للقراءة المشهورة .

ويفسر هذه القراءة الشاذة بقوله: "ورجز الشيطان : ووسوسته وهمزه ونحو ذلك من أمره والرجز : عبادة الأوثان ويقال هو إثم الشرك كله"⁴.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص :390

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

والتزاحم والذي كان بين الحروف المتقاربة مثل ما حدث بين السين والزاي وقال كذلك: " وكل عذاب أنزل على قوم فهو رجز ووسواس الشيطان رجز "¹، ويقول ابن جنّي في الخصائص من باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان آخر بقوله: "اعلم أنّ هذا الباب لاحق بما هو تال له فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين (كل واحد منهما قائم برأسه) لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإنّ دلّ دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة"².

قال تعالى: "يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" ³

ومن ذلك قراءة الحسن والزهري: "بين المر وقلبه"⁴.

وبعلل نحويًا: "وجه الصنعة في هذا أنّه خفف الهمزة في المرء وألقى حركتها على الراء قلبها فصارت بين المرّ وقلبه، ثم نون الوقف فأسكن وثقل الراء على لغة من قال في الوقف: هذا خالد وهو يجعلّ ثم أطلق ووصل على نيّة الوقف، فأقر التنقيط بحاله على إرادة الوقف"⁵.
علل ابن جنّي فيما سبق هذا نحويًا ويحمّله على قول ما أنشده أبو علي بقوله⁶:

ببازلٍ وجنّاءٍ أو عيَهْلٍ

¹ المصدر السابق، ن ص .

² المصدر نفسه، ص :82.

³ الأنفال : 24 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 391 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 482 ، الكشف ، ج 2 ، ص : 121 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 391 .

⁶ المصدر السابق، ص : 391 ، وهذا البيت من أجوزة طويلة لمنظور بن مرثد الأسدي ، المحتسب و هامشه ج 1 ، ص : 391 ، وشرح شواهد الشافية ، ج 4 ، ص : 246

ويقدر ابن جني ذلك: "العيهل فنوى الوقف فتقل، ثم أطلق ويريد الوقف"¹.

ويقول ابن جني ما أقرأناه على أبي بكر محمد بن الحسن أبي العباس أحمد بن يحيى²:

ومُقلتان جَوْنَتَا المَكْحَلَّ .

ويقدر ذلك ب: "المكحل"³.

وبحمله كذلك على قول الشاعر⁴ :

لَيْتَ شَبَابِي عَادَ لِلْأَوَّلِ وَغَضَّ عَيْشِي قَدْ خَلَا أَرْغَلٌ .

ويقدر ذلك: "فيها أشياء من هذا الطراز كثيرة، فكذاك المر على هذا"⁵، ويرى أن: "قراءة الجماعة من

بعد أقوى وأحسن، لأن هذا من أغراض الشعر لا القرآن"⁶.

ومن ذلك فقرة الجماعة أفضل من القراءة الشاذة وبالتالي فقرة الشاذة داعمة للقراءة المشهورة .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 392 . وقال سيبويه في هذا : " وأما تضعيف قولك: هذا خالد ،وهو يجعل، و هذا فرج حدثنا بذلك الخليل عن العرب ،و من ثم قالت العرب : في الشعر في القوافي سببا وتريد السبب ،و عيهل تريد العيهل لأنّ التضعيف لما كان كلامهم في الوقف أتبعون الياء في الوصل و الواو على ذلك كما يلحقون الواو و الياء في القوافي فيما لا تدخله واو ولا ياء في الكلام و أجروا الألف مجراها لأنها شريكها في القوافي ،و يمم بها في غير موضع التنوين و يلحقونها في غير التنوين ،فألحقوها بهما فيما ينون في الكلام و جعلت سبب كأنه مما لا تلحقه الألف في النصب إذا وقفت " .الكتاب ، ج2 ، ص : 282 .

² المحتسب ، ن ص .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 392 .

⁴ شرح شواهد الشافية ، المصدر السابق ، ج4 ، ص : 246 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 392 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

قال تعالى: "فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"¹.

ومن ذلك ما يروي عن الأعمش أنه قرأ: "فَشَرَّدُ مِنْ خَلْفِهِمْ"².

قال أبو الفتح في هذا: "لم يمرر بنا اللغة تركيب (ش ر ذ) ، وأوجه ما يصرف إليه ذلك أن تكون الذال بدلا من الدال، كما قالوا: رحم خردال وخرادل، والمعنى الجامع لهما أنهما مجهوران ومتقاربان"³.

وهو يحكم عليهما بشكل غير مباشر بالشذوذ وجزمه على عدم مرور هذا تركيب عليه في اللغة وما يمكن أن يذهب إليه هو إبدال دال ذال، وعدد في ذلك أمثلة على منوال وعلة اللغوية هي التقارب اللغوي وهذا ما ورد في باب الحروف المتقاربة في الخصائص وبيّن وجه هذه القراءة من علة إبدال حرف مكان حرف للتشابه والتقارب الحادث بينهما .

3-2- نماذج من سورة يونس ومريم:

* نماذج من سورة يونس

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ "	14	" لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ "	ج 1 ، ص : 329
" وَأَرْيَيْتَ "	24	" و أُرَيْتَ " و " إزْيَأْتِ "	ج 1 ، ص : 413

¹ الأنفال : 57 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 396 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

ج 1 ، ص : 432	" الْحَقُّ هُوَ ؟ "	53	"وَيَسْتَنْبِثُونَكَ أَحَقُّ هُوَ" "
ج 1 ، ص : 437	" فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ "	96	" فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ بِبَدْنِكَ "

المنهج النحوي من خلال الآية : (14 ، 24 ، 53 ، 96) من سورة يونس

قال تعالى : " : ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن شعيب: قال سمعت يحيى بن الحارث يقرأ : " لَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " ² بحيث جاءت بنون واحدة.

يقول ابن جني : " فقلت له ما سمعت أحدا يقرأها، قال: هكذا رأيتها في مصحف الإمام عثمان وأيوب عن يحيى عن ابن عامر : " لَنْظُرَ " بنون واحدة مثله ³ .

وبعل ابن جني هذا ظاهريًا بقوله : " وظاهر هذا أنه أدغم نون ننظر في الظاء، وهذا لا يعرف في اللغة ويشبه أن تكون مخفأة فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الإخفاء إلا أن يظنوه مدغما، وذلك أن النون لا تدغم في ستة أحرف ويجمعها قوله: يَرْمُلُونَ " ⁴.

¹ يونس : 14

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 429 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص : 131 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 429 .

⁴ المصدر نفسه، ن ص .

وعدم وجود مثل هذا في اللّغة يعتبر كحكم منه وغير مباشر على شذوذ هذه القراءة: ويحتمل ابن جنّي تعليل آخر لوجه هذه القراءة باعتبار ما جاءت عليه هو ظن من القراء وليس بحقيقة فحقيقة هي أنّ النون مخفاة وهذا ما تعود عليه القراء من اعتبار الإخفاء في كثير من الأحيان إدغام ودليل ما ذهب إليه أنّ النون لا تدغم إلّا في ستة حروف المذكورة الياء والراء والميم واللام والواو والنون وهذا إن دلّ، دلّ على جانب من ثقافة ابن جنّي هو علمه بعلم القراءة والقراء.

وقال تعالى: "يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ"¹.

ومن ذلك قراءة الأعرج: "وَازَّيَّنَتْ" وهي أيضا قراءة نصر بن عاصم وأبي عالية والحسن بخلاف وقتادة وأبي رجاء بخلاف الشعبي وعيسى الثقفي قرأ: "وَازَّيَّنَتْ"² لأبو عثمان التّهدي.

ويبين معناها في هذا بقوله: "أَمَّا (أَزَيْنَتْ) فمعناه صارت إلى الزينة بالنبت، ومثله من أفعل أي: صار إلى الحصاد والجزار إلّا أنّه أخرج العين على الصحة وكان قياسه أزانّت مثل أشاع الحديث وأباع الثوب: أي عرضه للبيع"³.

وأما القسم الثاني الذي وردت به أو الوجه الثاني: "أَزِيَّانَتْ"⁴.

ويريد من هذا فعالت وأصله ازيانّت مثل: ابيضّت واسودت إلّا أنّه كره التقاء الألف والنون الأولى ساكنتين وحرك الألف فانقلبت همزة كقول كثير⁵:

¹ يونس: 24.

² المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 431، الكشف، المصدر نفسه، ج2، ص: 232، البحر المحيط، المصدر السابق، ص: 143.

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 431، البحر المحيط، المصدر السابق، ج5، ص: 144.

⁴ المصدر نفسه، ص: 413.

⁵ ديوانه: 323.

وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سَوْدُهَا فَتَجَلَّلَتْ بِيَاضًا وَأَمَّا بَيَاضُهَا فَارْهَامَتْ.

فهو علل لغويا هذا الوجه الذي وردت به كلتا الحالتين، ودّل عليها من كلام العرب شعره ونثره.

قال تعالى: "يَسْتَتِيغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ"¹.

ومن ذلك قراءة الأعمش: "أَلْحَقُّ هُوَ ؟"².

ويعللها نحويًا: "اعلم أَنَّ الأجناس تتساوى فائدتها معرفتها ونكرتها في نحو هذا، تقول:ثق بأمانٍ من الله

وهذا حق وهذا الحق وهذا الصدق"³.

ومثال ذلك كذلك: "خرجت فإذا بالباب أسد وإذا بالباب الأسد، لمعنى واحد ووضع اللفظ مختلف وسبب

ذلك كون الموضع جنسا"⁴.

وكان التعليل هنا مختصر والاستشهاد كذلك وهذا يمكن البرهنة عليه من خلال قوله: "وقد تقدم نحو

هذا"⁵.

وقال تعالى: "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ"⁶.

¹ يونس : 53 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 432 ، الكشف ، ج 2 ، ص : 241 .

³ المحتسب ، المصدر السابق، ص : 432 .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 437 .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ يونس : 96 .

ومن ذلك قراءة أبي بن كعب ومحمد بن السَّمِيع ويزيد البربري: "قَالِيَوْمَ نُنَحِّيكَ"¹ بالحاء ويرى أبو الفتح في على صيغة: "نفعلك من الناحية ،أي نجعلك في ناحية من كذا ،ويقال نحوت الشيء أنحوه ،إذا قصدته ،ونحييت الشيء فنتحي :أي باعدته فتباعد فصار في ناحية"².

ويروي قول رؤية في جماعة من أصحابه مما يؤخذ عنه ،وقد أقبلت عجوز منصرفة عن السوق وفعال الشاعر فيها³:

تنحّ للعجوز عن طريقها إذ أقبلت رائحة من سوقها

دعها وما النحوي من صديقها.

ويقول البغدادي في هذا : " على أنّ صديق فيه جمع لأنّ من للتبعيض، و لا يصح لأن يكون النحوي بعض الأصدقاء ،كأنّه قال :دعها فما النحوي من أصدقائها ،كما تقول :دعني فما أنت من أشكالي وفعيل من صيغ الجمع كالكلب والعبيد"⁴.

وهي كذلك على مثال ما قال الحطيئة لأمه⁵ :

تَنَحَّى فَأَفْعُدِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 437 ، الكشف ، المصدر السابق ، ص : 252 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص : 189

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 437 .

³ و يقصد به ابن جني و هو الراوي .

⁴شرح شواهد الشافية ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 138 .

⁵المصدر نفسه، ص.

ويرى ابن جنّي أنّ العرب : " استعملت مصدر نحويت الشيء نحوا ظرفا كقولك زيد نحوك :أي في شفق وناحيتك " ¹.

في هذا ما أنشده أبو الحسن ²:

تَرْمِي الْأَمَاعِيزَ بِمُجْمَرَاتٍ بِأَرْحُلِ رُوحٍ مُحَنَّبَاتٍ .

يُخَدُّ بِهَا كُلُّ فَتَى هَيَّاتَ وَهِنَّ نَحْوَ الْبَيْتِ عَامِدَاتٍ .

الأماعيز وهي ما غلظ من الأرض ،والوجه فيها الأماعز وكذلك عامدات معناها القاصدات جهة البيت وهي حال لضمير المسكن في الطرف .

ويرى ابن جنّي أنّ : " نصب عامدات على الحال لتمام الكلام من قبلها وقد جمعوا نحوا على نُحُو فأخرجوه على أصله " ³.

وقال القناني يمدح الكسائي ⁴ :

أَبَى الذَّمَّ أَخْلَقَ الْكَسَائِيَّ وَانْتَمَى بِهِ الْمَجْدُ أَخْلَقَ الْأَبُو السَّوَابِقِ .

اهتم في الموضع بتبيين هذه القراءة من خلال التماس لوجه " النحو " وما يقابله في كلام العرب واعتمد على الشعر وعلى القياس والسماع والتعليل اللغوي والملاحظ مثل ما سبق وأن ذكرنا الاختصار في تبين وجهها وهذا ما يلمس بصفة عامة في توجيه سور في آخر الكتاب هذا وخاصة السور القصار .

¹ المحتسب ، المصدر السابق، ص :438 .

² الخصائص ، المصدر السابق ، ص :34 ، لسان العرب، المصدر السابق ، مادة " نحو "

³ المحتسب ، المصدر السابق، ص :438 .

⁴ تاج العروس المصدر السابق ، مادة : "أبو " .

* نماذج من من سورة مريم

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا "	02	"ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ "	ج 1 ، ص : 81
يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ ^ط "	06	" يَرِثُنِي وَارِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ "	ج 1 ، ص : 82
" فَأَجَاءَهَا "	23	" فَأَجَاها "	ج 1 ، ص : 83
" فإِذَا تَرَيْنَ "	26	"فإِذَا تَرَيْنَ " "تَرَيْنَ "	ج 1 ، ص : 85
" وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَأْ وَرَعِيَّا "	74	" وَرِيا "	ج 1 ، ص : 84

المنهج النحوي من خلال الآية (02، 06، 23 ، 26، 74) من سورة مريم

قال تعالى: "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيًّا"¹.

ومن ذلك قراءة الحسن أيضا: "ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ"².

ويقول أبو الفتح: "فاعل ذكر ضمير ما تقدم، أي: هذا المثلُّ من القرآن الذي هذه الحروف أوله وفاتحته يُذَكِّرُ رَحْمَةً رَبِّكَ"³.

وهي في معناها محمولة على قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا"⁴.

أما "ذكر رَحْمَةً رَبِّكَ" فتقدير حسب ابن جني: "القرآن ذكر رحمة ربك"⁵ وهناك تقدير آخر: "مما يُقَصُّ عليك أو يتلى عليك"⁶، و"ذكر رحمة ربك عبده زكريا" وحاول تبين وجهها من خلال موضعها في الآية وتوجيهها اعتمادا على ما ورد في القرآن.

قوله تعالى: "يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ" وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا"⁷.

ومن ذلك قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس عليهما وابن يعمر وأبي حرب بن أبي الأسود والحسن والجحدري وقتادة وأبي نهيك وجعفر بن محمد: "يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ"⁸.

¹ مريم: 2.

² المحتسب، المصدر السابق، ج 2، ص: 81، الكشاف، المصدر السابق، ج 2، ص: 502.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص: 81.

⁴ الإسراء: 09.

⁵ المحتسب، المصدر السابق، ن ص.

⁶ المصدر نفسه، ن ص.

⁷ مريم: 06.

⁸ المحتسب، المصدر السابق، ص: 82، مختصر في شواذ القرآن: 87.

ويقول صاحب البحر أنه: "استعمل من للتبعيض، للتعدية لأن آل يعقوب ليسوا كلهم أنبياء ولا علماء"¹.

ويذهب ابن جني إلى أنه من ضرب العربية غريب ومعناه التجديد"².

ويلمس في هذا حكم غير مباشر على هذه القراءة بالشذوذ وبدى فيها غرابة وبعد عن العربية .

ويقدر معناه بقوله: "أنت تريد فهب لي من لدنك وليا يرثني منه أو من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثا"³.

وهي على مثال قوله تعالى: "لهم فيها دار الخلد"⁴، وهي في نظر ابن جني: "نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا"⁵.

ومثال ذلك قول الأخطل⁶:

بِنَزْوَةٍ لِّصٍّ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْعَبٌ بِأَشْعَثَ لَا يُفْلَى وَلَا يَقْمَلُ .

ومصعب هو نفسه الأشعث فكأنه استخلص منه أشعث وكذلك قوله⁷:

لَاتَ مِنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةٍ أَوْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ .

¹ البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 165 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 82

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 82 ، ديوانه ، ص : 200 .

⁷ ديوانه : 242 ، البيت كاملا وور د في الخصائص ، ج2 ، ص : 475 ، وورد في باب التجريد في العربية :

وفي هذا الموضع يرى ابن جنّي: "وهي نفسها طائف الأهوال"¹.

ويقدر ما هو غريب فهو لطيف حسن في العربية هذا ما يراه ابن جنّي قوله: "فإنّه موضع غريب لطيف وطريف"².

قال تعالى: "فأجآها"³.

ومن ذلك قراءة شبيل بن عزة: "فأجآها"⁴ مثل فألجأها .

قال أبو الفتح: "رواها ابن مجاهد أيضا أنّها من المفاجأة إلا أنّ ترك همزها إنّما هو بدل لا تخفيف قياسي"⁵.

ويرى ابن جنّي أنّه: "قد يجوز أن تكون القراءة على التخفيف القياسي إلا أنّه لطفت لضعف الهمزة بعد الألف، فظنّها الفراء ألف ساكنة مدت"⁶.

لا تمنا ذكر جبير أم من جاء منها بطائف الأهوال .

ويريد ابن جنّي في التجريد: "أنّه فصل من فصول العربية طريق حسن و رأيه أبا علي رحمه الله عرنيا معنيا " و معناه أنّ " العرب تعتقد أنّ في الشيء من نفسه معنى آخر كأنّه حقيقته و محصوله ، وقد يجرى ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها " الخصائص : ج2 ، ص : 443 .

¹المحتسب، المصدر السابق، ج2، ص : 82

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر السابق ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه، ن ص .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص.

قال تعالى : " فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا " ¹.

ومن ذلك قراءة طلحة : " فَإِمَّا تَرَيَنَّ " ².

وروي عن أبي عمر : " تَرَيَنَّ " ³.

وبحكم ابن جنِّي على هذه القراءة بقوله " الهمز هنا ضعيف " ⁴.

وهذا الضعف فيما يذكر سببه " أَنَّ الياء مفتوح ما قبلها والكسرة فيها للالتقاء الساكنين ، فليست محتسبة أصلا ، ولا يكثر مستقلة ، وعليه قراءة الجماعة (ترين) بالياء لما ذكرنا ، غير أَنَّ الكوفيين حكوا الهمز في نحو هذا " ⁵.

وأنشدوا ⁶ :

كَمْ شَتَرِي بِالْحَمْرِ أَحْمَرَةً بُرًّا .

¹ مريم : 26 .

² المحتسب ، ج 2 ، ص : 82 ، البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 285

³ المحتسب ، المصدر السابق : 85

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 85

⁶ شرح شواهد الشافية ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 409

وقد حكوا الهمزة في الواو التي هي نظيرة الياء في قوله تعالى : "تُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"¹.

وفي هذا يرى ابن جنّي : "شبه الياء لكونها ضميرا وعلم تأنيث بالواو من حيث كانت ضميرا وعلم تذكير وهذا تعذر ما ليس قويا ولا ترين هذه الهمزة هي همزة رأيت ، تلك قد حذفت للتخفيف في أصل الكلمة (ترأين) وحذفت الهمزة وألقيت حركتها على الراء فصارت (ترين) فالهمزة الأصلية إذا محذوفة وغير هذه الملفوظ بها"².

وبحكم قراءة طلحة بالشذوذ مباشرة بقوله : "فإِما ترين"³ فشاذ.

ويفرق ابن جنّي في هذا الموضع بين الشاذ واللحن باعتبار الشاذ أخف من اللحن بقوله : "ولست أقول إنها لحن لثبات علم الرفع وهو النون في حال الجزم لكن تعدد أن ثبت هذه النون في الجزم"⁴.

وأنشد في أبو الحسن⁵ :

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ وَ أَسْرَتِهِمْ يَوْمَ الصَّيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ .

وَيُؤْفُونَ بالنون لشبهه "لم" بـ "لا"⁶.

¹ آل عمران : 186 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 86 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر السابق ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶المحتسب ، المصدر نفسه ، ص : 86 .

اعتمد التعليل النحوي والعقلي في توجيه هذه القراءة والسماع والقياس اللغوي .

قال تعالى : " : وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعًا ¹ .

ومن ذلك قراءة طلحة : " ورِياً ² خفيفة بلا همز .

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير و يزيد البربري و المكي : " وزِياً ³ بالزاي .

يبين أبو الفتح ابن جنّي وجه هذه القراءة الشاذة وهي خفيفة بلا همز وذلك أنّه في أصله يرى أنّه من رأيت أو من رويت و لكنه يرى أنّ الأصل المقلب هو من الهمز في قوله : " ورِياً " كرْعياً على قراءة أبي عمرو وغيره .

ويعلل وجه هذه القراءة على أساس : " التخفيف الهمز، فأبدلت الهمزة ياء، لسكونها وانكسار ما

قبلها ثم أدغمت الياء المبدلة من الهمزة في الياء الثانية والتي هي من لام الفعل فصارت ورياً ⁴ .

يندرج في تعليلها لتوجيه وجه شدوذها ويستند إلى التعليل العقلي في ذكر مراتب علتها .

والاحتمال الثاني حسب ابن جنّي أن يكون من رويت استناداً إلى قول أبو علي الفارسي الذي

يرى أنّ "الزَيان نضارة وحسناً فيتنق إذا معناه ومعنى (وَزِيّاً) بالزاي، وأصله على هذا (رُؤي) فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها، فصارت ورياً ⁵ .

¹ مريم : 74 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 87 ، البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 211

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 87 .

⁴ المصدر السابق ، ص : 87 .

⁵ المصدر نفسه ، ص : 87 .

والتعليل الذي ذكره ابن جنّي في كلا وجهي القراءة فصارت كل من ورئاً مساوية في معناها ورئاً
 وببذع ابن جنّي كعاداته في توجيه هذه القراءة وتبيين وجه شذوذها من خلال هذا التعليل الذي يستند إلى
 الجانب العقلي والنحوي مع الجمع بينهما وبطريقة تجعل من وجهي هذه القراءة بناء متراصاً.
 ويذكر ابن جنّي "أنّ أبو علي في روايته عن ابن مجاهد: أنّ القراءة فيها على ثلاثة أضرب: ورئاً ورئاً
 وزئاً"¹.

وبدرج ابن جنّي تعليل ابن مجاهد في هذا الموضوع رغم أنّه تطرق إليه قبل هذا وذلك فيما يبدو
 من باب الإقناع وزيادة التوضيح وتعميق الفهم والتوضيح الجيد لأصل هذه القراءة الذي نراه يركز عليه
 كثيراً والملاحظ أنّه يدعم موقف ابن مجاهد مما يدلّ على موقف مختلف عن المواقف التي عهدنها من
 ابن جنّي اتجاه آراء ابن مجاهد التي كانت تتمثل في موقف الضد.

ويرى : "أنّ رياء مخففة غير مهموزة فتحتمل أمرين، أحدهما: أن تكون مقلوبة من فعل إلى فلع
 فصارت في التقدير رياء ثم خفف هذا، فألقيت حركاتها على الياء فصارت رياء"².

وهي حملا على ما ورد في كلام العرب من نيء :أكلت طعاما نيا، وفي تخفيف الجيئة: الجية
 فإذا خففت البيئة من قولهم.

ويستند في تعليل وتبيين هذا الوجه إلى التعليل النحوي والعقلي وقياسا على ماورد في سماع
 العرب وإلى استصحاب الحال.والجمع بين الأصول الاستدلالية في منهجه التوجيهي وبطريقة تخضع
 للتسلسل وترابط والبعد عن الغموض.

¹ المصدر السابق: 87 .

²المصدر نفسه : 88 .

والوجه الآخر: أن يكون يريد رياءً من "رويت" خفف الكلمة بحذف إحدى الياءين على مثال :

أتاني القوم لاسيما زيد، وقولهم: الطيبة والنية.

الطيبة والنية: بحذف إحدى الياءين والاحتمال حسبه هو حذف الياء الثانية لأمرين:

أحدهما: أنها المكررة وبها وقع الاستتقال وإياها ما حذف.

والآخر: أنها لام، وقد كثر حذف اللام حرف علته: كمائة ورئة وفئة وقلما حذف العين.

فاستند إلى تعليل استنادا إلى ما ورد في كلام العرب مع الجمع بين التعليل المنطقي والنحوي في

تبيين وجه تخفيف الياء في كلا الوجهين " من قوله، أن تكون مقلوبة من فعل إلى فصار في

التقدير رياءً مع أنه احتمال فيه نوع من الاستدلال المنطقي الذي ينبغي فيه الربط.

لتبيين الوجه المراد وأكثر من السماع الوارد في المنثور من كلام العرب من باب الإقناع وأمّا الزاي بالزاي

بفعل من رويت، وهو الوجه الثاني وهي بمعنى جمعت¹.

ويوجد ما يناظرها من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رويت لي الأرض"².

أي جمعت.

واستشهد ابن جني بالحديث النبوي الشريف الذي شذ فيه عن غيره من اللغويين الذين أقصوه من

المصادر الاستشهادية ويعتبر ابن جني الحديث الشريف أصح من الشعر وغيره من كلام العرب وهذا

يعتبر كميّة ميزت منهجه النحوي من ناحية السماع.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² المصدر نفسه ، ن ص .

وهذه القراءة أيضا قياسا على ما ورد في سماع العرب من المنظوم:

قول الأعشى¹:

يزيد يَغْضُ الطرف دُوني كأنما زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى المَحَاجِمِ.

و إعتد ابن جَنِّي في توجيهه على السماع والقياس فيحملها على ما ورد في كلام العرب منظومه ومنثوره من الشعر وكلام العرب إضافة إلى الحديث النبوي الشريف والتعليل النحوي والمنطقي فكان الهيكل التوجيهي لهذه القراءة متراس وواضح.

وتعتبر الميزة اللافتة للنظر هنا هو اعتماده على الحديث كمصدر من مصادر الاستشهاد في السماع.

3-3- نماذج من سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
"وَأَسْتَفْتَحُوا"	15	"وَأَسْتَفْتَحُوا"	ج 1 ، ص: 34
"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ"	35	": و أَجْنُبْنِي"	ج 2 ، ص : 38

¹ المصدر نفسه، ص: 88

" سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ "	50	" من قِطْرَانٍ "	ج2، ص : 42

المنهج النحوي من خلال الآية: (15 ، 35 ، 50) من سورة ابراهيم

قال تعالى : " وَأَسْتَفْتِحُكُمْ وَحَآبَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ¹ .

ومن ذلك قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيص : " وَأَسْتَفْتِحُكُمْ " ² .

ووجه اللغوي عند ابن جنِّي : " هو معطوف على ما سبق من قوله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) " ³ .

ومعنى ذلك أنه قال لهم : " استفتحوا " ، ومعناه استتصروا الله عليه و استحكموه بينكم وبينهم ⁴ .

ومن ذلك قوله تعالى : " إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ " ⁵ .

وفي هذا المعنى : " تستتصروا فقد جاءكم النصر وعليه سموا الظهر بالعدو فتحا " ⁶ .

وبيستدل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : " كان يستفتح بصعاليك المهاجرين " ⁷ .

¹ . إبراهيم : 15

² . المحتسب ، المصدر السابق ، ص 34 . البحر المحيط ، ج5 ، ص : 412

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 34 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ الأنفال : 19

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 34 .

⁷ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : صلاح بن محمد عويضة ، مصدر علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1997 . ج3 ، ص : 204 .

ويرى ابن جنّي في هذا "أنّه يستتصر بهم"، وفي هذا خروج عن منهج النحويين الذي عهدنا منه عدم الاستشهاد والاستدلال بالحديث الشريف ولكن ما يلاحظ هنا حضور الحديث في المصدر الاستشهادي وهذا فيه خروج عن تقاليد النحاة الذين أقصوا الحديث من مصادر الاستشهاد.

ويروي ابن جنّي عن أحمد بن يحيى قوله في شرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتفسيره بقوله: "أي يقدّمهم ويبدأ أمره بهم وكأنّهم إنّما سمّوا القاضي فتّاحاً لأنّه يفتح باب الحق الذي هو واقف ومسنّد فيصار إليه ويعمل عليه"¹.

ومعنى قراءة الجماعة: "واستفتحوا عائد على الأنبياء أي استتصروا الله على أعدائهم"²

وعلى: "سبيل التهكم والاستهزاء"³.

وقال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ"⁴.

من ذلك قراءة الجحدري والثقفى وأبي الهجّاج: "وأجنبني" بقطع الألف ويوضح باختصار وإيجاز وجه هذه القراءة بقوله: "يقال جنبت الشيء أجنبه جنوباً وتميم تقول أجنبته أجنبه إجنباً أي تجنبه عن الشيء فجنبه كصرفه وأجنبته بعلته جنبناً عنه"⁵.

¹ المحتسب ، المصدر السابق، ص: 34

² المصدر السابق ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ إبراهيم : 35

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 348

والمعنى الحقيقي والذي يشترك مع المعنى اللغوي في بعض من جوانب هو: "أي أصرفني وإياهم عن ذلك وأجنبني: أي اجعلني كالجنب لك، أي متقاد معك عنها"¹.

يبين وجهها من خلال اعتماده على تفسير هذه القراءة لتوضيح الفرق بين القراءة الشاذة وقراءة الجماعة .

قال تعالى: "سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ"².

ومن ذلك قراءة ابن عباس وأبي هريرة وعلقمة وسعيد بن جبيرة وابن سريين والحسن وسمان بن سلمة بن المجتف وعمرو بن عبيد والكلبي وأبي صالح وعيسى الهمداني وقتادة والربيع بن أنس وعمرو بن فائد: "من قَطِرَانٍ"³.

ويوضح ويشرح ويفسر ابن جني في هذه القراءة التي حملت معنى الشذوذ بقوله: "القطر: الصفر والنحاس وهو أيضا الفلز، روبناه عن قطرب وهو أيضا الصاد ومنه قدور الصاد، أي قدور الصفر و الآتى الذي قد أنى وأدرك وأنى الشيء بأني أنيا وأنى وقصور"⁴.

ومنه قوله سبحانه و تعالى: "غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ"⁵.

ويقدر ابن جني المعنى هنا بقوله: "بلوغه وإدراكه"⁶ ويروي كذلك ما قاله أبو علي رحمه الله: "ومنه الإفادة لأنّه ظرف الذي قد بلغ غايته المرادة فيه من حرز أو صياغة أو نحو ذلك"⁷.

¹المصدر نفسه ، ن ص .

²ابراهيم :50

³البحرالمحيط ،ج5 ، ص :440 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 385 ، المحتسب ، ج2 ، ص :42.

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 42 .

⁵الأحزاب :53 .

⁶المحتسب ، المصدر السابق ، ص :42

⁷المحتسب ، المصدر السابق ، ص :42

ومن ذلك قال أمية :

وَسُلَيْمَانُ إِذْ سَبِيلَ لَهُ الْقَطَرُ
عَلَى مُكِّهِ ثَلَاثُ لَيَالٍ.

ويقسه ويعدد الأقسام ويذكرها بقوله : " وأما القطران ففيه ثلاث لغات قَطْرَانٌ على فَعْلان وهو أحد الظروف التي جاءت على فعلان وهي ثلثان وبدلان والشقران ويقال أيضا قَطْران، بفتح القاف وإسكان الطاء وقَطْران بكسر القاف وإسكان الطاء والأصل فيها قَطْران. وما يقال في كلمة: وكلمة، لغة تميمية ¹. وهي محمولة على ما ذهب إليه أبو النجم ²:

جون كَأَنَّ الْعِرْقَ الْمَنْثُوجَا
لَبَسَهُ الْقَطْرَانُ وَالْمَنْسُوجَا.

وكذلك لهذه الصيغة ما يقابلها فيما أنشده النابغة ³:

وتخضب بحية غدرت وخانت بأحمد من نجيع الجوقآن.

فيما يبدووا وضع ابن جني هذه الصيغة من خلال تفسيرها وإدراج الشواهد من كلام العرب شعره ونثره والقرآن الكريم لتوضيح وجه هذه القراءة الشاذة وتبيين وجهها وتعليلها لغويا لخروجها عن الأصل المذكور في الشاذ وهذا الخروج له وجود في كلام العرب.

¹ المصدر السابق ، ص : 342 .

² المصدر نفسه ، ص : 342 .

³ النابغة ، الديوان ، دار الهاشم ، بيروت : 119 .

3-4- نماذج من سورة النجم

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكَّ وَالْعُرَّى "	19	" و اللَّاتَّ "	ج2، ص : 324
" وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى "	37	" و الَّذِي وَفَّى "	ج2 ، ص : 326

المنهج النحوي من خلال الآية (19 ، 37) من سورة النجم .

قال تعالى : " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكَّ وَالْعُرَّى " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس ومنصور بن المعتمر وطلحة : " واللَّاتَّ " ².

وفي رواية عن قطرب يقول ابن جني : " كان رجل بسوق العكاظ يلث السويق والسمن عند صخرة فإذا باع السويق والسمن صب على الصخرة ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت تقفيت الصخرة إعظاما لذلك الرجل صاحب السويق، قال أبو حاتم: كان رجل بلث لهم السويق، فإذا شرب منه أحد سمن، فعبدوا

¹ النجم : 19 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه : 149 .

ذلك الرجل وحكى أبو الحسن فيها: أفرأيتم اللآت ،بكسر التاء وذهب إلى أنها بدل من لام الفعل بمنزلة التاء في كيت وذيت وأنّ الألف قبلها عين الفعل بمنزلة ألف شاه ذات المال ¹ .

يذكر ابن جنّي هذه الرواية توضيحاً لوجه هذه القراءة ويبين معناها وتفسيرها .

قال تعالى : " وَإِذْ يَرْهِيْمُ الَّذِي وَفَّى ² .

ومن ذلك قراءة النبي صلى الله عليه وسلم : "والَّذي وَفَّى ³ .

وهي قراءة أبي إمامة وسعيد بن جبیر وابن السميع وأبي مالك. وقال أبو الفتح: " هذا على تسمية السبب باسم السببية، ألا ترى أنّ معناه الذي وعد ذلك، فوفى بحاضره وسيوفي بغائبه يوم القيامة وذلك منهم لصدق الوعد أي: إذا قال فقد فعل أو قد وقع ما يقوله، وهذا كقولهم: وعد الكريم نقد اللّثيم وعد ⁴ .

استند إلى المنطق في توضيح وتبيين وجه هذه القراءة الشاذة ويذكر السبب والمسبب والتي هي من المصطلحات المنطقيّة الصرفة.

وذكر بيت لأحد المولدين ⁵ : مُبَارَكٌ إِذَا رَأَى فَقَدْ رَزَقَ .

وهذا ما نجده يفتقد في السماع عند غيره بحيث كانوا لا يستشهدون بكلام المولدين ولكن ابن جنّي عمل على استشهاد بما قاله المولدين .

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344 .

² النجم : 37

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344

⁵ المصدر نفسه ، ص : 345 .

وكذلك اعتمد في الاستشهاد على بيت امرأ القيس¹ :

إِذَا مَا عَدَوْنَا قَالَ وَلَدَانِ أَهْلِنَا تَعَالُوا إِلَيَّ أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ نَحْطِبُ

¹ المصدر نفسه ، ن ص ، لم نعثر على هذا البيت في ديوانه .

الفصل الثاني : المنهج النحوي عند ابن جني

من خلال نماذج

من القراءات الشاذة صرفيا

المبحث الأول : نماذج من سورة البقرة و آل عمران

1-1- نماذج من سورة البقرة:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ "	09	" وَ مَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ "	ج1، ص : 131
" يَذَّيْحُونَ آبْنَاءَكُمْ "	49	" يَذْبَحُونَ آبْنَاءَكُمْ "	ج1 ، ص : 163
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ "	205	" وَيَهْلِكُ "	ج1 ، ص : 210
" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ "	234	" والذين يتوفون منكم "	ج1 ، ص : 215
" فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ "	258	" فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ "	ج1 ، ص : 225
" وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَايَا "	297	" وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَايَا "	ج1 ، ص : 230
" وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ "	281	" "	

المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال الآية: (09 ، 49 ، 54 ، 143 ، 205 ، 234 ، 258 ،
267 ، 281) من سورة البقرة

قال تعالى : " يُحَدِّثُونَ اللَّهَ وَلِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ " ¹.

ومن ذلك قراءة أبي طالوت عبد السلام بن شدّاد والجارود بن أبي سبرة : "وما يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" ².

ويمثل أبو الفتح هذا بقوله : "هذا على قولك : خدعت زيدا نفسه ومعناه عن نفسه فإن شئت على

هذا بحذف حرف الجر فوصل الفعل " ³.

ويحمل كذلك على أصح الأدلة السماعيّة قوله تعالى : "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا" ⁴.

ويقدرها ب : "من قومه" ⁵.

وكذلك قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي ⁶ :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلَ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَاتَ نُسْبٍ.

ولكن ابن جنّي يذكر فقط الشطر الأول أي صدر البيت فقط ويقدر ذلك ب : " بالخير " ⁷.

¹البقرة : 09 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 131 . البحرالمحيط ، لأبي حيان ، ج 1 ، ص : 57 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 131 .

⁴الأعراف ، 155 .

⁵المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 131 .

⁶خزانة الأدب ، ج 1 ، ص ، ص : 166 .

⁷المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 131 .

ويعمل هذا نحوياً: "وإن شئت حملته على المعنى، فأضمر له ما ينصبه وذلك أن قولك: خدعت زيدا عن نفسه يدخله معنى انتقضته نفسه وملكت عليه نفسه من أشد وأدمت مذاهب العربية"¹.

ويواصل معتمداً عقل منهاجاً لتأكيد ما ذهب إليه بقوله: "وجملته: أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر فكثيراً ما يجرى أحدهما مجرى صاحبه فيعدل في الاستعمال إليه ويحتذى في تصرفه حذو صاحبه وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه"².

وفي مضمون هذا الكلام تصريح غير مباشر بشذوذ هذه القراءة على رغم ما التمسها لها من العربية ومذاهب العربية وقواعدها بالاعتبار ولكن الاستعمال ينفي هذا الحذو .

وهي محمولة على قوله تعالى: "قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ"³ .

وبستفهم حول هذا ويعمل ذلك بالتقدير المعنى المراد بـ: "وأنت إنما: هل لك في كذا؟ لكنه لما دخله معنى: أجبك إلى كذا وأدعوك إليه (قال: فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ)"⁴.

وفي نظير هذا قول الفرزدق⁵:

كَيْفَ تَرَانِي قَالِيًا مُّجْنِي فَقَتَلَ اللَّهُ زِيَادَ عَنِّي .

¹ المصدر السابق، ن ص .

² المصدر نفسه ، ص: 131 .

³ النازعات: 18 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 131 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 131 ، الخصائص ، المصدر السابق ، ج2 ، ص: 310 .

ووجه الشبه بينه وبين ما ذهب إليه ابن جنّي في تقديره هي "أنّه استعمل عن لما دخله من معنى قد صرفه الله عنّي، لأنّه إذا قتله فقد صرف عنه" ¹.

ولما هو مناظر لهذا وهي قياسا على الآية الكريمة في قوله: "أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ" ².

يقول معتمدا تفسير الفقهاء في إثبات علة هذا: "أنت تقول رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول: رفثت بها ومعها لما كان الرفث بمعنى الإفشاء عدى بالي كما يعدى بالي، نحو قولك: أفضيت إلى المرأة وهو باب واسع ومنقاد وقد تفصيلناه في كتابنا الخصائص" ³.

وفي قوله تعالى: "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" ⁴، ويرى في هذا أنّه: "جاء على خدعته نفسه لما كان معناه معنى انتقصته نفسه أو تعوّنته نفسه" ⁵.

ويرى ابن جنّي أنّ "أبا علي رحمه الله يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي" ⁶.

وفي ذلك قول الشاعر ⁷:

إِذَا رَضِيتُ بَعْلِي عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ
لَعُمُرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 132 .

²البقرة : 187 .

³المحتسب ، ج 1 ، ص : 132 و يقول عنه ابن جنّي : " بمناسبة و قوله هو باب واسع بحيث يقول ووجدت في اللغة في هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به ولعله ولو جمع أكثر (لجميعه) لجاء كتابا ضخما وقد عرفت طريقه فإذا مرّ بك شيء منه فتقبله و أنس به فإنّه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأتس بها و الفقاهاة فيها " الخصائص، ج 2 ، ص :

310

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 131 .

⁵ المصدر نفسه ، ص : 132

⁶المحتسب ، المصدر نفسه ، ص : 132 ، الخصائص، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 313 .

⁷خزانة الأدب ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 147 ، الخصائص ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 313 .

ويرى ابن جنّي في هذا في كتابه الخصائص: "أراد عني، ووجهه أنّها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه"¹.

ويرى بأنّه استعمل: "على بمعنى عن وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في هذا لأنّه قال لما رضيت ضد سخطت عدّى رضيت بعلی حملا للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره"².

وبعيدة ابن جنّي بصيغة أخرى في كتابه المحتسب وإن كان يبدو فيها نوع من علو الأسلوب فيما يبدووا بقوله: "عدى رضيت بعلی، كما يعدّ نقيضها وهي سخطت به، وكان قياسه: رضيت عني، وإذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ وهذا مذهب الكسائي وما أحسنه، وفيه غيره على سمت ما كنا بصدد، وذلك أنّه إذا أقبلت على بنو قشير وهو غور من أنحاء العربية طريف ولطيف ومصون"³.

وبميز هذا اعتماده القياس الفقهي بحيث كان بقياس آية على آية استنادا إلى معنى أو إلى صورة المعنى التي فيها.

والتي فيها نوع من المشابهة وهو اشتراك في نفس الوجه اللغوي في تقدير المعنى وكذلك يستحسن معتمدا على القرآن باعتباره أصح الأدلة واعتماده الاستشهاد بالشعر باعتباره من المصادر الوثيقة متجاوزا حدود الزمن التي رسمت عند اللغويين من قبل.

¹الخصائص ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 311 ، و يقول في هذا موضع : " و هذا ورد في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض " .

²الخصائص ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 311 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 132 .

واستحسن ابن جني مذهب الكسائي وأستاذه أبو علي الفارسي إلا أن ابن جني فاق استحسانه استحسان أستاذه لمذهب الكسائي حتى وصل إلى درجة التعجب كما سبق وأن ذكرنا.

واعتمد الجانب الفقهي وذلك من خلال تفسير الآيات في إثبات العلة وتبيين وجه هذه القراءة ودعم معناها من خلال إيراد معاني الآيات الأخرى التي تشترك معها في نفس الوجه اللغوي معتمدا في الأغلب التعليل النحوي مستندا كذلك إلى التعليل العقلي مع تدرجه في ذكر مراتب العلة وتعميق الفهم فتدرج إلى أن وصل إلى العلل العقلية .

وقال تعالى: "يَذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ"¹.

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: "يَذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ"².

ويرى ابن جني مبينا وجه هذه القراءة: " وجه ذلك أن فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثر وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس، وحسبك بالجنس سمة وعموما "³.

وفي ذلك قول عبد الرحمان بن حسان يخاطب عبد الرحمان بن الحكم بن أبي العاص وكانت بينهما مهاجاة⁴:

وَكَمْتُ أَذْلُ مِنْ وَتَدِ بَقَاعِ يُشَجِّجُ رَأْسُهُ بِالْفَهْرَوَاجِي .

¹ البقرة: 49 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 163 . الكشاف للزمخشري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 68 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 193 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 163 .

⁴ الكتاب ، المصدر السابق ، و هامشه ، ج 3 ، ص : 553 ، والمقصود لولا مكانتك من الخلفاء لعلوتك و أذلتك بالهجاء

وهو حسب ابن جنّي: "لم يقل الموجي فكأنه قال: يشج رأسه بالفهرشاج، لأنّ واجي فاعل كشاج"¹.

ويستدل كذلك بقول أبي الحسن ²:

أَنْتَ الْفِدَاءُ لِقِبْلَةٍ هَدَمْتُهَا وَنَقَرْتُهَا بِيَدِكَ كُلِّ مَنْقَرٍ.

كأنه قال : ونقرتها: لأنّ قوله: كل منقر عليه وبعده قوله ³ :

فَطَارَ كُلُّ مُطِيرٍ.

وبقدر ابن جنّي بقوله: "وهذا كأنه قال : فطير كل مطير، ولما في الفعل من معنى المصدر

الدال على الجنس ما لم يجز تثنيته ولا جمعه، لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس"⁴.

والعلة الجامعة بين ما ذكرناه في وجه القراءة وفي هذا التخفيف لما في الفعل من معنى مصدره .

وبضيف في هذا مبينا لوجه القراءة بقوله: "أما التثنية والجمع في نحو قولك: قمت قيامين

وانطلقت انطالقين وعند القوم أفهام وعليهم أشغال فلم يثن شيء من ذلك لا يجمع ولا يرد وهو مراد به

الجنس لكن المراد به النوع"⁵.

قال تعالى: "لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ"⁶.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 164 و الشاهد إبدال الياء همزة في " واجي " وهي ضرورة .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 164 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ البقرة 143 .

ومن ذلك قراءة الزهري: "إِلَّا لِيُعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ" ¹.

ويرى ابن جنّي في تبیین دلالتها وتفسيرها ومعرفة دلالتها أنها: "ينبغي أن يكون يُعلم هنا بمعنى يُعرف" ².

ومثال هذا قول تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" ³.

ويحملها على نظيرتها لتشابه في المعنى بحيث يرى أنها بمعنى "عرفتم وتكون من، بمعنى الذي، أي ليعرف الذي يتبع الرسول، ولا تكون (من) هاهنا استفهاما، لئلا يكون الكلام" ⁴.

ودعم بهذه القراءة المشهورة القراءة الشاذة وهي مقدرة هنا عقليا بمعنى الذي وذلك لتبيين وجه القاعدة النحوية التي تقر بـ "الجملة لا تقوم مقام الفاعل" ⁵ وهذا مجمع عليه وبالتالي جاءت القراءة الشاذة الشاذة لإثبات قاعدة نحوية.

قال تعالى: "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ" ⁶.

ومن ذلك ما رواه هارون عن الحسن وابن أبي إسحاق وابن محيصن: "وَيَهْلِكُ" ⁷. بفتح الياء واللام ورفع الكاف.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 198 . البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 424 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 198

³ البقرة : 65 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 198 .

⁵ المصدر نفسه ، ص : 198 .

⁶ البقرة : 205 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 210 .

يروى ابن جنّي عن ابن مجاهد أنّه حكم على هذه القراءة بـ "بالغلط" ¹.

ويروي ابن جنّي كذلك فيما ذهب إليه ابن مجاهد خروج عن العربية "لعمري إنّ ذاك ترك لما عليه اللغة" ².

وبعلل قوله وهذه القراءة باعتبار إثبات وجودها في العربية والذي أقره بقوله: "ولكن قد جاء له نظير في قولنا هلك يهلك، فعل يفعل" ³.

ويستند في هذا إلى ما روي في الكتاب من قولنا: أباي يا بني ⁴.

ويورد ما حكاه غيره مثل: "قنط، يقنط وسلا يسلى، وجبا الماء يجباه وركن يركن، وقلا يقلى و غسا الليل يغسى" ⁵.

وبعلل هذا بما ذهب إليه أبو بكر الذي يرى بأنّ: "هذا إلى أنّها لغات تداخلت، وذلك أنّه قد يقال: قنط وركن وسلا وسلى، فتداخلت مضارعاتها، وأيضا فإنّ في آخرها ألفا وهي ألف سلا وقلا وغسا وأبى فصارعت الهمزة نحو قرأ وهذا" ⁶.

وهذا مما يدل على أنّ هذا كتاب كان موسوعة لغوية بحيث ضمنه ابن جنّي أقواله وما ورد في كتبه سابقة وأقوال معاصريه وبإضافة إلى أخذه أقوال من عمدة اللّغة والنّحو أمثال سيبويه فيما يذكر الذي

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 210 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ الكتاب، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 103 ، 104 ، وهناك أمثلة أخرى يريدّها في نفس الموضع جنى يجنّى و قلى يقلّى و شبهوا هذا بقرأ بقرأ .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 210 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

استدل بأقواله بإضافة إلى أقوال أستاذه أبي علي الفارسي الذي كان فيه الفعل مماثل لما فعل سيبويه في كتابه "الكتاب" بالنسبة لأستاذه الخليل بحيث يقول "قال الخليل"، "حدثنا الخليل" كذلك ابن جنّي كان يقول "قال أبو علي" "حدثنا أبو علي" و"روى أبو علي" وكان من خلال المباحث التوجيهيّة السابقة يثبت ذلك فيما ذكرناه.

وإضافة إلى ما ذهب إليه وجود نظائر في السماع لهذه القراءة كذلك ما يبين ويدعم هذه القراءة باعتبار "الحسن وابن أبي إسحاق إمامين في الثقة وفي اللّغة فلا وجه لدفع ما قرأ به"¹.

ويكون هذا الموقف موافق لخطة الكتاب فيما ذهب إلى ما ألزم ابن جنّي به نفسه في دفاع عن الشاذ وانتصاره له .

ويرى في ذلك: "قد يجوز أن يكون يهلك جاء على هلك بمنزلة عطب غير أنّه استغنى عن ماضيه يهلك"².

ومن ذلك أبي السّمال: "فإن زلّتم قال أبو الفتح: "هما لغتان: زلّت وزلّلت، بمنزلة ضلّلت وضلّلت إلا أنّ الفتح فيهما أعلى اللغتين"³.

فهو يعتمد السبر والتقسيم بحيث يعتبر وجود الفتح والكسر إلّا أنّه يستبر ويختار من القسمين الفتح مثل ما هو عند الفقهاء وهم كذلك يذكرون الاحتمالين ثم يختارون الأقرب والأصح .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 210 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³المصدر السابق ، ج1 ، ص : 211 ، الكشف ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 127 . البحر المحيط ، المصدر السابق ج2 ، ص : 123 .

فهو اعتمد في تبين وجه هذه القراءة في العربية المنثور من كلام العرب معتمدا أقوال اللغويين والنحاة أمثال سيبويه وأبو بكر جامعا في استشهاد بين العصور الزمنية من دون حصر لنفسه فيما أصل له في تحديد قاعدة الزمن معتمدا القياس اللغوي بجامع العلة النحوية في إثبات وجه هذه القراءة في العربية مروراً بجواز الفتح والكسر في ماضيها حملاً على قراءة أبي السّمال التي تؤكد فيما يذهب إليه ابن جنّي من احتمال أن تكون يهْلِك من هَلِك (بالكسر) بدل الفتح .

ولكن يؤكد بأنّ الفتح أعلى وأصح اللّهجات في قراءة أبي السّمال ولها ما يماثلها في العربية معتمدا السبر والتقسيم على طريقة الفقهاء وإن كان التقسيم بصفة عامة طريقة استدلالية من طرف اللغويين .

قال تعالى : " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ¹ .

ومن ذلك مارواه أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام : " والذين يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ² . وفي هذه يرى ابن مجاهد أنّها : "ولا يُقْرَأُ بها ³ .

وفي مقابل يرى ابن جنّي أنّ : "هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز ⁴ .

ويرى في علته نحوياً أنّه : "على حذف المفعول أي: والذين يتوفون أيامهم وأعمارهم أو آجالهم ⁵ .

¹ البقرة : 234

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 215 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 220 . الكشف المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 143

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 215 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

ويحمله على قوله تعالى: " فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ " ¹.

وكذلك قال تعالى: " الَّذِينَ تَتَوَفَّيهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ².

ويرى ابن جنّي في " حذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام، إذا كان هناك دليل عليه " ³.

ومنه قال تعالى: " وَجَدْتُ أُمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ " ⁴ ويقدرها ابن جنّي بـ: " شيئا " ⁵.

ويحملها على قول أبو علي فيما رواه عن الحطيئة ⁶:

مُعَمَّةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ مِنْ رِذَاءٍ شَرَعِي .

وتقديرها: "تصون الكلام منها " ⁷، ويقدرها في الخصائص بـ: "تصون الحديث منها " ⁸.

ويرى في هذا " كثير جدا " ⁹ ويرى في الخصائص: "وله نظائر " ¹⁰.

¹ المائدة: 117 .

² النحل: 28 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 215 .

⁴ النمل : 23 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 215 .

⁶ الحطيئة ، الديوان ، تح: نعمان طه ، مطبعة مصطفى البابلي ، ط 1 ، 1958 ، ص : 177 ، الخصائص، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص : 374 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 216 .

⁸ المصدر نفسه ، ن ص .

⁹ المصدر نفسه ، ن ص .

¹⁰ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 372 .

يعتمد ابن جنّي الشاهد القرآني في تبين وجهها الذي أنكره ابن مجاهد وليس فقط هذا بل يشير وبنه إلى وجود الكثير على المثال القرآني وفصيح الكلام ويعتمد التقدير النحوي والتعليل النحوي في تبين وجهها اللغوي ويعتمد التفسير الفقهي في تبين وجهها كذلك¹.

قال تعالى: "فَبَهَتْ الَّذِي كَفَرَ"².

ومن ذلك قراءة ابن السميع: "فَبَهَتْ الَّذِي كَفَرَ"³ بفتح الباء والهاء والتاء .

وقرأ كذلك نعيم بن ميسرة وقرأ أبو حيوة شريح بن يزيد: "فَبَهَتْ"⁴ بفتح الباء وضم الهاء .

ويرى أبو الفتح هناك قسم آخر إضافة إلى هذه الأقسام التي ذكرها ابن جنّي لهذه القراءة والتي هي: "بُهَتْ فلا نظر فيه"⁵.

ويشير إلى أن "زاد أبو الحسن الأخفش قراءة أخرى الآن ذكر قارئها لم يسندها أبو الحسن: "فَبَهَتْ بوزن علم فتلك أربع قراءات"⁶.

ويرى في "بَهَتْ فبمنزلة خرق وفرق وبرق وأمّا بَهَتْ فأقوى معنى من بَهَتْ"⁷.

¹ البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 220

² البقرة : 258 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 225 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ج 2 ، ص : 289 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 226 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 289 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 226 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

فابن جنّي يفاضل بين القراءات من حيث القوة والضعف في المعنى باعتبار الوزن (فعل) أقوى في معنى من (فعل). وذلك باعتبار " فعل تأتي للمبالغة وهي كقولهم : قضوا الرجل إذا جاء قضاؤه وفقه إذا قوى فقهه وشعر إذا قوى شعره " ¹.

ويستند إلى السماع اللغوي من خلال قول أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى: " أنّ العرب تقول : ضربت اليد: إذا جاء ضربها، وكذلك بهت إذا تناهى في الخرق والبرق والحيرة والدهش " ².
وأما بهت فيما يرى " فقد يمكن أن يكون من معنى ما قبله إلا أنّه جاء على فعل كذهل ونكل وعجز وكلّ ولعب فيكون على هذا غير متعد كهذه الأفعال " ³.

وبعلل ذلك نحويًا من باب الاحتمال: " أن يكون متعديًا ويكون مفعول محذوف أي: فبهت الذي كفر إبراهيم عليه السلام " ⁴.

ويرى كذلك ابن جنّي : " فإن قيل: فكيف يجوز على هذا أن يجتمع معنى القراءتين ؟ ألا ترى أنّ بهت قد عرف منه أنّه كان مبهورًا لا باهتًا وأنت على هذا القول تجعله الباهت لا مبهور " ⁵.

¹المحتسب ، المصدر السابق، ن ص ، يرى الجرجاني : " وفعل لإفعال و الطباع ونحوها ك : حسُن و قُبُح و كُبر و صَغُر " . مفتاح في الصرف للجرجاني ، ص : 47
²المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 226 ، و يرى كذلك الجرجاني : " فعل يكثر فيه العلل والأحزان والأضداد كسقم ومريض وحزن وفرح وتجيئ الألوان والعيوب عليه " مفتاح في الصرف، للجرجاني، ص : 47 منه قوله تعالى : " فإذا برق البصر " . القيامة : 07.

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 266 ، المفتاح في الصرف للجرجاني: " فيرى لها معان كثيرة " ص : 66
⁴المحتسب ، ج 1 ، ص : 226 . و في هذا يقول الزمخشري : (فبهت الذي كفر) أي فغلب إبراهيم الكاف وهي كحسب على وزن " فعل " كعلم و يعلم ، و هي لغة تميم و توجيه اللغوي لقراءة أبي جعفر المدني و قرأ أبو حيوة : " فبهت بوزن قرب ، وقيل : كانت هذه المحاجة حيثما كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له : " من ربك الذي تدعو له ؟ فقال ربي الذي يحيي ويميت " . الخصائص ، ج 1 ، ص : 489
⁵المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 266

ويحمله محمل التأويل الفقهي بقوله: "قد قيل يمكن أن يكون معنى قوله: بهت أي رام أن يبهت

إبراهيم عليه السلام إلا أنه لم يستو له ذلك، وكانت الغلبة فيه لإبراهيم عليه السلام"¹.

ويستحسن ابن جني وجه آخر لهذا بقوله: "يجوز أن يقال: بهت، وإثما كانت منه الإرادة"².

ويحمله في ذلك على قوله تعالى: "ذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ"³.

وتقدير الكلام في ذلك: "إذا أردتم القيام إليها"⁴.

وكذلك يحملها على قوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"⁵.

وبقدره بقوله تعالى: "إذا أردت قراءته"⁶.

وبعلل ذلك منطقياً بقوله: "فاكتفى بالمسبب الذي هو القيام والقراءة من السبب الذي هو الإرادة"⁷.

ويرى ابن جني في الخصائص في هذا في التأويل والتعليل أن: "هذا أولى من أول من ذهب إلى

أنه أراد: فإذا استعذت فاقراً لأن فيه قلب لا ضرورة بك إليه، وأيضاً فإنه ليس كل مستعيز بالله واجبة عليه

القراءة"¹.

¹ المصدر السابق، ص: 266

² المصدر نفسه، ن ص .

³ المائدة: 06

⁴ المحتسب، المصدر السابق، ص: 226

⁵ النحل: 98 .

⁶ المحتسب، المصدر السابق، ص: 227. الخصائص، المصدر السابق، ص: 173 (يعتبر التأويل من الفصول الفقهية للبحث عن الأحكام و يقدر ابن جني بقوله: "إذا أردت").

⁷ المحتسب، المصدر السابق، ن ص. "هذا موضع من العربية شريف لطيف و واسع لمتأمله كثير و كان أبو علي رحمه الله، يستحسنه و يعين به و ذكر منه مواضع قليلة و مرّ بنا نحن منه ما لا نكاد نحصيه، الخصائص، ج3، ص 173: الخصائص، المصدر السابق، ج3، ص: 174 .

ويستدل على هذا بما ورد في الخصائص بقول أبي بكر بن دريد و نحو منه ما أنشده أبو بكر²:

قد علمت إن لم أجد معينا لأخلطن بالخلوف طينا .

ويعني امرأته يقول: " إن لم أجد من يعينني على سقي الإبل قامت فاستقت معي، فوقع الطين على خلوق يديها، فاكنتي بالمسبب الذي هو اختلاط الطين بالخلوق من السبب الذي هو الاستقاء معه"³ .

في الجانب النحوي يوجيز جواز حسنا " أن يكون فاعل (بهت) إبراهيم ،أي: فَبَهَتْ إبراهيم الكافر ليلتقي معنى هذه القراءة مع معنى الأخرى التي هي:فَبُهِت "⁴.

والفاعل هنا إبراهيم وهو الباهت ويعطي تصور آخر عن الفعل المبني بقوله: " إنَّ الفعل إذا بني للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل بل ليعلم أنَّ الفعل قد وقع به فيكون المعنى هذا لا ذكر الفاعل "⁵.

ومن ذلك قوله تعالى يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا "⁶، وقوله: وَالَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا "⁷.

وقال عز وجل: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ "⁸.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص :227

³المصدر نفسه ، ن ص.

⁴ المصدر نفسه ، ص :227.

⁵المصدر نفسه ، ص : 227 .

⁶النساء : 28 .

⁷النساء : 37 .

⁸ ق : 16 .

وكانت القراءة التي بني الفعل فيها لما لم يسمى فاعله (أما كما يسمى الفعل المبني للمجهول) كتوضيح لهذه القاعدة النحوية وإعطاء تصور جديد لها معتمدا في ذلك على الشاهد القرآني باعتباره أصح الأدلة وأقربها واستدل بالتقسيم في تبين أقسام هذه القراءة مستحسنا بعض الوجوه دون الأخرى من حيث قوة وضعف المعنى حسب أوزانها معتمدا التعليل والتقدير النحوي وكذلك التعليل الصرفي في تبين القاعدة التي تتدرج ضمنها معتمدا التأويل الفقهي لمعاني هذه القراءات مستندا إلى المنطق في تقدير معنى هذه القراءة .

في السماع اللغوي جمع بين المنثور والقرآن والحديث الشريف الذي لحظنا في بعض المواضع كان يستدل به .

وفي مضمون حديثه عن السبب والمسبب أشار إلى هذا الباب بوجوده في الخصائص وفي هذا الباب نجده وظف الشعر العربي بكثرة في حديثه عن السبب والمسبب .

واعتمد القياس الفقهي في حمل معاني القراءات على معاني القراءات أخرى التي سبق ذكرها والتي وردت في القرآن في نفس الباب معتمدا باب المشابهة في المعنى المؤول والمراد كجامع لحمل النظر على النظر من هذا الباب .

قال تعالى: "وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ"¹.

ومن ذلك قراءة الزهري و مسلم بن جندب : " وَلَا تُيَمَّمُوا الْخَبِيثَ "².

¹البقرة: 267 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 230

ويرى أبو الفتح أنّ فيها : " لغات أممتُ لشيءٍ ويممته وأممته ويممته وتيمته وكله قصدته " ¹.

وفي هذا يقول الأعشى ² :

تؤم سنانا وكمدونة
من الأرض محدود بأعارها .

ويستشهد ابن جني على هذا المعنى بقول شاعر آخر ³ :

يَمَمَّتْ بِهَا أَبَا صَخْرٍ بَنُ عَمْرُو .

وقال امرأ القيس ⁴ :

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي ضَارِحَ
يَفِيَّ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضَهَا طام .

والأُمُّ : القصد ومثله الأمت ومنه الإمامُ لأنّه المقصود المعتمد والإمام أيضا خيط البناء ويعتمد بالبناء

عليه والأُمَّة الطريقة لأنّها معتمدة ⁵.

وقال تعالى : " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ " ⁶.

يبين وجه هذه القراءة من وجه انتصاري على ما عاهد عليه نفسه بالدفاع عنها في هذا الكتاب

بالتماس شواهد من فصيح كلام العرب من الشعر في تبين للمراد من معناها المتمثل في القصد، عن

طريق القياس على الشعر الجاهلي ومعتمدا كذلك على القرآن الكريم .

¹ المصدر السابق ، ص : 230 .

² الأعشى، الديوان، دار الجيل، ودار صادر، بيروت، لبنان، ص : 123 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 231 .

⁴ امرأ القيس ، الديوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ، ط ، ص : 228.

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 231 .

⁶ الزخرف : 23 .

1-2- نماذج من سورة آل عمران :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ "	13	" يُرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ "	ج 1 ، ص : 250
" زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ "	14	" زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ "	ج 1 ، ص : 251
" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُكُةُ "	18	" شُهِدَاءَ اللَّهِ "	ج 1 ، ص : 252
" وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ "	143	" مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلَاقُوهُ "	ج 1 ، ص : 265
" وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ "	14	" وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا يُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ يُؤْتِهِ "	ج 1 ، ص : 268

ج 1 ، ص : 276	" يُسْرِعُونَ "	176	" وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ "

المنهج النحوي من خلال الآية (13 ، 14 ، 18 ، 79 ، 143 ، 145 ، 176) من سورة آل

عمران

قال تعالى : " قَدْ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس وطلحة : " يُرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ " ².

وقال أبو الفتح : " هذه القراءة حسنة المعنى " ³.

يستحسن هذه القراءة وهذا يوافق خطة الكتاب بحكم دخولها ضمن انتصار للشاذ من القرآن الكريم.

¹ آل عمران : 13 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 250 ، و البحر المحيط ، ج 2 ، ص : 394 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، المصدر السابق ، ص : 27 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 251 .

ويقول من خلال عملية المقارنة: "رأيت وأرى أقوى في اليقين من أريت وأريت وأرى تقول: أرى أن سيكون كذا، أي: هذا غالب ظني وأرى سيكون أي أعلمه وأتحققه وسبب ذلك أن الإنسان قد يريه غيره الشيء فلا يصح له فمعناه إذا أن غيره يشرع في أن يراه ولا أنه هو لا يراه، وأما أرى فأخبار بيقين منه الواحد لا يكون اثنين في حال واحد قد يظن ويتوهم شيئين بل أشياء كثيرة"¹.

عقد ابن جنّي من خلال قوله هذا مقارنة بين القراءتين يصرح ابن جنّي بقوله: "أنّ الآية (برونهم مثليهم) أي يصور لهم ذلك وإن لم يكن حقاً، لأنّ الشيء الواحد لا يكون اثنين في حال الواحد قد يظن ويتوهم شيئين بل أشياء كثيرة"².

ويلمس من خلال هذه المقارنة تفضيل ابن جنّي للقراءة المشهورة على شاذة باعتبارها أقوى في اليقين من القراءة الشاذة .

ويدعم ابن جنّي هذه القراءة الشاذة بالقراءة المشهورة في قوله تعالى: "إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ كَثِيرًا لَفَهِشْتُمُ اللَّكْنَ وَالْأَمْرَ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"³.

ويفصّل قراءة الجماعة بالقوة بعد ذكر الآية الكريمة: "يَرَوْنَهُمْ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ"⁴.

¹ المصدر نفسه ، ص : 251 .

² المصدر السابق ، ن ص .

³ أنفال : 43 .

⁴ آل عمران : 13 .

بقوله: "أقوى معنى" ¹.

مبيناً علة هذه المفاضلة فقها باعتبار: "ذلك أنه أؤكد لفظاً، أي حتى لا يقع شك فيه ولا ارتياب بهم أنهم مثلاًهم، فهذا أبلغ في معناه من أن يكون مريدهم ذلك" ².

ثم يستدل عقلياً على هذا بقوله: "فقد لا يتم له ذلك وقد لا، هذا في ظاهر الأمر فأما على اليقين ومع الحقيقة فلا يجوز الشيء الواحد شيئين اثنين فيما لو كان واحداً" ³.

فيقارن في هذا بين ظاهر الآية والحقيقة التي يمكن أن تحمل عليها والتي تكون خاضعة للعقل فإذا أخضعها للظاهر احتمال يجوز أو لا يجوز أمّا إذا حملها محمل العقل والمنطق لا يجوز ذلك من حيث إنزال الشيء الواحد منزلة الشيئين وهو في أصله واحد ويستدل من سماع العرب بقول ممزق العبد الذي فصل بين أرى وأرى بقوله ⁴.

تَرَى أو تُرَأَى عِنْدَ مَعْدٍ غَزَرَهَا تَهَاوَيْلُ مِنْ أَجْلَاءِ هَرِّ مُؤَمِّمٍ ⁵.

فيرى ابن جنّي في قوله: "تري استكثر ذلك لأنه مع التحصيل لا حقيقة له فأتبعه بها لأن له القول الأول فقال أو ترأى" ⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 251 .

² المصدر المحتسب، المصدر السابق ، ص : 251 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 513 . ويرى الزمخشري في هذا يرى أن : "المشركين مثلي عدد المسلمين قريباً من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين أراهم الله إياهم مع قتلهم أضعافهم بؤهم و يجبلوا عن قتالهم و كان ذلك مرداً لهم من الله كما أمدهم بالملائكة و الدليل عليه قراءة نافع (ترونهم) بالناء : ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فتتكم الكافرة أو مثلي " .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 251 .

⁴ الأصمعيات ، المصدر السابق ، ص : 188 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 251 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

ما يلاحظ في منهج ابن جني النحوي في توجيهه هذه القراءة وتبيينها رغم استحسان هذه القراءة إلا أنه يضعها في مرتبة دون المشهورة ويصف هذه الأخيرة بقوة في المعنى من خلال عقد مقارنة بينهما، بحيث كان يطغى على منهجه جانب العقلي والفقهى باعتبار ظاهر الآية شيء وباطنها شيء آخر ويكرس الجانب الفقهي من خلال تبيين المعنى الحقيقي المراد وعلته.

قال تعالى: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ"¹.

ومن ذلك قراءة ابن مجاهد: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ"² بفتح الزاي والياء.

كانت لابن جني في هذا شرح موجز بحيث بين وجهها قائلاً: "فاعل هذا إبليس ودل عليه ما يتردد في القرآن من ذكره"³.

وهي على نحو قوله تعالى: "وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا"⁴.

ولكن المعنى الذي حمل عليه ابن جني هو المعنى الثاني "المضاف إلى الشيطان تنزيلاً لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضي الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول فإنه يحاشى أن ينسب خلق الله إلى غير الله"⁵.

¹ آل عمران: 14 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 251 ، الكشاف ، ج 1 ، ص : 533 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 396 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 252 .

⁴ النساء : 120 .

⁵ الكشاف و هامشه ، المصدر السابق ، ص : 534 .

ويقول الزمخشري: "المزين هو الله تعالى للابتلاء"¹.

ويرى المحقق: "التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلقها في القلوب وهو بهذا المعنى مضاف إلى الله تعالى حقيقة، لأنه لا خالق إلا هو خالق كل شيء من جوهر، ومن عرض قائم بالجواهر أو غيره محمود في الشرع أولاً ويطلق التزيين ويراد به الحث على تعاطي الشهوات والأمر بها، فهو بهذا الاعتبار لا يضافه منه إلا إلى الله تعالى إلا الحث على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعاً كالنكاح المقترن بقصد التناسل وإتباع السنة فيه وما يجري مجراه أمّا الشهوات المحظورة فتتزيلها بهذا المعنى الثاني المضاف إلى الشيطان"².

فابن جنّي فيما يبدو أنزلها وفسرها وفق ما ذهب إليه الحسن في تفسيره وباعتبار ابن جنّي مثل ما كان فكره دقيق في القضايا اللغوية كان فكره دقيق في القضايا الفقهية وآرائه الفقهية باعتباره تربي في مجالس الفقهاء.

قال تعالى: " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ"³.

وقرأ أبو الملهب محارب بن دثار: "شُهِدَ اللَّهُ" مضمومة الشين مفتوحة الهاء ممدودة على فعلاء⁴.

وبعل ابن جنّي نحويًا باعتباره: "منصوب على الحال من الضمير في المستغفرين أي يستغفرونه شهداء الله أنه لا إله إلا هو"⁵.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

²الكشاف ، المصدر السابق ، ص : 533 .

³العرمان : 18 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 252

⁵المصدر نفسه، ص : 252

فيقول في تقدير مفردة: "فهو جمع شهيد، ويجوز أن يكون جمع شاهد كعالم وعلماء"¹.

لأنه يعتبر القسم: "الأول أجود"².

قال تعالى: وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ³.

ومن ذلك قراءة أبي حيوة: "تُدْرُسُونَ"⁴ بضم التاء ساكنة الدال مكسورة الراء .

وقال أبو الفتح: "ينبغي أن يكون هذا منقولاً من درس وهو أدرس غيره، كقولك: قرأ وأقرأ غيره

وأكثر كلام العرب درس ودرس غيره، وعليه مصدر التدريس "⁵.

يبين ابن جني من خلال قوله هذا مصدر القراءة الشاذة ويبين المعنى المراد بحيث يعللها صرفياً

من حيث أصل صيغتها على هذا النحو، وهي من القراءات التي اعتمد فيها على الاختصار .

قال تعالى: " : " وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ "⁶.

ومن ذلك قراءة إبراهيم: "مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ"⁷.

¹المصدر السابق، ن ص .

²المصدر نفسه ، ن ص .

³آل عمران : 79.

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ن 252 .

⁵المصدر نفسه ، ص : 252.

⁶آل عمران : 143 .

⁷المحتسب، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 265 ، الكشاف، المصدر السابق ، ص : 635 ، البحر المحيط، ج3، ص

وفي هذا يقول أبو الفتح: "وجه ذلك أنك إذا لقيت الشيء فقد لقيك هو أيضا، فلما كان كذلك دخله معنى المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة، وقد جاء عينه في هذه اللفظة عينها¹."

استند ابن جنّي في توضيح وجه هذه القراءة للاستدلال المنطقي وحتى في الانتقال من جملة إلى جملة رتبته وفق ما ينص عليه المنطق بالانطلاق من المقدمة وصولاً إلى نتائج المترتبة على ما نصت عليه مقدمة الكلام.

ويربط هذا بما ورد في سماع العرب بما قالته امرأة فيما يرويه ابن جنّي²:

هَلْ إِلَّا الْمَوْتُ يَغْلَى عَلَيْهِ مُخْتَلَطًا سَافِلُهُ بِعَالِيهِ.

لَا بُدَّ يَوْمًا أَنِّي مُلَاقِيهِ.

فهذا يعتبر كشاهد ودليل على ما قاله وبينه قبل هذا، نتيجة المعنى الذي تأخذه القراءة وهو وجه المفاعلة والكلمة الشاهدة (الملاقيه) ولكن إذا ربطنا قراءة إبراهيم (تلاقوه) كما هي في الظاهر فنجد ابن جنّي لجأ إلى القياس الافتراضي الذي نجده عند الأحناف الذي وصاله الحمل على المعنى الذي يعتبر جامع بينهما والذي اعتبره كشاهد على هذه القراءة لأنّ ظاهر في القراءة الشاذة كلمة (تلاقوه) كعمل وليست كاسم (ملاقيه) ومثل ما عودنا ابن جنّي يستند إلى الأدلة الاستشهادية في توجيه القراءات وتبيينها يستند إلى الأدلة الاستشهادية التي تكون فيها القراءة الشاذة بعينها إلا في بعض مواضع مثل هذه .

وهذا فيما يبدو لنا أنّ كل هذا تجنيد للأدلة و طرق الاستدلالية لابن جنّي هو محاولته أن يلتمس وجه لهذه القراءة الشاذة بكل ما أتى من مقدرة علمية بحيث يلتسمه حتى عند من عاصروه أمثال أستاذه

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 265 .

² المصدر نفسه ، ص : 265 .

أبي علي الفارسي وذلك لتوضيح كل الوجوه والجوانب التي يمكن أن تشكل ضبابية في المعنى لهذه الآية فابن جني يورد هذا بيت من الشعر فيما قرأه عن أستاذه فيما سبق وأشرنا إليه من نوادر أبي زيد يقول فيه¹ :

فَارَقْنَا قَبْلَ أَنْ نُفَارِقَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعِنَا وَطَرًا .

ويرى ابن جني في هذا البيت أن: " ظاهره إلى التناقض "².

فهناك مناسبة لوصف ظاهره بالتناقض وكان قصدي وذلك لما يمكن رؤيته من تناقض يمكن أن يظهر ويلمسه القارئ لهذه الآية : " ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلاقوه فقد رأيتموه "³.

والتناقض يظهر من خلال: " قبل أن تلاقوه وتأتي مباشرة بعدها " قد رأيتموه " بحيث الظاهر التناقض ولكن حسب ما يقول الباقرلي : " قد رأيتم أسبابه وحذف المضاف ولا بد من التقدير هذا المضاف لأن من رأى الموت مات وقال: (رأيتموه) ولم يكونوا ماتوا فقد رأيتم أسبابه "⁴.

لذلك يحملها على البيت الشعري الذي ظاهره فيما يرى تناقض والحقيقة والجوهر غير ذلك في تبين جوهر هذا البيت يستدل عليه بالتعليل المنطقي في الوصول إلى الحقيقة المحضة مستندا إلى التقدير اللغوي والسماع والقياس كما سيظهر .

فابن جني يبين وجه التناقض الظاهر في البيت مبينا وجه الحقيقة بقوله : " لأنا إذا فارقنا لا محالة، فما معنى قوله بعد: قبل أن نفارقه ؟ وهو عندنا على إقامة المسبب مقام السبب في تفسيره فارقنا

¹ نوادر اللغة، المصدر السابق: 159 ، المحتسب ، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 265 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 265 .

³ آل عمران : 143 . (قراءة شاذة) .

⁴ نور الدين أبي الحسن بن الحسين الباقرلي ، إعراب القرآن وعلل القراءات ، تح : الشربيني ، ط 1 ، 2010 ، ص : 139

قبل أن نريد فراقه، فوضع المفارقة وهي المسبب موضع الإرادة لها وهي السبب وذلك لقرب أحدهما من صاحبه¹.

موضع التناقض فيما يظهر في الشطر الأول من البيت الشعري كان ذلك من ناحية وابن جني يظهر في هذا الموضع منطقيا وعقليا من ناحية استدلاله بالمنطق وحتى من ناحية المصطلحات المستعملة أو الموضفة في الاستدلال فهي منطقية مثل السبب والمسبب والتناقض والتي نجد نادرا ما يستعمل اللغويون هذا المصطلح في إستدلالاتهم وبيتعدون عنه كثيرا في نصوصهم لأنه يفتح أبواب شتى وكذلك الصلة بين هذه الثنائية والتبادل الذي يحدث في المراتب وما يترتب عليه في الظاهر من تناقض إلا أن هذا الاستدلال المنطقي فيه من التعقيد مثل قوله: "فوضع المفارقة وهي المسبب موضع الإرادة لها وهي السبب"².

مما ينبغي بذل الجهد ذهني للربط والتبيين وهذا كما سبق وأن ذكرنا أن حضور المنطق في توجيهات ابن جني للشواذ في مثل هذا الموضع هو نتيجة التيارات المنطقية والعقلية التي أمدت ثقافة ابن جني وفيما يبدو هذه هي المفارقة التي أعطت جانبا من سمة خصوصية للمنهج النحوي عند ابن جني والذي في الموضع الواحد نلمس أسس المنهجية لعدة علوم في علم واحد ألا وهو علم اللغة يهدف بهذا لتوضيح ما هو غامض.

ولهذا المذكور ما يماثله في قوله تعالى: "إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"³.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 265 .

²الخصائص، المصدر السابق، ج3، ص : 265 .

³النحل : 98 .

وفي هذا يقول ابن جنّي في التقدير: "إذا أردت القراءة"¹.

وهو يشير في هذا إلى أنّه: "كثير قد مر في هذا الكتاب وقد أفردنا له في الخصائص باباً قائماً

برأسه"².

واستدل بالقرآن إلى جانب فصيح كلام العرب باعتباره أصح وأقوى مصادر الاستشهاد.

صنع ابن جنّي لمنهجه النحوي في توجيهه لهذه القراءة وفي محاولة لتبيين وجهها في العربية

هيكلاً متراصاً وكانت روافد لبناته علم المنطق والصرف واللغة وكان سر هذا التراص وهيكلته الجيدة قدرة

ابن جنّي في ربط بين التعليل الصرفي والسماع اللغوي والقياس اللغوي والتقدير والتعليل المنطقي بطريقة

مرتبة نلمس فيها قدرة ابن جنّي عقلية وموسوعيته.

قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ

ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ"³.

ومن ذلك قراءة الأعمش فيما رواه القطعي عن أبي زيد عن المفضل عن الأعمش: "وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

الدُّنْيَا يُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ يُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ"⁴.

يوضح وجهها النحوي: "ووجهه على إضمار الفاعل لدلالة الحال أي يؤته الله"⁵.

¹المحتسب، المصدر السابق، ص: 266. كما يلاحظ ذكر هذا سابقاً على إرادة و حتى الشاهد، المحتسب، ج1، ص: 227

² المصدر نفسه، ن ص.

³آل عمران: 145.

⁴المحتسب، المصدر السابق، 266.

⁵المصدر نفسه، ن ص، البحر المحيط، المصدر السابق، ج3، ص: 70. الكشف، المصدر السابق، ج1، ص: 221:

ويدعم وجه هذه القراءة بقوله: "وحديث إضمار الفاعل للدلالة عليه واسع فاش عنهم"¹.

ويستشهد بقوله: "من حكاية الكتاب أنهم يقولون : إذا كان غدا فأتني، أي إذا ما نحن عليه من البلاء في

غدا فأتني، ومثله حكايته أيضا : من كذب كان شرا له، أي كان الكذب شرا له"².

ويستشهد بقول أحد الشعراء³ :

وَمُجَوِّفَاتٍ قَدْ عَلَا أَلْوَانُهَا أَسَارَ جُزءٍ مُرْصَنَاتٍ كَالنَّوَى .

ويقدر ذلك ب: قد علا التجويف ألوانها⁴.

وبعل ابن جني ذلك نحويا وصرفيا ويدلل بقوله: "وفعل من لفظ فاعلت ضربان: متعد وغير متعد

فالمتعدي كضربت زيد وضاربتة وغير المتعدي كقمت وقاومت زيدا، وأما أسرع وسرّع جميعا فغير متعدين

لكن سرع غزيرة، وأسرع كلف نفسه السرعة، لكن سارع متعد"⁵.

وقال آخر كما يقول ابن جني⁶ :

إِذَا بَهَى السَّفِيهِ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ السَّفِيهِ إِلَى خِلَافٍ .

¹المحتسب، المصدر السابق ، ص : 268 .

² المصدر نفسه، ص : 268 .

³ المصدر نفسه، ن ص .

⁴المصدر نفسه، ص : 269 .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

ويرى في هذا: "وكما أضمر المصدر مجرورا أعني الهاء في إليه يعني إلى السفه كذلك أضمره مرفوعا بفعله"¹.

ما يلاحظ اعتماده التعليل النحوي مع استشهاده بالشعر العربي والنثر.

وقال تعالى: "وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"².

ومن ذلك قراءة الحر النحوي: "يُسْرِعُونَ"³.

يفسر ابن جنّي قراءة العامة (يسارعون) بقوله: "أي يسابقون غيرهم، فهو أسرع لهم وأظهر خوفا بهم وأما يسرعون فأضعف معنى في السرعة من يسارعون، لأنّ من سابق غيره أحرص على التقدم ممن أثر الخوف وحده، وأما سرع فعادة ونحيزه أي صار سريعا في نفسه"⁴.

فسر ابن جنّي هذه القراءة المشهورة أو قراءة العامة كما يسميها في مقابل القراءة الشاذة "يسرعون" بحيث توصل إلى أن يسارعون في المشهور عني أكثر سرعة من "يسرعون" وهي القراءة الشاذة.

¹ المصدر السابق، ص: 269، معاني القرآن، ج 1، ص: 104، خزانة الأدب، المصدر السابق، ج 2، ص: 382.

² آل عمران: 176

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 276

⁴ المصدر نفسه، ن ص.

ويعلل نحويًا وصرفيًا (يسرعون) و(يسارعون) بقوله: " فعل: من لفظ فاعلت ضربان: متعد وغير متعد فالمتعدي كضربت زيدا وضاربته، وغير المتعدي كقمت وقاومت زيدا، وأما أسرع وسرع جميعا فغير متعدين، لكن سرع غريزة، وأسرع كلف نفسه السرعة لكن سارع متعد"¹.

والأمثلة التي استدل بها مستمدة من كتاب سيبويه باعتباره كمصدر من مصادر المحتسب.

¹ المحتسب، المصدر السابق ، ص: 276

المبحث الثاني: سورة الأنعام والأعراف والتوبة

2-1- نماذج من سورة النساء :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ"	03	" أَلَّا تُقْسِطُوا "	ج 1 ، ص : 279
" فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا "	30	"فسوف نصليه نارا"	ج 1 ، ص : 288
" أَلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِن الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا "	148	" إِلَّا مَن ظَلَمَ "	ج 1 ، ص : 308

المنهج النحوي من خلال الآية:(30،03، 148) سورة النساء

قال تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ"¹.

ومن ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه: " أَلَّا تُقْسِطُوا "² بفتح التاء .

ويرى ابن مجاهد: " لا أصل له "³.

وفي الرد على ما قاله ابن مجاهد يقول ابن جنّي: " هذا الذي أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر "⁴.

¹النساء: 03

² المحتسب، المصدر السابق، ص : 279

³ المصدر نفسه، ص : 279

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

وفي هذا تعارض في الوجه الذي جاءت عليه هذه القراءة الشاذة ويعلل هذا بتقدير المعنى المراد بقوله: "وذلك على زيادة (لا) حتى كأنه قال: إن خفتم أن تقسطوا في اليتامى أي تجرروا يقال قسط: إذا جاز وأقسط: إذا عدل" ¹.

وبهذا التقدير يعلل صحة ما ذهب إليه بذكر المعنى المراد من هذا التعليل هو دليل على خطأ ابن مجاهد فيما يذهب إليه عدم إقراره بهذه القراءة .

وذلك بتقدير ماضي الفعل الذي كان منه " تقسطوا "، ويحمل معنى القراءة الشاذة على أنها من فعل "قسط" فهي حاضرة في هذا الموضع وهذا مستقيم لا يمكن إنكاره مثل ما فعل ابن مجاهد.

وببين ابن جني وجه هذه القراءة مؤكدا من القرآن ما ذهب إليه في تعليقه من التفسير المراد من هذه القراءة الشاذة قوله تعالى: "وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا" ².

يفسر الزمخشري هذا بقوله: "أما القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق" ³.

وكذلك يروى عن سعيد بن جبیر رضي الله عنه " أنّ الحجاج قال حين أراد قتله: ما تقول في؟ قال : قاسط عادل فقال قوم ما أحسن ما قال حسبوا أنّه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة، إنّهُ سمانی ظالما مشركا " ⁴.

وما ذهب إليه ابن جني يوافق ما ذهب إليه الزمخشري في المعنى وحتى المثال الذي ذكره في التفسير يوافق ما ذهب إليه ابن جني .

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² الجن: 15

³ الكشاف، المصدر السابق، ج 1 ، ص: 244

⁴ المصدر نفسه ، ن ص.

ويرى ابن جني أن ما ذهب إليه يبين صحته هذا المثال الذي ذكره على استقامة هذه القراءة الشاذة إضافة إلى التفسير الذي ذكره ضمن تعليقه وأما أنها على زيادة "لا" فهي قد شاعت عنهم واتسعت ويقصد بها أن هذه مستعملة في كلام العرب وشائعة الاستعمال عندهم .

وفي هذا قوله تعالى: "لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ"¹، وكذلك قوله تعالى: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ"².

وهذه الآية في رأي ابن جني في معناها: "وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون"³.

ويحمل هذا على قول أبي النجم⁴:

وَاللُّومُ الْبَيْضَ الْأَسْخَرَ
إِذَا رَأَيْنَ الشَّمَطَ الْقَفْدَرَا.

وتقدير ذلك: "أن تسخرا"⁵.

وبضيف على هذا بقوله: "والأمر فيه أوسع"⁶.

¹ الحديد : 29

² الأنعام : 109

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 280

⁴ الخصائص ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 283 . (لم نعثر عليه في ديوان أبي النجم)

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 280

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

ويضيف على استقامة ما ذهب إليه في مقابل إنكار ابن مجاهد بقوله: "بهذا يعلم صحة هذه القراءة"¹ ومؤكدا الحكم الذي أطلقه في البداية.

اعتمد ابن جني في تبين وجه هذه القراءة التي من خلالها التزم بخطة الكتاب الذي وعد به نفسه بحيث ينتصر ويدافع عن الشاذ من القرآن، بحيث صرح باستقامة هذه القراءة الشاذة التي أنكرها ابن مجاهد وهذه الاستقامة مبنية على تقدير المعنى استنادا إلى ما ورد في تفسيرها بحيث يوافق هذا ما ذهب إليه المفسرون أمثال الزمخشري وحمل معنى هذه الآية على ما ورد في القرآن الكريم من سورة الجن والحديد باعتبار القرآن أصح الأدلة هادفا بذلك لتبيين صحة وترسيخ الحكم الذي أطلق على هذه القراءة الشاذة والتي يلمس من خلالها علة التشابه في المعنى .

قال الله تعالى: " فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا "².

ومن ذلك قراءة إبراهيم والأعمش: " فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَارًا "³.

قال أبو الفتح في هذا مبينا وجه هذه القراءة: " يروى في الحديث أنه أتى بشاة مصليّة أي مشوية يقال: صلاه يصليه: إذا شواه، ويكون منقولا من صلي نارا كقولك: كسى ثوبا وكسوته ثوبا، ومثله إلا أنه قبل النقل غير متعد وشتر وشترته، وغارت عينه وغرتها "⁴.

¹ المحتسب، المصدر السابق ، ص :281

² النساء :30

³ المحتسب ،المصدر السابق ،ص :278 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج3، في شواذ القرآن من كتاب البديع لإبن خالويه ، ص :40.

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 287 .

ورد في هذا قول الشاعر¹:

وصاليات كلما يُوثقين.

ويرى ابن جنّي أنّه "من صلي"².

وقراءة الجماعة: "بضم فهو منقول من صلي أيضا إلاّ أنّه نقل بالهمزة لا بالمثل كقولك طعم خبزاً وأطعمته خبزاً، وعلم الخبز وأعلمته إياه، أي: عرف وعرفته"³.

يبين وجه هذه القراءة معتمدا التعليل العقلي ممثلا عن ذلك بما ورد في كلام العرب بما يماثلها بقوله: "الصّلّى: النار منه وهو لقولهم: صليته نارا"⁴.

وهذا من المواضع الذي يعتمد فيها التفسير والتعليل الفقهي حتى تحسبه كتاب في الفقه والتفسير وصاحبه مفسر أو فقيه وهو لا يذكر فقط هذه الكلمة كما هي ظاهرة فقط وإنّما يحيط بكل المعاني التي تتناهبها معتمدا في ذلك الجانب الفقهي فيها وللتفريق يضيف: "أنّ الصلاة ليست من الياء لقولهم في جمعها: صلوات وقال لنا أبو علي سنة سبع وأربعين: الصلاة من الصّلواين للركوع، فأما القيام فلا يخص الصلاة دون غيرها وهو حسن"⁵.

يؤصل لكلمة الصلاة صرفيا مستشهدا بقول أبي علي فارسي وهو عاصره وعاشره وكان سنة 47 هـ وكان بقصد مخالفا غيره في التأصيل واستشهد بشعر الخطام المجاشعي وهو من الجاهليين جامعا في

¹ المحتسب ، ج 1 ، ص : 288 ، و هو الخطام المُجاشعي كماورد في الكتاب ج 1 ، ص : 32 ، خزانة الأدب، ج 1 ، ص : 367 ، شرح

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 288 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه، ص : 288

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

ذلك بين زمنين مستشهدا بما ورد في كلام العرب ولم يصرح بشذوذ هذه القراءة إلا أنه يظهر من خلال المقارنة بينها وبين المشهورة باعتبار النقل كان بالهمزة لا المثال وهذا يخرجها عن دائرة المشهور ويدخلها دائرة الشذوذ.

قال تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا"¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: وعبد الأعلى بن عبد الله بن مسلم بن يسار وعطاء بن السائب وابن منار: "إِلَّا مَنْ ظَلَمَ"².

وبعللها نحويًا بقوله: "ظَلِمَ وَظَلَمَ جميعًا استثناء المنقطع"³

في تبیین وجهها ولكن يستدرك ذلك بقوله أي: "لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره"⁴.

ودليل هذا التفسير الذي ذهب إليه ابن جني هو قوله تعالى: "وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا"⁵.

وعلة الفقهية في هذا أن الله سبحانه وتعالى سميع وعليم ولذلك لا يخفى عليه أمر من ظلم وهذا

موضع من المواضع التي تظهر فيه ثقافة ابن جني الفقهية .

¹ النساء: 148 .

² المحتسب، المصدر السابق، ص: 308، مختصر في شواذ القرآن: ص: 37 .

³ المحتسب، المصدر السابق، ص: 309 .

⁴ المصدر نفسه ، ص: 309 .

⁵ النساء : 148 .

2-2- نماذج من سورة الأنعام

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً "	101	" و لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً "	ج 1 ، ص : 332
وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "	105	دُرِسْتُ : " دَرَسَ " : دَرَسْنِ "	ج 1 ، ص : 334
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "	117	" إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ "	ج 1 ، ص : 348
" لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا "	159	" لَا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا "	ج 1 ، ص : 348

المنهج النحوي من خلال الآية: (159، 101، 105، 117) من الأنعام

قال تعالى: " وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ¹.

ومن ذلك قراءة إبراهيم: " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً " ².

ويقسم ابن جني أوجه هذا التذكير إلى ثلاثة أوجه مع تعليلها من ناحية النحوية ³:

¹ الأنعام: 101 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 332 ، مختصر في شواذ القرآن ، المصدر السابق ، ص : 46 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 333

أحدهما: أن يكون في "يكن" ضمير اسم الله أي لم يكن الله له صاحبة وتكون الجملة التي هي "له صاحبة" خبر كان.

والثاني: أن يكون في يكن ضمير الشأن والحديث على شريطة التفسير وتكون الجملة بعده تفسيراً له وخبراً، كقولك كان زيد قائم، أي كان الحديث والشأن زيد قائم.

والثالث: أن تكون "صاحبة" اسم كان وجاز التذكير هنا للفصل بين الفاعل والفعل بالظرف الذي هو الخبر، كقولنا: كان في الدار هند.

ويمثل له بما حكاه سيبويه " من قولهم حضر القاضي اليوم امرأة" ¹.

ويخص نفسه برأي بحيث يستحسن ويفضل هذا الوجه الذي كانت عليه هذه القراءة الشاذة: " أنّ تذكير كان مع تأنيث اسمها أسهل من تذكير الأفعال سواها وسوى أخواتها مع فاعليها" ².

ويظهر هنا موقفه انتصاري من الشاذ وكلمة التفضيل "أسهل" أكبر دليل ويجسد هذا التفضيل من خلال قوله: " كان في دار هند أسوغ من قام في الدار هند " ويعلل صرفياً ما جاء في تأنيث الفعل بتأنيث فاعله وعلى التمثيل للقراءة: " إنّما احتيج إلى تأنيث الفعل عند تأنيث فاعله لأنّ الفعل انطبع بالفاعل حتى اكتسى لفظه من تأنيثه ف قيل: قامت هند وانطلقت جُمْل " ³.

ويعلل ذلك نحويًا كذلك بقوله: " كان الفعل والفاعل يجريان مجرى الجزء الواحد " ⁴.

¹ المصدر السابق، ص: 333.

² المصدر نفسه ، ص: 333 .

³ المصدر نفسه ، ص : 333 .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

وكان في هذا تأكيد لقاعدة صرفية ونحوية، وفيما يبدو ابن جنّي ينبه لعدم حمل هذه القراءة الشاذة محمل جريان الفعل والفاعل باعتبار قراءة العامة فيما يظهر للوهلة الأولى أنها كانت مؤنثة و"صاحبة" مؤنثة لذلك في محاولة لتبيين وجه هذه القراءة ينبه إلى التفريق في هذا من خلال قوله.

وفي تبیین وجه شذوذ هذه القراءة ويعلل ما ذهب إليه عقليا بقوله: "وإنما كان كذلك لأن كل واحد منهما لا يستغني عن صاحبه، فأنت الفعل إيذانا بأنّ الفاعل الموقع بعده مؤنث، وليس كذلك حديث كان وأخواتها، لأنّه ليست مع اسمها كالجزء الواحد من قبل أنّك لو حذفته كان لاستقلال ما بعدها برأسه فقلت في قولك: كان أخوك جالسا: أخوك جالس: فلما أن قام ما بعدها برأسه ولم يحتج إليها ولم يتصل به اتصال الفاعل بفعله نحو: قام جعفر وجلس بشر¹."

كان فيه تأكيد لعدة آراء نحوية منها إجراء الفعل الفاعل مجرى الجزء الواحد.

واستقلال ما بعد كان عنها لو حذفته معتمدا العقل سبيلا في تبیین هذا من خلال ما ذهب إليه سابقا في شذوذ هذه القراءة وممثلا لذلك بما ورد في كلام العرب.

ويطرح في أخير هذا التوجيه جملة من التساؤلات ألا وهي: "ألا تراك لو حذفته الفعل هنا لانفرد الفاعل جزء برأسه فلم يستقل بنفسه استقلال الجملة بعد أن كان بنفسها؟ فلما لم تقو حاجته كانت حاجته إلى "كان" قوة حاجة الفاعل إلى الفعل انحطت رتبته في حاجته إلى "كان" فامتاز منها امتيازاً قد أحطنا به فساغ لذلك ألا يلزم تأنيث "كان" لاسمها إذا كان مؤنثاً - تأنيث الفعل لفاعله إذا كان مؤنثاً ويذكر أحد من أصحابنا هذا فافهمه فإنّ هذه حاله²."

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 334 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

يبين ابن جني من خلال هذه التساؤلات وجود هذه القراءة في العربية باعتباره أقر بعدم إلزام تأنيث " كان " لاسمها اذا كان مؤنثا مثل ما هو حال قراءة إبراهيم بالياء بدل التاء تأنيث وفق تأنيث اسمها " صاحبة " لأنّ هذه القاعدة مجرّها ينطبق على الفعل وفاعل باعتبار منزلة الجزء الواحد .

وهناك بين كان واسمها وفعل وفاعل فارق وهذا الفارق مجسد في عنصر " الحاجة " فحاجة فعل للفاعل أقوى من كان لاسمها والاستقلالية كذلك تملكها جملة بعد حذف كان أقوى من حذف فعل الفاعل وإبقاء على الفاعل برأسه.

وما يلاحظ في تقسيم الذي أورده أنّه لم يستبر أي قسم من الأقسام التي ذكرها والتي من ممكن أن تكون عليها من دون أن يفضل وجه لغوي على الآخر معتمدا سماع العرب كمعبر للتمثيل على ما ذكره من أوجه لغوية والقياس سبيل لذلك وتعليل العقلي كأداة لتوضيح وجوه المفارقة حتى لا يكون خلط بين الفعل والفاعل وكان واسمها وعدم انزلها منزلة واحدة وكان يستحسن بعض الآراء كنفردا بخصوصية رأيه من خلال ذكره آراء اللغويين عدة والذين كان يلقبهم بأصحابنا ومنهم سيويوه الذي لقبه بصاحب الكتاب وكان التعليل النحوي والصرفي كدليل لإثبات القواعد التي يحملها وجه هذه القراءة .

قال تعالى: " وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة ورويت عن الحسن: "دُرِسَتْ" ².

ويقراً ابن مسعود وأبي: "درس" وابن مسعود أيضا: "دَرَسْن" ³.

¹ الأنعام : 105 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 334 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 193 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 334 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 197 .

قال أبو الفتح: "أما دُرِسَتْ" ففيه ضمير الآيات معناه وليقولوا درستها أنت كالقراءة العامة "دارست"¹.

ويجوز أن يكون درست أي عفت لقراءة ابن مسعود (دُرِسَتْ) أي: عفون فيكون إنَّ هذا "إلا أساطير الأولين"².

وأما ابن مسعود يقول "درس" ففيه ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويعلل ويبين فقهياً بقوله: "وشاهد هذا دارست، أي فإذا جننتم بهذه القصص والأنباء قالوا: شيء قرأه وقارأه به فأتى به، وليس من عند الله أي يفعل هذا بهم لتقوى أثره التكليف عليهم زيادة في الابتلاء لهم كالحج والغزو وتكليف المشتاق المستحق عليها الثواب وإن شئت كان معناه فإذا هم يقولون كذا"³.

وهي محمولة وفق قياس الفقهاء نظير على نظير قوله تعالى: "فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً"⁴. وتقديرها "فإذا هو عدو لهم"⁵.

قال تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"⁶.

ومن ذلك قراءة الحسن: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ"⁷.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 334 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص : 197 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 335 .

³ المصدر السابق ، ص : 335

⁴ القصص : 8 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 335 .

⁶ الأنعام : 117 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 337 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 210 ، الكشاف ، ج 2 ،

ويرى أبو الفتح في هذا: "أنه لا يجوز أن تكون من في موضع جر بالإضافة أعلم إليها لا فيمن ضم ياء يُضِل ولا فيمن فتحها من حيث كانت أعلم "أفعل" وأفعل هذه متى أضيفت إلى شيء فهي بعضه كقولنا زيد أفضل عشيرته، لأنه واحد منهم ولا نقول: زيد أفضل إخوته لأنه ليس منهم ولا نقول أيضا: النبي أفضل بني تميم على هذا لأنه ليس منهم، لكن نقول: محمد صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم لأنه منهم، والله يتعالى علوا عظيما أن يكون بعض المضلين أو بعض الضالين"¹.

يبين وجه هذه القراءة الشاذة باعتبارها من ناحية النحوية محل الإضافة ومن ناحية الصرفية باعتبار صيغتها على وزن " أفعل " تفيد التبعية بحيث متى أضيفت إلى شيء فهو بعضه كما ومما يشير إليه كذلك هو خروجها عما تعنيه من تبعيض هنا باعتبار الله تعالى لا يمكن أن يكون بعض الضالين أو المضلين كذلك أما قوله تعالى: "وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ"².

فيرى ابن جنّي في هذا استنادا إلى التأويل الفقهي: "ليس من هذا، إنما تأويل ذلك - والله أعلم - وحده ضالا"³، وهي حملا على قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ"⁴ بجامع الاشتراك في المعنى.

ويقدر قوله تعالى (أعلم) القراءة الشاذة بقوله: "أي يجيره عن الحق ويصد عنه"⁵.

ويريد كذلك منه قراءة العامة: "من يجوز عنه"⁶.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² الجاثية : 23 .

³ التأويل في معناه اصطلاحى: "نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، ج1 ، ص : 80 ويراد به التأويل النحوي : " حمل النص على غير ظاهره لتصحيح المعنى الأصل النحوي " التأويل النحوي في القرآن الكريم ، عبد الفتاح أحمد الحموز ، ج1 ، ص : 17

⁴ الضحى : 07

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 338 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

ويرى الزمخشري في معنى هذا: "من يضلّه الله"¹.

والآية التي قبل هذا، يرى فيها ابن جنّي أنّه "لا محالة أنّه - سبحانه - بمن يُضلّ عن سبيله"² ويعلّل هذا نحويًا بقوله: "فحذف الياء وأوصل (أعلم) هذه بنفسها أو أضمر فعلا وصلا تدل هذه الظاهرة عليه"³.
وينزع نزعة عقلية في هذا كذلك في تقدير قوله تعالى: "هو ظهور الياء معه في قوله و(هو أعلم بالمهتدين)"⁴.

وقوله بعده: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ"⁵.

والوجه النحوي الثاني الذي يحتمل لهذه القراءة هو "احتمال أن تكون من مرفوعة بالابتداء ويضل بعدها خبر عنها، وأعلم هذه معلقة عن الجملة"⁶.

وأول ابن جنّي هذا بقوله: "حتى كأنّه قال: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ أَيُّهُمْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ"⁷ وهي محمولة على قوله تعالى: "لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"⁸.

وفي هذا يستشهد بقول لحاتم الطائي يقول فيه⁹:

¹ الكشاف ، المصدر السابق ، ص : 390 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 338 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 338 .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ المصدر نفسه ، ص : 338 .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

⁸ الكهف : 12 .

⁹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 338 ، رجعت إلى ديوان حاتم و لم أجد هذا البيت رغم التمعن و البحث حتى في شرحه لأحمد رشا مطبعة دار الكتب العلمية .

غدوت بهم أمدّ ذويّ ظلامٍ وأكثّر من ورائي ماء وادي .

ويرى أنّ "من في هذا لا يجوز أن تكون في موضع جر بالإضافة أكثر إليه إذ ليس واحدا ممن وراءه فهو منصوب الموضع لا محالة بأكثر أو بما دل عليه أكثر، أي كثرتهم: كنت أكثرهم ماء واد"¹.

جمع ابن جنيّ في تعليقه هذا التعليل النحوي والعقلي معتمدا سبيل التقدير اللغوي .

إلا أنّ ما أجاز ابن جنيّ في هذه القراءة الشاذة من رفع لم يوجزه في هذا البيت باعتبار "الرفع الذي جاز مع العلم لأنّ كثرت ليس من الأفعال التي يجوز تعليقها إنّما ما كان من الأفعال داخلا على المبتدأ وخبره"².

وما يظهر هو تسويغات والتعليلات العقلية التي اتصف هذا الموضع التوجيهي والتبيني لهذه القراءة بها بحيث كل ما يذكره إلا ويعلله .

ما يلاحظ فيما يبدو جمع بين العلل وفي الموضع الواحد علة النحوية والصرفية والعقلية بالإضافة إلى اعتماده بعض طرق الفقهاء مثل الحمل على النظر لجامع المعنى واستدلال عن طريق التأويل الفقهي معتمدا في استشهاده القرآن باعتباره أصح الأدلة وذلك وفق أسلوب مدرسته اللغوية التي كانت " تتميز بعنايتها بالقرآن "³ واعتماده كذلك الشعر الجاهلي مثل ما سبق وأن ذكرنا .

قال تعالى: " لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا "⁴.

¹المحتسب ، المصدر السابق، ن ص .

²المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 338 .

³ أحمد عمر المختار ، البحث اللغوي عند العرب ، المرجع السابق ، ص : 32 .

⁴ الأنعام : 159 .

ومن ذلك قراءة أبي العالية: "لَا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا"¹ بالتاء .

وفيما يروي عن ابن جني أن: "ابن مجاهد قال: وهذا غلط"².

ويرد عليه ابن جني كعادته بقسوة ويعلل ردّه هذا صرفيا بقوله: "ليس ينبغي أن يطلق على شيء له وجه في العربية قائم وإن كان غيره أقوى منه أنّه غلط، وعلى الجملة فقد كثر عنهم تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت إضافته إلى المؤنث وكان المضاف بعض المضاف إليه، منه أو به"³.

واستشهد ابن جني على هذا بما أنشده أستاذه أبو علي الفارسي لابن مقيل⁴:

قَدْ صَرَّحَ السَّيْرُ عَنْ كِتْمَانَ وَابْتَدَلَتْ
وَقَعَ الْمَحَاجِنَ بِالْمَهْدِيَةِ الذَّقْنِ .

والمماثلة بين هذا البيت الشعري في تأنيث "وقع" وفي تأنيث القراءة الشاذة فيما يرى ابن جني أن الشاعر: "أنث الوقع وإن كان مذكرا لما كان مضافا إلى المحاجن وهي مؤنثة إذا كان الوقع منها"⁵.

كان تأكيده هذا وفقا لمذهبه وتأكيد لرده على ابن مجاهد، وإن كان من يرى أنّ الرد لاختلاف في النزعة باعتبار ابن مجاهد كوفي النزعة وابن جني بصري الهوى⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 346 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 260 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 347 .

³ المصدر السابق ، ن ص .

⁴ وهو تميم ابن مقيل و قوله : "صرّح السير" أي كشف وبين عن هذا المكان و ذلك ببلوغهم إياه، و كتمان: اسم موضع والمهدية يريد بها الإبل المنسوبة إلى مهرة إحدى قبائل اليمن والذقن جمع الذقون ،وهي التي تميل نقتها إلى الأرض والمحاجن : العصي المعوجة و في الكلام قلب أي ابتدلت المهريّة بوقع المحاجن عليها " الخصائص ، ج 2 ، ص : 418 وهامشه .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 345 . معاني القرآن ، الفراء ، المصدر السابق ، ص : 187 .

⁶ محمود الصغير أحمد ، القراءات الشاذة و توجيهها النحوي ، المرجع السابق ، ص : 258 .

ولكن ابن جنّي فيما يقول أحمد عمر مختار: " هو رائد المدرسة اللغوية خرجت عن أصول البصريين تتمتع بأسلوب متميز في البحث "¹.

فيما يظهر من خلال اطلعنا توصلنا إلى أنّ ابن جنّي كان له أسلوب متميز في التأليف والبحث ولكن توجهه اختياري باعتباره كان منتميا إلى المدرسة البغدادية ويستشهد على هذا أيضا بقول ذي الرّمة² :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَرَّت الرِّمَاحُ تَسْفَهَتْ
أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ .

وفي هذا يرى ابن جنّي: " أنث (المَر) لإضافته إلى الرياح وهي مؤنثة إذا كان (المَر) من الرياح ونظائر ذلك كثيرة جدا ولا وجه للإطالة بذكرها فهذا وجه يشهد لتأنيث الإيمان إذ كان من النفس وبها"³.

ويحمله أيضا على قوله: " فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "⁴.

وفي هذا يرى ابن جنّي: " تأنيث المثل لأنّه في المعنى حسنة "⁵.

وفيما يلاحظ ابن جنّي لا يكتف بذكر الشاهد فقط وإثما يشرحه لتأكيد والإقناع .

وفي هذا الأخير يقول ابن جنّي: " فهلا حملته على حذف الموصوف، فكأنّه قال: فله عشر حسنات أمثالها، قيل حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قبل ليس يستحسن في القياس "⁶.

¹ البحث اللغوي عند العرب ، المصدر السابق ، ص : 32 .

² ذي الرمة، ديوان، المصدر السابق، ص : 616، الكتاب، سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص : 52 .

³ المحتسب، المصدر السابق ، ص : 347 .

⁴ الأنعام : 160 .

⁵ المحتسب، المصدر السابق ، ص : 347 .

⁶ المصدر نفسه، ن ص.

ولذلك لا يستحسن الحمل " دانية " في قوله تعالى : " وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا"¹.

وهي على مثال ما ذكر إقامة الصفة مكان الموصوف ويقدرها بـ " وجنة دانية ظلالها"²

وتصبح جنة قوله تعالى: وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا "³. عطا على جنة قوله تعالى " وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا "⁴.

ودانية عليهم ظلالها فكانت حالا معطوفة على حال قبلها⁵.

وبضيف ابن جنّي استنادا لتعليقه نحويا لهذه الآية وتفسيرها فقها أن يكون تقدير الآية " فله عشر حسنات أمثالها"⁶.

ويستدرك قوله في هذا: " بل تكون أمثالها غير صفة لكنه محمول على المعنى، إذ كانت حسنات كما ترى"⁷.

وذكر هذا الاحتمال لغلق باب النقاش في ذكر النقيض مع نفي مناظرته في الأخير باعتباره غير مستحسن في القياس وابن جنّي حمل عليه باعتبار الآية منفي عنها التقدير الذي يكون بإقامة الصفة مقام الموصوف المحذوف.

¹ الإنسان :14 .

²المحتسب، المصدر السابق ، ن ص .

³الإنسان :13.

⁴ الإنسان :14 .

⁵المحتسب ، المصدر السابق ، ص :347 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

أكد ابن جني من خلال هذا عدة قواعد نحوية، ويتبع منهج الفقهاء في الحمل على المعنى في قوله تعالى: "يَلْتَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"¹.

يرى ابن جني في هذا: "لما كان ذلك البعض سيارة في المعنى"².

وينتقل في استشهاد عن هذا لتأكيد وجه هذه القراءة في العربية الذي رماه ابن مجاهد بالغلط يقول الأصمعي فيما حكاه عن أبي عمرو قال: "سمعت رجلاً يقول: فلان لغوب جاءتته كتابي فاحتقرها، قال: فقلت له أنقول جاءتته كتابي؟ فقال: نعم أليس لصحيفة"³.

وفي هذا يقول ابن جني: "فلا تعجب إلا من هذا الأعرابي الجافي وهو يعلل هذا التعليل في تأنيث المذكر وليس في شعر منظوم فيحتمل ذلك له"⁴.

إنما هو في كلام منثور، فكذاك يكون تأنيث الإيمان ألا تراه طاعة في المعنى؟ فكأنه قال لا تنفع نفساً طاعتها.

¹ يوسف: 10.

² المحتسب، المصدر السابق، ص: 348.

³ المصدر نفسه، ن ص.

⁴ المصدر نفسه، ص: 348.

2-3- نماذج من سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا "	22	" يَخْصِفَانِ "	ج 1 ، ص : 355
" إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ "	35	" إِمَّا تَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ "	ج 1 ، ص : 358

المنهج النحوي من خلال الآية (22 ، 35) من سورة الأعراف

قال تعالى : " وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ " ¹.

ومن ذلك قراءة الزهري : " يَخْصِفَانِ عليهما " ² من أخصف .

قال أبو الفتح في هذا: " مألوف اللغة ومستعملها خصف الورق ونحوه، وأما أخصف فكأنها منقولة من خصفت، كأنه و-الله أعلم-: يخصفان أنفسهما أو أجسامهما من ورق الجنة ثم حذف المفعول على عادة حذفه في كثير من المواضع " ³.

وفي هذا حكم غير مباشر على شذوذ هذه القراءة باعتبار مألوفية القراءة المشهورة التي من الفعل "خصف". ويفسرها وفق ما توصل إليها معلا ذلك نحويًا باعتباره على حذف المفعول.

¹ الأعراف: 22 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 355 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج4 ، ص: 266 ، الكشف ، ج2، ص: 434 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص: 49

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 355 .

وفق ما يمكن أن يوجد في كثير من مواضع من كلام العرب مثال ذلك ما أنشده أبو علي للحطيئة¹:

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعي.

ويقدر ابن جنّي ذلك بـ: "تصون الحديث تخزئه"².

ميّز منهج ابن جنّي الجمع بين علة النحوية والصرفية فيما ذهب إليها بطريقة مختصرة معتمدا في ذلك التفسير الفقهي لهذه الآية وفق مذهبه.

و الإعتراض بـ " والله أعلم "³ دليل فيما يبدو على هذا.

قال تعالى: "إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ"⁴.

ومن ذلك قراءة أبي بن كعب والأعرج والحسن: "إِمَّا تَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ"⁵.

ويرى ابن جنّي في " هذه القراءة بعض الصنعة "⁶

والعلة هذه الصنعة ما يليه من قوله تعالى: "يَقُصُّونَ عَلَيْكَ آيَاتِي"⁷.

¹ المصدر السابق، ص: 335 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، مكتبة العصرية، بيروت، ط8 ، 2007، ص: 362 . و هناك من يرى أنّ: " أي أحد ورق اليقطان، قيل: هو ورق التين و يلزقانه بعورتها ليستراها طبقة فوق طبقة " . و قال صاحب البحر يستعمل " خصف النعل وضع جلدا على جلد و الجمع بينهما يسير و الخصف الفرز " البحر المحيط: ج4 ، ص: 266

⁴ الأعراف: 35 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص: 357 . مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 49 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 357 .

⁷ الأعراف: 35 .

ويرى ابن جنّي في تذكير يقصون يرى: " فالأشبه بتذكير يقصّون التذكير بالياء في قراءة الجماعة يأتينكم"¹.

ويمثل لها من كلام العرب بقوله: " فنقول على هذا، قامت الزُّيود وقام الزيدون وتذكر لفظ قام لتذكير الزيدون وتؤنث لفظ قامت لأنّ الزيود مكسر ولا يختص بالتذكير لقولك الهنود "².

وفي هذا بين الصنعة التي كانت في القراءة إلا أنّه لم ينس موقفه من الشاذ بالانتصار وإيجاد مكان لها رغم اعترافه بأفضلية المشهور وهذا ما يظهر من خلال قوله: "وقد يجوز قامت الزيدون، إلا أنّ قام أحسن"³.

واستعماله " قد " أداة نحوية قبل المضارع يفيد كما هو معروف التقليل والشك في الغالب وندر ما تكون للتحقيق معه⁴، ولكن ما يؤكد أنّها تحمل معنى الشك كذلك زيادة على هذا هو ذكره كلمة " أحسن" وهي كلمة تدل على المفاضلة في الصورة الثانية للمثال نفسه والذي يوافق صورة القراءة المشهورة وفي هذا كذلك حكم غير مباشر للشذوذ هذه القراءة بإعطائها مرتبة أدنى من المشهور والمعتاد في العربية.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 357 .

² المصدر نفسه ، ص : 357 ، 358 .

³ المحتسب ، ن ج ، ن ص .

⁴ علي توفيق جميل الزغبى ، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، دار الأمل ، ط2 ، 1993 ، ص : 230 .

2-4- نماذج من خلال التوبة

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ "	47	" و لَأَرْقُصُوا خِلَالَكُمْ "	ج 1 ، ص : 410
" إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ "	66	" إِنْ تُعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ "	ج 1 ، ص : 417

المنهج النحوي من خلال الآية (47 ، 66) من سورة التوبة :

قال تعالى : " وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ "¹.

ومن ذلك قراءة ابن الزبير : "وَلَأَرْقُصُوا خِلَالَكُمْ "².

تفسير القراءة المشهورة بحيث يرى في معناها: " يقال: وضع البعير يضع وأوضعتة أنا أي: أسرعت به، وكذلك الرقص، والرقصان، يقال: رقص وأرقصته أنا "³.

¹ التوبة : 47 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 410 ، مختصر في شواذ القرآن ابن خالويه ، ص : 43 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 411 .

وهناك كلمتان تترادف فيما يبدو كل من الكلمتين بمعنى السرعة والحركة ويحمل هذا على قول دريد بن الصمة في يوم غزوة حنين¹:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ أَحَبُّ فِيهَا وَأَضَعُ.

كَأَنَّنِي شَاةٌ صَدَعُ.

ويرى ابن جني أنه يعني بالجذع هنا الشاب الحدث وأضع ويضع الرجل إذا عدا يضع وضعا²، بمعنى يسرع وأنشده وهو شيخ لا قوة له.

وحمل معناها كذلك على قول حسان بن ثابت في قوله³:

بِرُجَاةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي دَنِّهَا رَقَصَ الْقُلُوصُ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلٍ⁴.

وفي التفريق الدقيق لاستعمال كل من "رقص" و"يوضع" يقول جميل⁵:

بِمَا تُرْدِينِ امْرَأً جَاءَ لَا يَرَى كُودِكَ وَدَأَّ قَدْ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا.

ويرى ابن جني في هذا البيت بحيث لا يقال: "رقص إلا لللاعب أو للليل وشبهت الخمر بذلك"⁶.

¹ ديوانه ، ص : 93 .

² المحتسب ، المصدر السابق، ص : 411 ، و هامشه

³ حسان بن ثابت، الديوان، تح : السيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 290 .

⁴ ويقصد به اضطراب في قعرها ورقص قلووص أي سير الناقة جنباً، هامش المحتسب ، ج 1 ، ص : 421 و ديوانه، ص: 290 . وفيه فإذا راكب يوضع : بحث راحلته، المحتسب و هامشه .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق . ص : 411 . رجعنا إلى ديوانه و لم نجد هذا البيت فيه .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص .

قال تعالى: " إِنْ تُعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ ¹ .

ومن ذلك ما روي عن مجاهد: "إِنْ تُعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ² .

بالتاء المضمومة " تُعَدُّ طَائِفَةٌ ³ .

وبيين وجه هذه القراءة وعلتها صرفيا بقوله: " الوجه يعف بالياء لتذكير الظروف كقولك: " سيرت

الدابة وسير بالدابة وقُصِدَتْ هند وقصد إلى هند لكنه حمله على المعنى فأنتث تُعَف ⁴ .

يقدر معناها وفق العقل والمنطق بقوله: "كأنه قال: إِنْ تُسَامِحَ طَائِفَةٌ أَوْ إِنْ تُرْحَمَ طَائِفَةٌ وزاد في

الأنس بذلك مجئ التانيث يليه وهو قوله (تُعَذِّبُ طَائِفَةً) والحمل على المعنى أوسع وأفشى ومنه ما مضى

ومنه ما سنرى ⁵ .

في إشارة منه إلى أَنَّ الحمل على المعنى واسع والمثال على هذا، استعماله في مواضع كثيرة من

هذا الكتاب مثل ما سبق وأن بيّنا هذا في دراستنا للعديد من القراءات الشاذة السابقة وكذلك ما سنبينه من

حمل على المعنى للقراءات الشاذة اللاحقة.

¹ التوبة: 66

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 417 .

³ المختصر في شواذ القرآن، ص : 53 ، البحر المحيط، المصدر السابق، ج 5 ، ص : 67 ، الكشاف، المصدر السابق،

ج 2 ، ص : 200 ، المحتسب، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 417.

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 417 .

⁵ المصدر السابق ، ص : 417 .

الفصل الثالث: المنهج النحوي عند

ابن جنّي

من خلال نماذج

من القراءات الشاذة نحويًا

1-1- نماذج من سورة البقرة وآل عمران

1- نماذج من سورة البقرة :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا "	26	"مَثَلًا مَا بَعُوضَةً "	ج 1 ، ص : 145
" أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "	161	" أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ و الملائكة و الناس أَجْمَعُونَ "	ج 1 ، ص : 203
:" يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "	278	" اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا "	ج 1 ، ص : 205
" لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ "	177	" لَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ . "	ج 1 ، ص : 235

المنهج النحوي من خلال الآية (26 ، 161 ، 177 ، 278) من سورة البقرة

قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا " ¹ .

ومن ذلك قراءة رؤية : " مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً " ² بالرفع .

وهذا يرويه ابن مجاهد عن : " أبو حاتم عن أبي عبيدة عن رؤية " ³ .

ويرى أبو الفتح مبينا وجه شذوذ هذه القراءة وفق وجهة نحوية أن : " ما هاهنا بمنزلة الذي ، أي : لا يستحي

أن يضرب الذي هو بعوضة مثلا ، وحذف العائد على الموصول وهو المبتدأ " ⁴ .

ويحملها على قوله تعالى : " تماما على الذي أحسن " ⁵ .

وتقديرها في هذا : " الذي أحسن " ⁶

وكذلك يحملها على ما حكاه صاحب الكتاب عن الخليل : " ما أنا بالذي قائل لك شيئا " ⁷ .

ويحملها محمل البيت الشعري الذي يقول فيه عدي بن زيد ⁸ :

¹ البقرة : 26 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 145

³ المصدر نفسه ، ص : 145 ،

⁴ المصدر نفسه ، ص : 145 .

⁵ الأنعام : 154

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 146 .

⁷ المصدر نفسه ، ص : 146 .

⁸ روي في أغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 139 . المحتسب ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 146 .

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفِتْيَانِ فِي غَيْرِ الْـ أَيَّامِ يَنْسُونَ مَا عَوَّقُهَا .

وبقدر هذا وفق ما ينتمي إليه العقل بقوله: "أي ينسون الذي هو عواقبها وحذف الضمير من هنا ضعيف لأنه ليس فضلة كالهاء في نحو قولك: ضربت الذي كلمت أي كلمته"¹.

وبقدرها كذلك معتمدا المنهج العقلي في ذلك بقوله " وَإِنْ شئتَ كان تقديره: ينسون أي شيء عواقبها فتكون ما استفهاما خبر عنها، والجملة في موضع نصب ينسون وجاز في التعليق ضد يذكرون ويعلمون، فيجرب مجرى قولك، لا تنسب أيّا أحق بكذا وأتذكر أزيد أفضل أم عمرو"².

ما يميز منهج ابن جني في هذا الموضع الجمع بين القياس والسماع اللغوي والتقدير وكذلك جمع بين التعليل العقلي والنحوي عن تقسيم الوجه المحتمل إلى نوعين مستحسنين كلاهما باعتبار وجود ما يدعمه من سماع العرب شعرا ونثرا الذي ورد في مصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا كتاب مثل.

ما هو ظاهر من خلال اعتماده على كتاب سيبويه، وهو يرمي هذه القراءة بالشذوذ من خلال وصف حذف الضمير في تعليقه على البيت الشعري بالضعف وهذا ما يراه البعض مخالف لخطة الكتاب أمثال محمد أحمد الصغير مثل ما سبق وذكرنا هذا في المباحث السابقة .

قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "³.

ومن ذلك قراءة الحسن: " أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعُونَ "⁴.

¹المحتسب، المصدر السابق، ص: 146.

²المصدر نفسه، ص: 146.

³ البقرة: 161.

⁴المحتسب، المصدر السابق، ص: 203 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ص: 460 .

وفي هذا يقول ابن جني: " هذا عندنا مرفوع بفعل مضمر يدل عليه قوله سبحانه (لعنة الله)، أي: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون، لأنه إذا قال: عليهم لعنة الله، فكأنه قال: يلعنهم الله " ¹.

ويبين ويوضح وجه هذه القراءة عن طريق تقدير المحذوف الذي أحدث الرفع ويبين كذلك المراد من الآية عن طريق تقدير .

وعلى مثال هذا يذكر ابن جني قول الشاعر ² :

تَذَكَّرْتُ أَرْضًا بِهَا أَهْلُهَا أَخْوَالَهَا فِيهَا وَأَعْمَامُهَا .

ويشرح ابن جني هذا البيت بتقدير المراد الذي هو على مثال وجه الرفع " الملائكة " بقوله : "وقد علم أنها إذا تذكرت الأرض التي فيها أخوالها وأعمامها فقد دخلوا في جميع ما وقع الذكر عليه، فقال بعد: تذكرت أخوالها وأعمامها " ³.

ويحملها كذلك على قول روبة بن العجاج ⁴:

أَسْقَى الْإِلَهَ غُدُواتِ الْوَادِي وجوفه كلُّ مُلِثٍ غَادِي .

كلُّ أجش حالك السواد .

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص :204.

² و هو لعمر بن قميئة ، ديوانه : 62 ، الكتاب، المصدر السابق، ج 1 ، ص : 285 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص :204 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص :204 ، لا يوجد في ديوانه رغم الرجوع إلى الديوان، الخصائص، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 425 .

وبشرح ابن جنّي هذا عن طريق التقدير العقلي بقوله: "فقد سقى الأَجَش فرفعه بفعل مضمر، أي سقاها كل أَجَش وهو كثير جدا" ¹.

قال تعالى: "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ" ².

ومن ذلك قراءة أبي وابن مسعود: "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ" ³.

ويرى ابن مجاهد في هذا: "فإذا كان هكذا لم يجز أن ينصب البر" ⁴.

ويرى ابن جنّي في أنّ: "الذي قاله ابن مجاهد هو الظاهر في هذا، لكن قد يجوز أن ينصب مع الباء وهو أن تجعل الباء زائدة، كقولهم: كفى بالله، أي كفى الله" ⁵.

يعلل ابن جنّي هذا النصب مع وجود الباء والتي وظيفتها الجر، بأنّ مكانتها تندرج ضمن الباء الزائدة ومثالها قولهم كفى بالله فالباء هنا موضعها الزيادة.

وهي كذلك على مثال قوله تعالى: "كفى بنا حاسبين" ⁶.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص :204 .

² البقرة : 177

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص :205 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 19 .

⁴المحتسب ،المصدر السابق ، ص :205 .

⁵الأنبياء : 47 .

⁶المحتسب ، المصدر السابق ، ص :205 .

ويستدرك ابن جنّي ما احتج له في هذا نحوياً بغلق باب النقد الذي كان من ممكن أن يوجه إليه بطريقة عقلية محضة وفق ما ورد في محكم تنزيله قوله تعالى: "فإن قلت: فإن كفى بالله شاذ قليل فكيف قست عليه (ليس) ولم نعلم الباء زيدت في اسم ليس إنما زيدت في خبرها"¹.

ويستدل على هذا بقوله تعالى: "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ"².

قال تعالى: "يا يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ"³.

ومن ذلك قراءة الحسن: "اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا"⁴ بكسر القاف وسكونها.

ويحملها على قول جرير⁵:

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَأَرْضُوا مَا رَضِيَ لَكُمْ مَا فِي الْعَرِيْمَةِ مَا فِي حَكْمِهِ جَنَفُ .

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن مجاهد عن أبي زيد عن أبي السّمال أنّه كان يقرأ: "مَا بَقِيَ مِنَ

الرُّبَا"⁶ مضمومة الباء ساكنة الواو، ويلاحظ في توجيهه لهذه القراءة الاختصار .

¹ المصدر السابق ، ص : 205 .

² النساء : 123

³ البقرة : 278 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 235 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 337 . مختصر في في

شواذ القرآن من كتاب البديع : 25

⁵ جرير ، الديوان ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان . دط/د ، ص : 302 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 236 .

قال تعالى: "لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹.

ومن ذلك ما رواه الأعمش في قراءة ابن مسعود: "يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ"² بغير فاء الجزم .

ويبين ابن جنّي وجه القراءة الشاذة معللاً ذلك نحويًا وعقليًا معتمداً في ذلك على سماع العرب عن طريق القياس بقوله: "جزم هذا على البدل من (يحاسبكم) على وجه التفصيل لجملته الحساب، ولا محالة أنّ التفصيل أوضح من المفصل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال والبعض، كضربت زيدا رأسه والاشتمال كأحب زيدا عقله وهذا البدل ونحوه واقع في الأفعال ووقعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان"³

ويحملها على مثال قوله تعالى: "وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا"⁴.

ويفسرها وفق رؤية فقهية معلة: "لأنّ مضاعفة العذاب هو لقي الأثام"⁵.

¹ البقرة : 284 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 244 ، البحر المحيط ، ج 2 ، ص : 361 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 244 ، الكتاب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 16 ، 17 وج 1 ، ص : 16

⁴ الفرقان : 68 ، 69 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 244 .

وهي كذلك على مثال قول الشاعر¹:

رُوَيْدًا بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعَبْدِكُمْ تَلَاقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَفْوَانِ .
تَلَاقُوا جِيَادًا عَنِ الْوَعَى إِذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَأْزِقِ الْمُتَدَانِي .
تُلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدَا الْحَدَثَانِ .

ويعلل ابن جني موضحا المثال الذي استحضره نحويا وعقليا والتي هي مثال على وجه النحوي لهذه القراءة بقوله: " فأبدل تلاقوا جيادا من قوله: تلاقوا خيلي، وجاز إبداله منه للبيان وإن كان من لفظه وعلى مثاله، لما اتصل بالثاني من قوله: جيادا لا تحيد عن الوعى وأبدل تلاقوهم من تلاقوا جيادا لما اتصل به من المعطوف عليه وهو قوله (فتعلموا كيف صبرهم)، وإذا حصلت فائدة البيان لم تبطل أ من نفس المبدل كانت، أم مما اتصل به فضلة عليه، أم من معطوف مضموم إليه فإن أكثر الفوائد إنما تجتبي من الفضلات، نعم وما أكثر ما تصلح الجمل وتنتمها وأولا مكانها لو هت فلم تستمسك² .

وبضيف مؤكدا على أهمية الفضلة في إتمام معنى الجملة بقوله: " ألا تراك لو قلت: زيد قامت هند لم تتم الجملة ؟ فلو وصلت بها فضلة تمت وذلك كأن: زيد قامت هند في داره، أو معه أو بسببه أو لتكرمه أو فأكرمته أو نحو ذلك، فصحت المسألة لعودة الضمير على المبتدأ من الجملة³ .

كان من خلال توجيهه لهذه القراءة وتأكيد على قاعدة نحوية مهمة وهي أهمية الفضلة في إتمام المعنى وبيانه.

¹ المصدر السابق، ص : 244 .

² المصدر نفسه ، ص : 245 .

³ المصدر نفسه ، ص : 245 .

وابن جنّي كان من خلال منهجه يعتمد التعليل سواء النحوي والعقلي وسيلة لتبيين وتوضيح وتوجيه هذه القراءة الشاذة شرحا لما حملته من فائدة نحوية التي من شأنها التأكيد على ما سبق وأن تطرق إليه النحاة مثل الفضلة كما أشرنا إلى ذلك.

1-2- نماذج من سورة آل عمران :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا "	08	رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا "	ج 1 ، ص : 250
" وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ "	159	" وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ " .	ج 1 ، ص : 274 ،
" فَإِذَا عَزَمْتَ "	159	" فَإِذَا عَزَمْتُ "	ج 1 ، ص : 275
" يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ "	175	" يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَ "	ج 1 ، ص : 276

المنهج النحوي من خلال الآية : (8 ، 159 ، 159 ، 175) من سورة آل عمران

قال تعالى : " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " ¹.

¹ آل عمران : 08 .

ومن ذلك قراءة أبي واقد الجراح : " رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبُنَا " ¹.

ويرى أبو الفتح في هذا مبينا وجه هذه القراءة معللا خروجها إلى الشذوذ أنه : "في معنى عائد إلى

قراءة الجماعة (لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا) وذلك أنه في الظاهر طلب من القلوب ورغبة إليها " ².

ويحملها على قول الراجز فيما أنشده ابن الأعرابي ³:

يَا رَبَّ لَا يَرْجِع إِلَيْنَا طُفَيْلًا.

وهذا في معناه فيما يفسره ابن جني يشارك هذه القراءة الشاذة في معنى بحيث يفسره ابن جني

بقوله: " وفسره طفلا فظاهر الطلب والرغبة إلى ذلك الإنسان المدعو إليه " ⁴.

يلتمس لها وجه من العربية عن طريق السماع المبني على التقدير المعنى المراد محتكما فيه إلى

القراءة المشهورة والمنطق عليها وهذا التدعيم لوجهها من العربية من منطلق موقفه الانتصاري للشاذ من القرآن عنده.

ويدعم وجه هذه القراءة ويوضح أكثر وجهها بايردا التعليل الفقهي بحيث يرى: "إنما المسئول الله

سبحانه حتى كأنه قال تعالى: اللهم لا ترجعه إلينا، ويؤكد في ذلك النداء في قوله تعالى رَبَّنَا " ⁵.

¹المحتسب، ج 1 ، المصدر السابق ، ص: 250 ، الكشف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 176 . و مختصر من كتاب

البدیع لابن خالويه ، ص : 27

²المحتسب، المصدر السابق ، ص : 250 .

³لسان العرب، مادة طفل ، المحتسب، ج 1 ، ص : 250 .

⁴المحتسب، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 250 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 250 .

وهو يشترك في هذا التفسير الفقهي على ما أورده الزمخشري في كشفه بحيث يرى أنّ المراد هو: "طلب من الله أن لا تبلنا ببلايا تزيع فيها قلوبنا ولأرشدنا لدينك أولا تمنعنا أطفافك بعد إذ لطفت بنا"¹.

ويؤكد ما ذهب إليه ابن جنّي من تفسير فقهي في تبين وجه هذه القراءة باعتبار مسؤولية الله سبحانه وتعالى، والطلب والرغبة في عدم الرجوع بعد الهداية.

ويدعم ابن جنّي لتأكيد ما ذهب إليه من التفسير بالتمثيل له بقوله: "أنك تقول لأمير: لا ترهقني لأنّك يملك التفسير عنك، ولا تقول له: أيها الأمير أدخلني الجنة، لأنّ ذلك ليس له ولا إليه"².

فابن جنّي يدعم وجه هذه القراءة الشاذة بالتماس ما يقوي وجهها في العربية لأنّه يرى وفق العقل والمنطق وعن طريق تفسير الفقهي والشرح ووفق ما ورد في سماع العرب .

الذي يحتكم إليه في فصل في هذه القراءة بحيث يرى ويؤكد: "أنّ معنى (لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا) هو معنى (لا تُرْغِ قلوبنا) ويقول: ألا ترى أنّ القلوب لا تملك شيئا فيطلب منها ؟ فالمسئول إذا واحدا وهو الله سبحانه وتعالى"³.

يظهر من خلال منهجه النحوي الذي اعتمده في توجيهه هذه القراءة وتبيين وجهها في العربية أنّ للتيار الفقهي تأثير في ثقافة ابن جنّي وفي منهجه حتى أنّه لا يظهر بينه وبين المفسرين الآخرين فيما ذهب إليه في تفسير هذه القراءة من خلال توجيهها نحويا اختلاف .

¹الكشاف ، المصدر السابق ، ص : 176 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 250 .

³ المصدر نفسه ، ص : 250 .

ونرى كذلك أنّ موقفه الفصلي صادر عن نزعة عقلية محضة من شأنها رسم إطلاقية الكاملة لمسؤولية الله سبحانه وتعالى عن كل شيء ونابعة من اعتبار أنّ علم كلام كانت له مساهمة في تكوين ثقافة ابن جنّي .

قال تعالى: "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس فيما يرويه عنه عمرو: "وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ"².

ويحمل ابن جنّي دلالة هذه القراءة على أنّك: "إِذْ قُلْتَ شَرِبْتُ مَاءَكَ وَإِنَّمَا شَرِبْتُ بَعْضَهُ كُنْتَ صَادِقًا"³.

وهو يرى أنّ هذه القراءة في مكانة القراءة المشهورة الصحيحة المشهورة وهذا ما يلاحظ أنّه رفع من مكانة الشاذ إلى الصحيح من ناحية المعنى وإن كان دليل اللفظي غير ذلك (صورة اللفظية) .

وفي ما ذهب إليه من مساواة دلالة بين الصحيح والشاذ أدلة أخرى وحجج وتعليقات أخرى فيما سنذكر. بحيث يقول كذلك في هذا: "إِذَا قُلْتَ: أَكَلْتُ طَعَامَكَ، وَإِنَّمَا أَكَلْتُ بَعْضَهُ، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ قِرَاءَةُ الْبَاقِينَ: (شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ"⁴.

واستنادا إلى هذا التعليل المذكور مستندا إلى سماع العرب من خلال المساواة في المعنى بين المثالين كان للقراءة المساواة في المعنى الواحد.

¹ آل عمران: 159 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 274 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 30 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 274 .

واستنادا إلى ما سبق يدرج التفسير الحقيقي المراد من هذه القراءة للإثبات ما ذهب إليه من مساواة في المعنى في القراءة في محاولة لتبيين وإثبات وجه هذه القراءة الشاذة حتى يكون لها مكان في العربية.

ويورد العلة الفقهية التي من شأنها أن تعطى صفة المساواة في المعنى بين القراءتين فيقول "نحن نعلم أنّ الله سبحانه لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: وشاورهم في الأمر أي في جميعه كشرب الماء، وتناول الغداء، وإنّما المراد به العاني من أمر الشريعة وما أرسل عليه السلام له"¹.

ويرى الزمخشري ورأيه هذا فيه نوع من مقارنة إلى رأي ابن جني في هذا الموضع بحيث في تفسيرها وتعليلها فيقول: "فهو يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتسظهر برأيهمولما فيه من لطيف نفوسهم والرفع من أقدارهم"².

ويروى عن الحسن رضي الله عنه: "قد علم الله أنّه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن ينتسب به من بعده"³. وبعد تعليله من ناحية الفقهية وظاهر دلائلها الصحيحة وموافقتها ومساواتها دلالة للمشهور الذي يرفع من مكانتها ينتقل إلى تعليلها من ناحية النحوية بأنّ ما جاء فيه وجه هذه القراءة الشاذة ويندرج ضمن المستقيم الحسن وهذا من خلال قوله وإن لم يصرح به بشكل مباشر.

بحيث يقول: "ومع هذا فقد قال سيبيويه في باب الاستقامة والاستحالة من كلام العرب، فأما المستقيم الكذب فهو قولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، فجعله إياه كذبا يدلك على أنّ مراده

¹ المصدر السابق ، ص : 275 .

²الكشاف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 275 .

³المصدر نفسه، ج 1 ، ص : 226 .

هنا بقوله: ماء البحر جميعه، لأنه لا يجوز أن يشرب جميع مائه فأما العرف في ذلك على ما مضى فلا يكون كذبا¹.

ويقصد بالعرف هو ما معناه في العربية فيما إليه في مثل هذه المواضع والتي منها هذه القراءة الشاذة فذكره للمستقيم الكذب وشرحه وتأكيده على وجود ما هو على مثاله وهو قصدي من باب أن ما نحن بصده في هذه القراءة خارج عن المستقيم الكذب وتأكيده على هذا من خلال فصله في عدم جواز المستقيم الكذب ولكن ما هو دونه مثل ما ذكرناه سبقا ليس بكذب ويلمس فيه جانب الاستقامة والاستحسان.

وهذه الاستقامة من الناحية النحوية التي ذكرها ابن جنّي استنادا إلى ما ذكره سيبويه في تقسيمه للكلام من ناحية الاستقامة والاستحالة فهي زادت من قوة وجه هذه القراءة وتدعيم لوجهها في العربية إضافة إلى ما ذهب إليه ابن جنّي فقهيا.

وفيما يبدو ابن جنّي في توجيهه لهذه القراءة حاول إظهار هذه القراءة الشاذة والتي رفع منها إلى درجة المشهور في مساواة بين معناها ومعنى المشهور وفق منهجه الذي جمع فيه بين علة الفقهية والنحوية.

قال تعالى: "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"².

¹المحتسب، المصدر السابق، ج1، ص: 275، الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص: 25. يذكر سيبويه في باب الاستقامة من كلام و الإستحالة فمنه مستقيم حسن و مستقيم الكذب و مستقيم قبيح و هو محال كذب .

² آل عمران : 159 .

ومن ذلك قراءة جابر بن يزيد وأبي نهيك وعكرمة وجعفر بن محمد: "فإذا عَزَمْتُ" ¹بضم التاء.

ويؤوله ابن جنّي فقهاً وفق منهجه بقوله: "وتأويله عندي والله أعلم: فإذا أريتكَ أمراً فأعمل به وصرّ إليه" ².

ومثاله وشاهده فيما يذكر ابن جنّي قوله تعالى: "لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ" ³.

ويبين ما ذهب إليه بقوله: "وهذا ليس من رؤية العين لأنه لا مدخل له في الأحكام ولا من العلم لأنّ ذلك متعد إلى مفعولين، فإذا نقل الهمزة وجب أن يتعدى إلى ثلاثة والذي معناه في هذا الفعل إنّما هو مفعولان: أحدهما الكاف، والآخر الهاء المحذوفة العائدة على (ما)، أي لما أراكه الله فثبت بذلك أنّه من الرأي الذي هو الاعتقاد كقولك: فلان يرى رأي الخوارج، ويرى رأي أبي حنيفة ورأي مالك، ونحو ذلك فرأيت هذه إذا قسم ثالث ليست من رؤية العين ولا من يقين القلب" ⁴.

يبين ما أولّه من هذه القراءة مستندا في ذلك إلى الشاهد الذي ذكره على ما ذهب إليه معتمدا التعليل النحوي في إثبات عدم اندراج هذه الرؤية فينا وتعرف برؤية العين باعتبارها لا هي من الأحكام ولا من العلم ويقدر هذه التعدية لغوية ب: "بما أدركه الله" ⁵.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص :275 ، الكشف ، ج 1 ، ص : 226 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ص :275 .

³ النساء : 105 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص :275 .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

معتمدا في تبين قسمها والتفريق بينها وبين رؤية العين ورؤية القلب وهي اليقين وذلك من خلال قوله: " فثبت بذلك أنه من الرأي الذي هو الاعتقاد"¹.

وهي قسم ثالث لا هي رؤية العين ولا من رؤية التي هي من يقين القلب، ويظهر موقفه الانتصاري للشاذ من خلال حكمه الذي يرى فيه أنه قد "جاز أن ينسب العزم إليه إذ كان بهدايته وإرشاده"².

باعتبار القراءة الشاذة " لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ "³

في جانب النسبية إلى الله وهذا الحكم الذي أطلقه ابن جنّي استنادا إلى التأويل الفقهي الذي أورده في بداية وإلى شاهد الذي أورده فيما يخص رؤية التي هي من الله سبحانه وتعالى، فحكم هذا صادر عن التعليل والذي أعطى فيه خصوصية للرؤية عند الله سبحانه وتعالى.

وفي حكمه نلمس نظرة عقلية بربطه بين العزم والهداية والإرشاد إلا أنها نظرة بعيدة عن الغموض ومصطلحاتها سمحة وبسيطة.

ويستند إلى السماع في تدليله على "نسبة العزم إلى الله سبحانه وتعالى وثبوت هذا في نصوص القرآنية من خلال قوله تعالى: ليس لك من الأمر شيء"⁴.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 275

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ آل عمران : 128 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 275

ويرى الزمخشري من خلال تفسير أنه: "اعتراض والمعنى أن الله سبحانه وتعالى مال أمرهم فإمّا يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيئاً إنّما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم"¹.

وابن جنّي يعلل هذا استناداً إلى الدليل القرآني بقوله: "وقد جاء فيه ما هو أقوى معنى من هذا"² ويذكر قوله تعالى "وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"³.

وفي هذا دليل إطلاق حكمه بجواز ما جاء في "عزمت" بنسبة العزم لله سبحانه وتعالى.

بحيث يرى ابن جنّي أنه في هذا الدليل: "خرج اللفظ نافياً أوله ما أثبتته آخره، والغرض فيه ما قدمناه من أن الرمي لما كان باقداره ومشيتته صار كأنه هو الفاعل له وهو كثير"⁴.

وهذا دليل آخر يبين وجه هذه القراءة ويوضح مكانتها ووجهها في العربية والفقهاء لما أضافته إلى الحقل خلال التفسير الجديد الذي أورده من عدة زوايا إضافة إلى زيادة التأكيد وبطريقة عقلية ومنطقية على نسبة العزم لله بعظمة قدره سبحانه جلّ جلاله.

وبضيف التذليل على نسبة العزم لله سبحانه وتعالى وفق العقل والمنطق بقوله: "ومنه قول الإنسان لمن ينتسب إليه: إنّما أرى بعينك وأسمع بأذنك والفعل منك، وإنّما أنا آلة لك"⁵.

¹الكشاف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 231 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 276 .

³ الأنفال : 17 .

⁴المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 275 .

⁵المصدر نفسه ، ص : 276 .

من خلال هذا مثال الذي كان تلخيص لما تحدث عنه ولما ذهب إليه وفق العقل والمنطق وأظهر وبطريقة عجيبة نلمس فيها قدرة ابن جنّي عقلية التي حاول من خلاله إظهار طبيعة علاقة التبليغ التي كانت من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، باعتبار العزم له ورؤية المطلقة له والرسول هو ناقل عنه ومبلغ عنه.

ويختتم توجيهه بعدما تفنن وبرع في جمع بين العلل العقلية والنحوية والفقهية وتسويغات في الموضع الواحد من خلال منهجه وجعلها لبنات متراسة في منهجه توجيهي الذي وجه به هذه القراءة ويختتم توجيهه هذا بقول يلمس فيه التنبيه إلى ما يحمله كلامه من مكان لغوية ومعرفية والمعاني الغير مباشرة والتي ينبغي بذل الجهد العقلي لمعرفتها، ومعرفة لغة لسانك لأنّ لها فوائد كما عددها ويظهر كل هذا من خلال قوله: "ومن عرف طريق القوم في اللغة، سقطت عنه مئونات التعسف والشبه"¹.

ظهر ابن جنّي هنا في التوجيه فقيها ونحوياً ولغوياً وفيلسوفاً من خلال تسويغات الفقهية والنحوية واللغوية والعقلية التي جمع بينها في الموضع الواحد.

قال تعالى: "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ"².

ومن ذلك قراءة ابن عباس وعكرمة وعطاء: "يُخَوِّفُكُمُ أَوْلِيَآءَهُ"³.

وبعللها ابن جنّي نحويًا وباختصار بقوله: "في هذه القراءة دلالة على إرادة المفعول في يخوف وحذفه في قراءة أكثر الناس (يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ) وليس هذا كقولنا: فلان يخوف غلامه ويخوف جاريته من

¹ المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 276 .

² آل عمران : 175 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 276 ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 120 .

ضربه إياها وإساءته إليهما، فالمحذوف هنا هو المفعول الثاني وهو في الآية المفعول الأول على ما قدمناه¹.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 276 .

المبحث الثاني : نماذج من سورة النساء والأنعام

1-2- نماذج من سورة النساء :

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ "	01	" الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ "	ج 1 ، ص : 278
" بِمَا حَفِظَ اللَّهُ "	34	" بِمَا حَفِظَ اللَّهُ "	ج 1 ، ص : 290
" يَلِيَّتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورَ فَوْزًا عَظِيمًا "	73	" يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورَ فَوْزًا عَظِيمًا "	ج 1 ، ص : 290
" أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ "	162	" وَ الْمُقِيمُونَ "	ج 1 ، ص : 278

المنهج النحوي من الآية : (01 ، 34 ، 73 ، 162) من سورة النساء

قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"¹.

¹ النساء : 01 .

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد: "الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ" ¹ رفعا.

يعلل ابن جنّي نحويا هذا الرفع مع مصاحبته بالتفسير الفقهي لهذه القراءة ويستحسن هذا الوجه الإعرابي بقوله: "ينبغي أن يكون رفعه على الابتداء وخبره محذوف، أي والأرحام مما يجب أن تحتاطوا لأنفسكم فيه، وحسن رفعه لأنه أؤكد في معناه" ².

ويستدل عليه وفق التعليل بقوله: "ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت زيدا فزيد فضلة وإثما ذكر فيها مرة واحدة؟ إذا قلت زيد ضربته فزيد هو رب الجملة، فلا يمكن حذفه كما حذف أنه نيّف وفضلة بعد استقلال الجملة" ³.

ثم يجمع وفق وجهة تعليلية نحوية بين أمثلة السابقة الذكر وكلمة الأرحام.

معتمدا استدلال بالتقسيم والسبر بقوله: "نعم ولزيد فيها ذكران، أحدهما: اسمه الظاهر والآخر: ضمير وهو الهاء ولما كانت الأرحام فيما يعنى به ويقوى الأمر في مراعاته جاءت بلفظ المبتدأ الذي هو أقوى من المفعول وإذا ذهب الأرحام أو جرت فهي فضلة والفضلة متعرضة للحذف" ⁴.

وكذلك بقوله: "فقد حذف خبر الأرحام أيضا على قولك، قيل: أجل، ولكنه لم يحذف إلا بعد العلم به ولو حذفت الأرحام منصوبة أو مجرورة فقلت: (واتقوا الله الذي تساءلون به) لم يكن في الكلام دليل

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 278 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 241 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 278 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

على الأرحام أنها مرادة أو مقدرة، وكلما قويت الدلالة على المحذوف كان حذفه أسوغ ونحوه من رفع الأرحام هنا بعد النصب والجر ¹.

ويحملها على قول الفرزدق ²:

يَأْيُهَا الْمُشْتَكِي عِكَلاً وَمَا جَرُمْتُ إِلَى الْقَبَائِلِ مِنْ قَتْلِ وَابِاسٍ

إِنَّا كَذَلِكَ إِذْ كَانَتْ هُمْرَجَةً نَسْبِي وَنَقْتُلُ حَتَّى يُسَلِّمَ النَّاسُ.

ويبرى فيه أنه في التقدير: "من قتل وإباس أيضا ففوى لفظه بالرفع لأنه أذهب في شكواه إياه" ³.

وبدلل عليه كذلك بقول الفرزدق ويحمله عليه ⁴:

إِلَّا مَسَحْنَا أَوْ مُجْلَفٌ.

وبقدره بقوله: "أراد أو مجلف كذاك" ⁵.

قال تعالى: "بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" ⁶.

ومن ذلك قراءة يزيد بن القعقاع: "بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" ⁷ بالنصب.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 278

² ديوانه، المصدر السابق: 23

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 279 .

⁴ ديوانه ، المصدر السابق : 26 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 279 .

⁶ النساء : 34 .

⁷ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 290 . البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 240.

وبعلها ابن جني نحويا باعتبارها على: "حذف المضاف، أي بما حفظ دين الله وشريعة الله وعهود الله"¹.

ويحملها على قوله تعالى: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"².

ومعنى ذلك: "دين الله وعهود الله وأولياء الله"³.

ويؤكد على فشو هذا الوجه في العربية بقوله: "وحذف المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام

في عدد الرمل سعة وأستغفر الله"⁴.

وعلة هذا في نظر ابن جني فيما يبدو حسب قوله: "ربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف

مكررا أنسب بالحال ودلالة على موضوع الكلام"⁵.

ويستشهد على هذا بقوله تعالى: "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي"⁶.

وتقدير المحذوف والذي مثال وجه هذه القراءة الشاذة هو: "من أثر حافر فرس الرسول"⁷.

وحرصا منه على الاختصار يقول: "ذكرنا في كتابنا ذلك هذا وغيره من كتبنا وكلامنا"⁸.

وقال تعالى: "وَيَلَيِّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا"⁹.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 290 .

² محمد : 07 .

³المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 290

⁴ المصدر نفسه ، ن ص.

⁵ المصدر نفسه ، ن ص..

⁶ طه : 96 .

⁷المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 290 .

⁸ المصدر نفسه ، ن ص .

⁹ النساء : 73 .

ومن ذاك قراءة الحسن ويزيد النحوي: "يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا"¹.

وبوضح أبو الفتح وجه ذلك وفق التعليل النحوي مصحوبا بالتفسير بقوله: "محصول ذلك أنه يتمنى الفوز فكأنه قال: يا ليتني أفوز فوزا عظيما ولو جعلته جوابا تنصبه، أي: إن أكن معهم أفر هذا إذا أصبحت بالشرط، إلا أن الفاء إن دخلت جوابا للتمني نصب الفعل بعدها بإضمار أي، وعطف أفوز على كنت معهم لأنهما جميعا متمنيان، إلا أنه عطف جملة على جملة لا الفعل على إنفراده على الفعل، إذ كان الأول ماضيا والثاني مستقلا"².

وهذا الرفع في تقديره "يا ليتني أفوز فوزا عظيما"³ وعليه كان وجه هذه القراءة الشاذة.

وعلى مثاله قوله تعالى: "يَلَيْتَنَّ نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"⁴.

ولكن عطف لفظ على لفظ ومعناه معنى الجواب بحيث عطف نكون على نرد ولكنها على مثاله باعتبارها جواب على التمني ويفسرهما ابن جني بقوله: "لأنهم لم يتمنوا ألا يكذبوا وإنما تمنوا الرد وضمنوا أنهم لو ردوا لم يكذب"⁵.

وما يبين هذا قوله تعالى: "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"⁶.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 295 .

² المصدر نفسه ، ص : 295 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ الأنعام : 27 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 295 .

⁶ الأنعام : 28 .

وهي على قول الشاعر¹:

فَلَقَدْ تَرَكْتُ صَبِيَّةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرَ مَا جَزَعَ عَلَيْكَ فَتَجَزَّعَ.

وتقديرها: "أي هي تجزع"².

قال تعالى: "وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"³.

ومن ذلك قراءة مالك بن دينار وعيسى الثقفي وعاصم الجحدري: "وَالْمُقِيمُونَ"⁴ بواو.

ويحكم ابن جنّي على شذوذه وأنّ الأصل في "المقيمين" بالياء بقوله: "ارتفاع هذا على الظاهر الذي لا نظر فيه، وإنّما الكلام في المقيمين بالياء، واختلاف الناس فيه معروف، فلا وجه للشاغل بإعادته لكن رفعه في هذه القراءة يمنع من توهمه مع الياء مجرورا أي يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة وهذا واضح"⁵.

وكان مختصرا في توجيهه لهذه القراءة وعلة ذلك الوضوح الذي يظل هذه القراءة.

¹ديوان الحماسة، ج 1، ص: 254.

²المحتسب، المصدر السابق، ص: 295.

³النساء: 162.

⁴المحتسب، المصدر السابق، ص: 309، الكشف، المصدر السابق، ص: 313، البحر المحيط، المصدر

السابق ج 3، ص: 395.

⁵المحتسب، المصدر السابق، ن ص.

2-2- نماذج من سورة الأنعام:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ "	139	:" خَالِصَةٌ " . " خَالِصًا " .	ج 1 ، ص : 309
" تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ "	154	" تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ "	ج 1 ، ص : 334
" يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ "	158	" يَوْمُ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ "	ج 1 ، ص : 347

المنهج النحوي من خلال الآية: (139 ، 154 ، 158) من سورة الأنعام

قال تعالى: " خَالِصَةٌ " ¹.

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف والأعرج وقتادة وسفيان بن حسين: " خَالِصَةٌ " ².

وقرأ سعيد بن جبير " خَالِصًا " ³.

¹الأنعام: 139

²المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 309 . الكتاب ، سيبويه ، ج 2 ، ص : 91 .

³المحتسب ، المصدر نفسه ، ص : 342 .

يبين ابن جنّي وجه هذه القراءة عن طريق تفسيرها وإيراد علة الفقهية من وجهها هذا بقوله: "أمّا قراءة العامة (خالصة) فتقديره ما في بطون هذه الأنعام خالصةً لنا، أي خالصٌ لنا، فأنت للمبالغة في الخلو، كقولك زيد خالصتي، كقولك صفتي وثقتي أي المبالغ في الصفاء والثقة عندي، ومنه قولهم : فلان خالصتي من بين الجماعة أي خاصّي الذي يخصني والتاء فيه للمبالغة وليكون أيضا بلفظ المصدر نحو العاقبة والعافية، والمصدر إلى الجنسية فهي أعم و أوكد " ¹.

ويستشهد ابن جنّي على هذه القراءة من كلام العرب مما يقرّ بوجودها في كلام العرب ووورد ما يناظرها في هذا.

وإضافة إلى ذلك يبين من ناحية اللغوية أنّ هذه التاء التي تدلّ من ناحية الفقهية على المبالغة وعلى أساسها يكون إدراج الحكم الفقهي في مرتبته الصحيحة أنّها تكون للفظ وتعطيه صفة الجنسية. ويعللها من الناحية النحوية بقوله: " نصب خالسا وخالصة فيه جوابان " ².

-أحدهما: أن يكون حالا من الضمير في الظرف الجاري صلة على " ما " كقولنا: "الذي في الدار قائما زيد".

- والآخر: أن يكون حالا من " ما " على مذهب أبي الحسن في إجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد أن يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا : " زيد قائما في الدار " .

¹ المصدر السابق ، ص : 342 .

²المصدر نفسه ، ص : 342 .

ويحتج ابن جنّي في هذا في تنبيهه إلى ما لا يجب ذهاب إليه في هذه القراءة من تقديرات وفق ما يفرضه العقل والمنطق استنادا إلى أسس العربية في أوله يستشهد بقوله تعالى: "والأرض جميعا قبضته يوم

القيامة" ¹ وكذلك قولك تعالى: "وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" ²

وفي هذا يقول: "فيجوز على هذا في العربية لا في القراءة لأنها سنة لا تخالف" ³.

ويستحضر في الآن الواحد ما هو بصدد توجيهه في هذه القراءة بقوله: "فإن قلت: فهل يجوز أن يكون خالصا وخالصة حالا من الضمير في لنا؟ قيل: هذا غير جائز، وذلك أنه تقدم على العامل فيه وهو معنى وعلى صاحب الحال، وهذا ليس على ما بيّنا" ⁴.

وهدف من إيراد مثل هذه الاستدراكات في منهج ابن جنّي توجيهي هو غلقه لأبواب النقد التي يمكن أن تفتح في هذا الباب التوجيهي بحيث قطع الشك بيقين أن "القراءة سنة متبعة".

فيمكن ما يمكن أن يجوز في العربية ولكن لا يمكن لكل ممكنات أن تجوز في القراءة لأنها سنة يستن بها المتأخر عن المتقدم وهي لا تخالف.

وينبه كذلك إلى احتمال آخر يمكن أن تحمل عليه هذه القراءة ليست منه وهو: "لا يجوز أن يكون

(خالصة) حالا من الأنعام، لأنّ المعنى ليس عليه، ولعزّة الحال من المضاف إليه" ⁵.

¹ الزمر: 67 .

² الزمر: 67 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص: 343 .

⁴ المصدر نفسه ، ص: 343 .

⁵ المصدر نفسه ، ص: 343 .

ما يلاحظ في منهج النحوي جمع بين التعليل النحوي والفقه في موضع الواحد وذلك لتبيين وجه القراءة وتوضيح محلها الذي يمكن أن تحمل عليه من سماع العرب وفيما يبدو ما جعل ابن جنّي يبتعد في هذا الموضع عن الاستشهاد بالشعر على وجه هذه القراءة في هذا الموضع لأنّه مخالفًا لبقية المواضع وخصت به هذه القراءة دون غيرها من خلال قوله: "يجوز على هذا في العربية لا في القراءة لأنها سنة لا تخالف"¹.

قال تعالى: "ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ"²

ومن ذلك قراءة ابن يعمر: "تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ"³.

ويقول ابن جنّي في هذا: "هذا مستضعف الإعراب عندنا"⁴.

وابن جنّي يقف هنا موقف مخالف لخطّة الكتاب وهو يرمي هذه القراءة بالضعف وفيما رأينا في المباحث السابقة يرى أنّ الضعف القراءة مساوٍ عنده لشذوذها فالمصطلحان عنده ذو معنى واحد.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² الأنعام : 154 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344 ، البحر المحيط ، ج 4 ، ص : 250 ، شرح شواهد الشافية ، المصدر السابق ،

ج 1 ، ص : 249

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 344 .

وبخصص هذا الضعف عنده من ناحية النحوية ولم يتركه مطلقا هكذا ويعلل نحويا عن طريق التقدير هذا الشذوذ وهذا الضعف الإعرابي كما عبر عنه بقوله: "لحذفك المبتدأ العائد على الذي لأنّ تقديره: تماما على الذي هو أحسن وحذف (هو) من هنا ضعيف"¹.

ويكرر مرة ثانية حكمه بالضعف على هذه القراءة انطلاقا من تعليل النحوي لها وفق التقدير اللغوي والذي من شأنه كشف الأصل الذي يعطي صفة الصحة لهذه القراءة.

ويرى وفق خطة عقلية فيما يخص الضمير -هو- "أنّه إنّما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت أي ضربته، وأكرمت الذي أهنت أي أهنته فالهاء ضمير المفعول، ومن المفعول بدّ، وطال الاسم بصلته"².

ولكن ما يلاحظ في هذا الاستدلال العقلي هو نوع من التعقيد مفارق لاستعماله للمواضع الأخرى التي وظف فيها الاستدلال العقلي الذي كان بسيطا.

ويؤكد على ضعف وجه هذه القراءة بحجة أنّه: "ليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عائد الموصول"³.

ويقر ابن جنيّ هنا بقاعدة نحوية أصيلة متأصلة ألا وهي: "لا يحذف المبتدأ لأنّه ليس بفضلة وخاصة إذا كان عائد الموصول"⁴.

¹ المصدر السابق ، ص : 345 .

² المصدر نفسه ، ن ص .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 345 .

وفيما يبدو من خلال هذه التعليقات نرى أنّ ابن جنّي يبيّن وجه شذوذ هذه القراءة وضعفها بكل ما أوتي من قوة حاجيّة من التعليل متدرجا إلى العقل وجعل بعض النقاد والدارسين يرون أنّ ابن جنّي في كتابه المحتسب لم يلتزم بما وعد به نفسه في المقدمة بأنّه سيدافع عن الشاذ الذي هو ضارب في صحته وقوته في العربية ووقف موقف مخالف لخطة الكتاب وهذه هي الحقيقة التي تلمس من خلال هذا التوجيه والتوجيهات الأخرى المماثلة في الكتاب الموسوعي.

ولكن سرعان ما يستدرك هذا الموقف بانتقاله إلى موقف الانتصار والاحتجاج لهذه القراءة بقوله: "وأَنَّ هذا قد جاز نحوه عنهم فيما حكى سيبويه عن الخليل: (ما أنا بالذي قال لك شيئا سوا) أي بالذي هو قائل" ¹.

وهذا القول كان في موضع قياس المناظرة بحكم التشابه ووجه ذلك حذف المبتدأ.

ويحملها كذلك على قول الشاعر ²:

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي عُيْنِ الْأَيَّامِ يَنْسُونِ مَا عَوَّاقِبُهَا.

وبقدرها ابن جنّي بـ: "ينسون الذي هو عواقبها" ³.

¹ المصدر السابق ، ص : 345 .

² لعدي بن زيد من أبيات ذكرها صاحب الأغاني في كتابه ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 139 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 345 .

ويرى في هذا وجه آخر لها يحمله عليها بقوله: "يجوز أن يكون (ينسون) معلقة كما علقوا التي هي يعلمون وتكون (ما) استفهاما وعواقبها خبر (ما) كقولك: قد علمت من أبوك وعرفت أيهم أخوك أو على الوجه الأول حمله أصحابنا" ¹.

قال تعالى: "يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ" ².

ومن ذلك قراءة زهير الفرقبي: "يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ" ³ بالرفع.

ويعلل ابن جني هذه القراءة نحويا بقوله: "ينبغي أن يكون ارتفاع اليوم بالابتداء" ⁴ والجملة التي قوله تعالى: "لا ينفع نفسا إيمانها" ⁵ وهي خبرا عنه ⁶.

وبيّن ويعلق كذلك بقوله: "والعائد من الجملة محذوف لطول الكلام والعلم به، وإذا كانوا قد قالوا: السمن منوان بدرهم، فحذفوا وهم يريدون (منه) مع قصد الكلام كان حذف العائد هنا لطول الكلام أسوغ وتقديره لا ينفع فيه نفسا إيمانها، ومثله قولهم البرُّ الكرُّ أي الكرُّ منه" ⁷.

ويحمله على نظيرتها من قوله تعالى: "إِنْ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" ⁸.

¹ المصدر السابق ، ص : 345 .

² الأنعام : 158

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 347 .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 347 .

⁵ الأنعام : 58 .

⁶ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 347 .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

⁸ الكهف : 30 .

ويعتمد الاستدلال بالسبر والتقسيم فيرى في أقسامها ثلاثة أقوال، ويستبر ويستحسن منها أحدهم

ألا وهو: "أن يكون على حذف العائد أي: إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم"¹.

ويرى في هذا: "أنّه له نظائر كثيرة لكن نحذف الإطالة إذا كان هذا كتابنا مختصرا ليقرب على

القراء ولا يلفظ عنهم، وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في القراءة السبعة فأغمضه وأطاله

حتى منع كثير ممن يدعي العربية فضلا على القراء منه وأجفاهم عنه"².

ولهذا كان تعليله من خلال هذا المنهج التوجيهي في هذا الموضع مختصر و ذكر كما يقال

البيت القصيد فقط بحيث ذكر الشاهد الدال فقط واعتمد من خلال توجيهه على طريق الاستدلال

السماعي والقياس على النظر والتعليل النحوي وهذا الأخير كان وفق التدرج في ذكر العلل من حيث

مراتبها الأولى فالثانية وهي أعمق وأرفع من الأولى فيما يخص الاحتجاج على هذا الرفع الذي كان بابه

الشذوذ.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 347 .

² المصدر نفسه، ص : 347 .

المبحث الثالث: نماذج من سورة الأنفال وإبراهيم

3-1- نماذج من سورة الأنفال

الآية	الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ "	01	" يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ "	ج 1 ، ص : 386
مَا كَانَ لِنَبِيِّ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ^ط "	67	" وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ "	ج 1 ، ص : 386

المنهج النحوي من خلال الآية (01، 67) من سورة الأنفال

قال تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ^ط وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ¹ .

ومن ذلك من قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي الوقاص وعلي بن الحسن وأبو جعفر محمد بن علي

وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: " يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ² .

¹ الأنفال : 01 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 386 . مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص : 55 . والنفل كما قال الزمخشري لأنها من فضل الله تعالى و عطائه و النفل ما ينقله الغازي وشبه الثواب الذي وعد الله به عباده على التقوى بالنفل . الكشف ، ج2 ، ص : 112 .

وبين ابن جنّي هذه القراءة ويوضح معناها عن طريق الاستدلال المنطقي لوجهها بقوله: "هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي: (عن الأنفال) وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضاً لطلبها واستعلاماً لحالها: هل يسوغ طلبها"¹.

وبعللها نحويًا بقوله: "وهذه القراءة بالنصب اصراح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فإن قلت: فهل يحسن أن تحملها على حذف حرف الجر حتى كأنه قال يسألونك عن الأنفال، فلما حذف عن نصب المفعول"².

ويفسرهما الزمخشري بـ "يسألك الشباب ما شرطت لهم من الأنفال"³.

ويحملها ابن جنّي من باب الحمل على النظير فيما ورد من سماع العرب في خلال قول الشاعر⁴:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرُ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ.

ويرى سيبويه أنّه: "إنّما فصل أنّها أفعال توصّل بحروف الإضافة فنقول: اخترت فلان من الرجال وسميته بفلان كما تقول عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها، وأستغفر الله من ذلك فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل"⁵.

¹المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 382 .

² المصدر نفسه ، ص : 387 .

³الكشاف ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 112 .

⁴البيت هو لـ : عمرو بن معد بن يكرب :وعجزه : (فقد تركتك ذا مال و ذا نشب) ، كتاب ، ج1 ، ص : 37 في شعر

اختلاف قيل أحدهما للأعشى ظروف و الآخر مختلف قائله فقيل عمرو بن معد بن يكرب و قيل زراعة بن السائد

⁵الكتاب ، المصدر السابق ، ص : 38 .

وعلى مثالها ما ذهب إليه يسألونك، ولكن ابن جنّي يستدرك هذا التوضيح في تبين وجهها في العربية وحضورها في سماع العرب وإشارة صاحب الكتاب لهذا بقوله: "وقيل هذا شاذ، إنّما يحمله الشعر فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات"¹.

وفي هذا حكم بشذوذ على هذه القراءة استنادا إلى ما قيل نلمس أنّ حكم مطلق ليس منه لأنّه لم ينسبه إليه.

وإضافة إلى قوله تعالى: "واختار موسى قومه سبعين رجلا"²، وقوله تعالى كذلك: "وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ"³.

وهي على مثال القراءة الشاذة تقريبا باعتبار فعل "اختار" و"اقعدوا" يندرج في باب يسألونك⁴. ولكن موقفه رغم ما قدمه من حكم بالشذوذ على ما هو على مثال هذا إلا أنّه يؤكد أنّ: "الأظهر ما قدمناه"⁵، ويقصد به فيما يبدو ما قدمه من استدلال وتوجيه لهذه القراءة عن طريق الاستدلال المنطقي المنطقي والنحوي.

ومزج ابن جنّي في منهجه النحوي هذا بين العلة النحوية والمنطقية وبطريقة متكاملة تظهر المراد من الحذف للجر وظهور النصب كأثر له.

¹ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 386 .

² الأعراف : 155 .

³ التوبة : 05 .

⁴ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 386 .

⁵ المصدر نفسه ، ص : 386 .

قال تعالى: "وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ"¹.

ومن ذلك قراءة لابن جمّاز: "والله يُريدُ الآخرة"².

وقال أبو الفتح: "وجه جواز ذلك على عزته وقلة نظيره، لما قال (تريدون عرض الدنيا) فجرى ذكر العرض فصار كأنه أعاده ثانيا فقال: عرض الآخرة، ولا يذكر نحو ذلك"³.

وكان الاستدلال هنا عن طريق القياس افتراضي على طريقة الأحناف الذين يلتمسونه في الحمل.

ويستشهد ابن جنّي على ما ذهب إليه بواسطة بيت وارد في الكتاب⁴:

أَكَلَّ امْرِئٌ تَحْسِبِينَ امْرَأً وَنَارٌ تُوقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا.

وتقدير ذلك: "وكل نار؟ فناب ذكره كُلاً في أول الكلام عن إعادتها في الآخر حتى كأنه قال: وكل نار هرباً من العطف على العاملين، وهما كل وتحسبين"⁵.

وقال بعض الأعراب أيضاً⁶:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ.

¹ الأنفال : 67 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 397 ، البحر المحيط ، ج 4 ، ص : 518 ، الكشاف ، ج 2 ، ص : 134 .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 397 .

⁴ الكتاب ، المصدر السابق ، ص : 66 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 397 .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص : 397 .

ويرى ابن جني بأنه أراد: " من يتكل عليه فحذف عليه من آخر الكلام استغناء عنها بزيادتها في

قوله: " على من يتكل) وإنما يريد إن لم يجد من يتكل عليه " ¹.

ويورد بيت من لشاعر يقول فيه ²:

أَتَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي أَتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلَّا الَّتِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ

3-2- نماذج من سورة إبراهيم:

الآية	رقم الآية	القراءة الشاذة	التوثيق
" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ "	19	" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ "	ج 2 ، ص : 35
" وَأَدْخِلَ الَّذِينَ "	23	" وَأَدْخِلَ الَّذِينَ "	ج 2 ، ص : 36
" كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ "	24	" كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا "	ج 2 ، ص : 36

المنهج النحوي من خلال الآية 23، 19، 24) من سورة إبراهيم

¹المصدر السابق، ص : 398 .

²المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 398 .

قال تعالى: "تَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ"¹.

ومن ذلك قراءة السلمي: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ"² ساكنة الراء.

ويحكم عليها بالضعف لقوله: "فيها ضعف"³.

وبعلل هذا نحويا بقوله "لأنه حذف الألف للجزم فقد وجب إبقاء، للحركة قبلها دليلا عليها،

وكالعوض منها لاسيما وهي خفيفة، إلا أنه شبه الفتحة بالكسرة المحذوفة في نحو هذا، استخفافا"⁴.

ويستشهد على هذا بما أنشده أبو زيد من قول العذافر الكندي بقوله⁵:

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرِ لَنَا دَقِيقًا.

وكذلك يستشهد على هذا من سماع العرب كما أنشد أبو زيد أيضا⁶:

قَالَتْ سُلَيْمَى كَلِمَةً تَلْجَلْجَا لَوْ طَبَخَ النَّيِّ بِهِ لَأَنْضَجَا.

يَا شَيْخَ لَا بُدَّ أَنْ نَحْجَجَا قَدْ حَجَّ فِي ذَا الْعَامِ مَنْ كَانَ رَجَا.

فَاكْتَرَّ كَرِي صِدْقُ فَالْنَجَا وَاخْذَرَّ فَلَا تُكْثِرُ كَرِيًّا أَعُوجَا.

¹ إبراهيم : 19 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 35 .

³ المصدر نفسه ، ن ص .

⁴ المصدر نفسه ، ن ص .

⁵ المصدر نفسه ، ن ص .

⁶ المصدر نفسه ، ن ص ، المنصف ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 09 .

وفي هذا يرى ابن جنّي أنّه: "أسكن الرء من (اشتَرَّ) و(اكْتَرَّ) استخفافاً أو إجراء للوصل على حد الوقف"¹.

وكذلك يروى عن أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قول الشاعر²:

ومن يتق فإن الله معه ورزق الله مؤتاب وغادي.

ويرى ابن جنّي في أنّه: "أسكن قاف يتق لما ذكرنا، وكذلك شبه السُلْمَى (أَلَمْ تَرَ) بذلك إذ كانت الكسرة أثقل أو لأنّه أجرى الوصل مجرى الوقف"³.

ومنه قوله تعالى: "وَأَدْخِلَ الَّذِينَ"⁴.

ومن ذلك قراءة الحسن: "وَأَدْخِلُ الَّذِينَ"⁵ برفع اللام.

وفي هذا يقول ابن جنّي: "هذه القراءة على أنّ (أَدْخِلُ) من كلام الله تعالى كأنّه قطع الكلام واستؤنف فقال الله عز وجل: (وَأَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا)"⁶. ومنه كان هذا الإدخال مشروط بالإيمان.

ويقدر ابن جنّي هذا بـ: "وأنا أدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار بإذن ربّهم: أي بإذني"⁷.

¹ المحتسب، المصدر السابق ، ن ص .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 36 ، شرح شواهد الشافية ، ج 4 ، ص : 228 . و الجوهرى في صاحبه في مادة " أوب " أورده في مادة " الوقاية " .

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 36 .

⁴ إبراهيم : 23 .

⁵ المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 36 .

⁶ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص : 36 .

⁷ المصدر نفسه ، ن ص .

إلاَّ أنَّ هذه العلة الفقهية لدخول جنات تجري من تحتها الأنهار هي الإيمان وعمل الصالح وهذا فيما يبدوا غير كاف إن لم يكن هناك إذن من ربي العالمين، ويضيف مفسرا بقوله: "إلاَّ أنَّه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم، فتقوى الملابس باللفظ، فيكون أحنى وأذهب في الإكرام والتقريب منه لهم"¹.

إلاَّ أنَّ في هذا يرى الزمخشري: "بإذن ربهم يتعلق بما بعده، أي بـ (تحيتهم سلام) بإذن ربهم يعني أنَّ الملائكة يحيونهم بإذن ربهم"².

ويستشهد على هذا بقوله تعالى: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"³ وقال: "إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ"⁴.

واستنادا إلى ما ذهب إليه ابن جني يرى: "فهذا كله تحقق بالله تعالى وتقرب منه وانتساب إليه"⁵.

وفيما يلاحظ استشهد من القرآن باعتباره في حيز التعليل الفقهي فالأقرب للحجة القرآن الكريم في هذا الموضع على ما ذهب إليه.

وما يلاحظ رغم أنَّ وجه هذه القراءة الإعرابي إلاَّ أنَّه هناك غياب كلي للتعليل النحوي والملاحم النحويه التي من شأنها تبين وجه هذه القراءة ولكن فيما يلاحظ لا يوجد منهج نحوي وإنما منهج فقهي صرف حتى تظن أنَّك في كتاب يخص فقه وقضاياه أو كتاب في التفسير وصاحبه يظهر فيه فقيه فح

¹ المصدر السابق ، ص : 36 .

²الكشاف ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 312 .

³ طه : 50 .

⁴ الأعراف : 196 .

⁵المحتسب ، المصدر السابق ، ص : 36 .

مخالفاً بذلك الذي كان يظهر به في أغلب الأحيان فيها منهجه نحوي في بعض الأحيان خالص وفي بعض الآخر مزيج من تيارات فكرية مختلفة من الفقه والمنطق وغيرها.

قال تعالى: "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ"¹.

ومن ذلك قراءة أنس بن مالك: "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا"².

قال أبو الفتح في القراءة الجماعة: "أَصْلُهَا ثَابِتٌ"³ أقوى معنى.

وفيما يبدو ابن جنّي في توجيهه لهذه القراءة يقف على كل مجهوداته في مجال الدرس النحوي التي استمدت روحها من تيارات فكرية مختلفة فنجدته يرى أنّ: "ثابت أصلها فقد أجريت ثابتاً صفة على الشجرة وليس الثبات لها إنّما هو الأصل"⁴.

فهو يعلل نحويًا باعتبار الموصوف هو الشجرة والصفة هو ثابت باعتبار الأصل.

ثم يستند إلى التعليل العقلي لهذه الظاهرة النحوية في القراءة ويؤكد هذا بقوله: "لعمري إنّ الصفة إذا كانت فيه المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه، إلا أنّها إذا كانت أخص لفظاً به"⁵.

وهذا التعليل العقلي بعيد عن واقع الخطاب هو ما يستهجن في بعض الأحيان لأنّه متعب ويحمل نوع من التعقيد ولكن هذا في مرجعه لما ساد في القرن 4 هـ من تيارات تأثيرية في ثقافة ابن جنّي.

¹ إبراهيم : 24 .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 36 ، الكشاف ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 376 ، البحر المحيط ، ج 5 ، ص : 422

³ المحتسب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 36 .

⁴ المصدر نفسه ، ص : 37 .

⁵ المصدر نفسه ، ج2 ، ص : 37 .

وكذلك يقول: "إذا كان الثبات في الحقيقة إنّما هو الأصل فالمعتمد بالثبات هو الأصل فيقدر ذلك ما حسن تقديمه عناية به ومسارة إلى ذكره"¹.

وفيما يبدو سار فيه ابن جنّي نحو المنطق الغريب ويلمس فيه جانب التعقيد الذي يبعده عن روح العربية وهذا ما استهجن.

ويستشهد على التعليل المنطقي بقوله: ولأجل ذلك قالوا (زيد ضربته).

ويذكر علة النحوية في هذا باعتبار تقديم المفعول لأنّ الغرض هنا ليس ذكر الفاعل وإنّما الغرض هو ذكر المفعول، فقدم عناية بذكره ويتعمق في التعليل النحوي من أجل الإقناع وتأكيد وإيصال الفهم وتعميقه بقوله: "ثم لم يقنع ذلك حتى أزالوه عن لفظ الفضلة وجعلوه في اللفظ رب الجملة فرفعوه بالابتداء، وصارت التي إنّما كان ذيلا لها وفضلة ملحقة بها في قولهم: ضربت زيدا ثانية له، وواردة في اللفظ بعده ومسندة إليه، ومخبرا بها عنه"².

ويستند ابن جنّي إلى قول أبو الحسن الذي ضمنه هنا والذي يجرى مجراه على مثل هذه القراءة في تعليلها يقول ابن جنّي: "ومن هنا ذهب أبو الحسن في نحو قولنا: قام زيد إلى أن قام في موضع رفع لأنّه وقع موقع الاسم، لأنّ تقدير المحدث عنه أن يكون أسبق رتبة من الحديث، إلا أنّ لقراءة أنس هذه وجهها من القياس حسنا، وذلك أنّ قوله: (ثابت أصلها) صفة للشجرة وأصل الصفة أن تكون مفردا لا

¹ المصدر السابق ، ن ص .

² المحتسب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 37 .

جملة، يدل على ذلك أنّ الجملة إذا جرت صفة للنكرة حكم على موضعها بإعراب المفرد الذي هي واقعة موقعه¹.

يعتمد ابن جنّي في توضيح هذه القراءة على الاستدلال العقلي ويظهر ذلك من خلال استعمال بعض المصطلحات المنطقية أمثال المحدث عنه والحديث من حيث الرتبة، وفي مضمون هذا القول يطلق حكمه على هذه القراءة بقوله من وجهة القياس هي مستحسنة.

وبعلل كذلك نحويًا قراءة أنس هذه باعتبارها صفة وكانت مفرد وهي الأصل وجملة أقيمت في مقامه وأدت وظيفته وهو بهذا يؤكد قاعدة نحوية خاصة بصفة.

وبقدر منطقيًا قول العرب: زيد ضربته ب: ضربت زيدا.

وكان في هذا التعليل النحوي والمنطقي والاستدلال العقلي تأكيد ومراجعة لعدد من القواعد النحوية فيما يخص مراتب عناصر الجملة والفضلة والصفة والموصوف وتقديم المفعول به على الفاعل في عناصر الجملة الفعلية.

طبق المنهج النحوي من خلال توظيفه للسمع والتعليل والاستحسان وكان نتيجة ذلك تأكيده عدد من القواعد النحوية مستعينًا في ذلك بتيارات فكرية أخرى ساهمت في بلورة ثقافته من علم الكلام والمنطق مما أعطت هنا لمنهجه التعليلي سمة خاصة.

وهذه القراءة الشاذة التي قارنها ابن جنّي بنظيرتها المشهورة وكان يستند دائما إلى القراءات السبع المشهورة التي تحدث عنها ابن مجاهد لربطها بما يناظرها في كلام العرب بحيث يرى ابن جنّي أنّ

¹ المصدر السابق، ن ص .

قولك: "مررت برجل أبوه قائم أقوى معنى من قولك: قائم أبوه لأنّ المخبر عنه بالقيام إنّما هو الأب لا رجل".¹

وفيما يبدو باعتبار المقدر يكون دائماً أكثر تفصيل وبالتالي أكثر تعبير من الظاهر في الاستعمال.

فهو من خلال هذا الموضع التوجيهي لهذه القراءة كان منهجه الموظف في هذا التوجيه ذات البناء المتراص والمنظم من خلال الاستعمال المتناسق لأصوله وأسسه، فهو جمع بين أصوله من سماع وقياس واستحسان وإجماع وتعليل مع تدعيم جوانبه هذه والجمع بينها وبين غيرها من الأصول العقلية من أثر التيارات الفكرية في ذلك العصر ويحكم ابن جنّي وبطريقة مباشرة بالحسن.

يعقد ابن جنّي مقارنة بين ما هو عام وشاذ رغم التفضيل المسبق للمشهور على الشاذ بقوله: "ثابت أصلها فقد جرى لفظ المفرد صفة على النكرة، وإذ قال أصلها ثابت فقد وضع الجملة موضع المفرد فالموضع إذا له لا لها".²

ولكن ما توصل إليه من خلال عقد هذه المقارنة نتيجة من شأنها تقوية وجه قراءة أنس بقوله: "الموضع إذا له لا لها".³

ويتعمق في تعليله من باب المقارنة وذلك بهدف تبين وجهها وتعميق الفهم في محاولة لتقوية وجهها وذلك من قوله: "فإن قلت: فليس اللفظ مفرداً، ألا ترى أنّه ثابت أصلها؟ قيل: هذا لا يبلغ به صورة

¹ المحتسب، المصدر السابق، ج2، ص: 37.

² المصدر نفسه، ج2، ص: 37.

³ المصدر نفسه، ج2، ص: 37.

الجملة لأنَّ ثابتا جار في اللفظ على ما قبله وإنَّها فيه أنَّه وضع أصلها لتضمنه لفظ الضمير موضع الضمير الخاص بالأول وليس كذلك أصلها ثابت، لأنَّ معك صورة الجملة البتة فهذا تقوية لقول أنس¹.

¹ المصدر السابق ، ن ص .

خاتمة

خاتمة:

هذه الرحلة البحثية الممتعة في رياض العربية وأصولها وطرقها الاستدلالية التي حفل بها كتاب المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لإبن جنّي حيث أفضت الدراسة إلى جملة من النتائج هي كالتالي:

- يعتبر كتاب المحتسب مصحف للقراءات الشاذة التي تفوق الألف على رغم ما ألف في الشاذ قبله والذي كان مصدرا من مصادر هذا الكتاب الموسوعي من أمثال كتاب الشواذ لإبن مجاهد ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لإبن خالويه.

- وأكّدت الدراسة قيمة هذا الكتاب الصوتية والصرفية والنحوية لما يحمله في ثناياه من مسائل كانت من خلال تبیین وجوه شواذ هذه القراءات.

- بيّنت الدراسة أنّ كتاب المحتسب له خطة ذات اتجاهين:

* اتجاه انتصاري لما هو شاذ من القرآن وهو الأغلب والطاغي في الكتاب.

* و إتجاه ثان هو يخالف خطة الكتاب ونلمسه فيه موقف الرّد والتخطأة والتضعيف لبعض القراءات.

- وبيّنت هذه الدراسة تعارض موقف ابن جنّي وابن مجاهد في القراءات الشاذة بحيث نلمس قساوة ابن جنّي في الرّد على ابن مجاهد و إتهامه بضعف في الفقه.

- ورصدت هذه الدراسة أنّ أقوال أبي علي الفارسي كانت مرجعية لإبن جنّي صنع من خلالها هذا الكتاب مثلما صنع سيبويه في كتابه من أقوال الخليل.

- ورصدت هذه الدراسة عقد المقارنات العقلية بين أراء وأقوال ابي علي الفارسي وابن مجاهد.

- ورصدت الدراسة تفضيل ابن جنّي وترجيحه لمذهب نحوي دون مذهب مذهب وقراءة دون قراءة ودعم لعدة القواعد نحوية من منطلق عقلي وتوضيح لعدة قواعد نحوية.

- وبيّنت الدراسة تفرد ابن جنّي بمنهج نحوي خاص بحيث لم يكن منهجه مثل بقية اللغويين منهج نحوي خالص وإنما كان مزيجاً من الطرق الاستدلالية التي تنتمي إلى تيارات فكرية مختلفة كانت قد كونت ثقافته .

- بيّنت الدراسة أنّ منهج ابن جنّي ظهر بهيكل متراس وبطريقة عجيبة بحيث كان مزيجاً من الفقه والمنطق والنحو وعلم الكلام وكان هذا انطلاقاً من المرجعيات التي شكلت ثقافته.

- بيّنت الدراسة أنّ للمنطق وعلم الكلام حضوراً في منهج ابن جنّي النحوي و طريقه في الاستدلال المنطقي دليل على ذلك ومبدأ الشك المنطقي الذي كان حاضر من خلال الشك في روايات قراء القراءات الشاذة حتى يلتبس لها وجهها في العربية وكذلك من خلال ذكره للممكنات في وجه القراءة الواحدة، حتى يغلق باب النقد و الذي من الممكن أن يوجه إليها بحيث يذكر كل التكهّنات التي يمكن أن يؤخذ عليها من خلال قراءة الكتاب باعتبار الشاذ مشكوك فيه و كذلك المصطلحات المنطقية التي كانت حاضرة في كتاب دليل على حضور علم منطق في كتابه و في طريقة استدلاله وهذا باعتبار ابن جنّي كان له حضور في مجالس علم الكلام والمنطق و كذلك باعتبار المنطق كان له حضور في ق4ه وهو موافق لعصر تأليف هذا الكتاب .

- بيّنت الدراسة تأثر ابن جنّي بالفرق الكلامية والتي كان لمبادئها حضور في منهجه من خلال هذا الكتاب بحيث كان لمبادئ المعتزلة حضور في المنهج النحوي لإبن جنّي من خلال هذا الكتاب وأهم مبدأ التي استدل به ووظفه في منهجه مبدأ " المنزل بين المنزلتين " .

- بيّنت الدراسة أنّ للفقه حضور في منهج ابن جنّي من خلال نماذج الكتاب وذلك من خلال اعتماد الطرق الاستدلالية في توجيه وتبيين القراءات من نص وسماع وقياس وتعليل استنادا إلى التفسيرات الفقهية التي تقاطع مع غيره من المفسرين فيها أمثال الزمخشري في كشفه.

- بيّنت الدراسة أنّ ابن جنّي كان ينزاح إلى التعقيد في بعض الأحيان في بعض طرق الاستدلالية المنطقية والعقلية وكان لا يذهب إلى شيء إلا ويعلله وكان للتعليل بأنواعه (العقلي والفقه والنحوي) حضور قوي من هذا المنطلق وربط كذلك بين العلل في الموضوع الواحد (العلة النحوية والعقلية والفقهية) في هذا المنهج من خلال نماذج هذا الكتاب.

- رصدت هذه الدراسة أنّ في م المصادر الاستشهادية التي استشهد بها إبن جنّي أنّه استشهد بالحديث الشريف الذي كان غائبا في منهج اللغويين الآخرين، وتجاوز حدود الزمانية والمكانية في منهجه النحوي من خلال نماذج هذا الكتاب بحيث استشهد بأشعار من عاصره وأشعار المولدين ورجح الشعر على بقية المصادر وكان حضوره أكبر بموازنة القرآن والحديث الشريف وكان يعتمد في الشعر الاختصار والإيجاز بحيث يكتفي بذكر الشاهد فقط.

- ورصدت الدراسة ميزة تميز بها منهج إبن جنّي النحوي دون غيره، وهي الجمع بين الأدلة اللغوية والعقلية والفقهية في الموضوع الواحد من خلال نماذج هذا الكتاب وذلك نتيجة تأثير التيارات الفكرية في ثقافته التي انعكست من خلال منهجه النحوي في تأليف هذا الكتاب في الشاذ من القراءات التي ظهرت

فيه عبقريته من خلال الجمع بين التيارات المختلفة في منهجه النحوي الذي ألف به هذا الكتاب الخالد في الشاذ من القرآن.

- ورصدت الدراسة القدرة الاجتهادية لابن جني من خلال منهجه النحوي من خلال هذا الكتاب بحيث كانت آراء وقواعد صرفية ونحوية وصوتية جديدة لم يسبقه غيره إليها وتمخضت عنه كذلك توجيهات عقلية وفقهية ونحوية.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر و المراجع :

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1-أبو البقاء موسالك فوي، **الكليات**، تح: عدنان دروس، ومحمد المصري، دار النذير بيروت، ط1، 1998.

2-أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير:

***الكامل في التاريخ**. دار الكتب المصرية، د، ط/د، ط.

***النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح : صلاح بن محمد عويضة، مصدر علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

3-أبو الفتح عثمان بن جني:

***سر صناعة الإعراب**، تح: حسن الهنداوي، دار العلم، دمشق، ط3، 1993.

* **الخصائص**، تح : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د، ط/د، ط.

***المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

***المنصف في شرح تصريف المازني**، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

4-أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ط3، 1998.

5- أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري :

* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وكتب الأقاويل في وجوه التأويل**، تح: عادل أحمد عبد الموجود،

علي محمد عوض، فتحي عبد الرحمان، مكتبة العبدلي، الرياض، ط1.

* **أساس البلاغة**، تح: عبد الرحيم محمود، دارالمعرفة، بيروت، د، ط/د، ت.

7- أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، **الأصول في النحو**، تح: عبد الحسن

القنيل، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت، ط3، 1996.

8- أبو بكر بن مجاهد، **السبعة في القراءات**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر د، ط / 1972.

9- أبو زكريا الفراء، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف رجاني محمد علي النجار، دار الكتب القاهرة:

د، ط/1655.

10- أبو سعيد عبد الملك الأصبغي، **الأصمعيات**، تح: قصي الحسين، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان ط4

، 1993.

11- أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب الفريد**، تح: طيار قولاج، دار

الصادر، بيروت :د ط/ 1975 .

12- أبو منصور الثعالبي عبد الملك النيسابوري، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح : محمد

قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1973.

13- أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري :

* جمع الأدلة في أصول النحو لأبي البركات ، تح: سعيد الأفغاني، ط2، دار الفكر، بيروت .

* لمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، بيروت، ط2/1972 .

* الإغراب في جدل الإعراب، تح: سعيد الأفغاني، ط2 / د، ت، بيروت .

* شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلان هارون، دار المعارف، مصر، 1971.

14- أبو حامد الغزالي، المستصفى، تح : الشيخ إبراهيم محمود رمضان، دار الأرقم، بيروت، لبنان
د، ت/ د، ط.

15- أبو علي الفارسي، الحجة في القراءات السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، دار التراث، دمشق د.ط/
1984.

16- أبو محمد المكي بن أبي طالب القيس، وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين
رمضان، مؤسسة الجامعية .

17- أبي الفرج الأصبهاني، الأغاني ، دار الكتب المصرية ، مصر .

18 -أبي النجم، الديوان، دار الصادر، بيروت ، لبنان، د، ط / د، ت.

19- أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، دار السودانية، الخرطوم، ط1 1988.

20- أحمد تيمور باشا، السماع والقياس، دار الآفاق العربية، ط1، 2001 .

21- أحمد عمر المختار، البحث اللغوي عند العرب ،

22- أحمد عزوز ، موقف اللغويين والنحويين من القراءات القرآنية الشاذة ،

23- أحمد محمد أبو عريش الفاسي، أثرا لقراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ، 1989.

24- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: الشيخ إبراهيم العجوز، منشورات علي بيضون ،دار
الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

25 - الأخطل، الديوان ،دار الصادر ،بيروت ،لبنان ،د ط/د ت .

26- الأعشى ميمون بن قيس، الديوان ،ط1 ،دار الجيل ودار صادر، بيروت، لبنان .

27- الحطيئة، الديوان ،تح: نعمان طه، مطبعة مصطفى البابلي، ط1 ، 1958.

26- إبراهيم أنيس :

*معجم الوسيط ، دار المعارف ، ط2 .

* في اللهجات العربية، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، 1973.

27- إبراهيم بن السراج، معاني القرآن و إعرابه، تح: عبد الجليل الشلبي ،

28- إبراهيم عبد الله رفيعة، النحو و كتب التفسير، دار الجماهيرية، ط3، ج1 1990.

29- ابن الحاجب الرضي، شرح الشافية، تح : محمود نور الدين و آخرين، مطبعة حجاز، القاهرة .

30- ابن خالويه :

* مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، نشره برجستراسر، المطبعة

*الحجة في القراءات السبعة، تح: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979 بيروت،

لبنان ،القاهرة ،مصر ، مكتبة الرحمانية ، مصر ، 1934 .

- 31- ابن خلكان، **وفيات الأحيان وأنباء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار المعارف، د.ط / د ، ت.
- 32- ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 33- اسماعيل بن حماد الجوهري، **الصاحح**، تح :اميل يعقوب ومحمد طريقي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/د، ت .
- 34- ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر .
- 35- ابن عطية القاضي أبي محمد الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد العال السيد إبراهيم وآخرون، دار الكتب العلمية، مصر، ط 1 / د، ت .
- 35- ابن فارس (أحمد ابن فارس بن زكريا) :
- * **الصاحبي في اللغة العربية ومسانئها وسنن العرب في كلامها** ، مطبعة البدر، ط1، 1963 .
- * **معجم مقاييس اللغة** ،تح: عبد السلام هارون، مكتبة الإعلام الإسلامية .د.ط/د، ت .
- 36- ابن مالك (جمال الدين) ، **شرح التسهيل**،تح: عبد الرحمن السيّد، مطبعة الأغلو المصرية 1974.
- 37- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن الكرم) ، **لسان العرب**،دار الصادر،بيروت، ط1.
- 38- ابن هشام (شهاب الدين بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق، بيروت، ط1، 1988.

- 39- ابن النديم ، الفهرست ،المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، مصر .
- 40 -إمرا القيس، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ، ط/د،ت .
- 41-بدر الدين الزكشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2006.
- 42- تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو فقه اللغة
- 43-التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وآثارها في النحو العربي والفقه الإسلامي، دار الوعي، د.ط/د.ت، ص: 06 .
- 44- جرير، الديوان، دار الصادر، بيروت، لبنان .دط
- 45-جلال الدين السيوطي:
- *الاتفاق في علوم القرآن، تح: محمد ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، 1988.
- *المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، تح : محمد الملوكي و علي السخاوي و أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1987 .
- *بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم م، المكتبة العصرية، بيروت.
- * الاقتراح في أصول النحو ، دار المعرفة الجامعية ، د،ط/2005
- *الأشباه والنظائر في النحو، دائرة المعارف، ط2.

46 - جمال الدين أبو الحسين القفطي، أنباه الرواة عن أنباء الرواة، تع: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986 .

47-حسان بن ثابت ، الديوان ، تح : السيد حنفي حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

48-حسن رفعت حسين، الإجماع في الدراسات النحوية، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000

49- حسن سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، دار الشروق، عمان، ط1 ، 2000

50-حمدي سلطان حسن أحمد العدوى ،القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، دار الصحافة للتراث، مصر، ط1 ، 2000.

51- حنا ترزي فؤاد، في أصول النحو و اللغة، دارا لكتب، بيروت، لبنان، د.ت/ د.ط.52-حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

53- خالد سعيد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك (السماع، القياس، العلة النحوية ، الإجماع، الاستهجان، و قواعد استدلال ، مكتبة الآداب ، القاهرة.مصر .

54-خديجة الحديثي:

*موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الطليعة، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بيروت، لبنان، 1981.

* الشاهد و أصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1974.

- ***المدارس النحوية**، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001.
- 55- خضير تبني، البحث الصرفي عند ابن هشام الأنصاري، عمان، 2007.
- 56- ذو الرمة ، الديوان ، مطبعة السعادة ، مصر .
- 57- رشيد حلمي، أصول النحو عند ابن جنّي، دراسة لسانية في كتابيه الخصائص و المحتسب،
- 58- رضي الإسترياذي شرح شافية ابن حاجب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1998 .
- 59- زكي نجيب محمود، المعقول و لا معقول في تراثنا الفكري. دار الشروق، بغداد ، د ، ط/د ، ت .
- 60- سامي عبد الفتاح جلال، القراءات سيراتها ومعاييرها، ط1، 2001.
- 61- سعد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تح : هدى محمود ، الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1990 .
- 62- سعيد الأفغاني،
- ***في أصول النحو**، المدينة الجامعية، دمشق، د.ط/ 1991.
- ***أبو البركات الأنباري و دراساته النحوية** ، د، ط / د، ت .
- 63- سعيد شنوفة، **في أصول النحو العربي**، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة، ط1، 2008، ص:12
- 64- سعود غازي أبو تاركي، **خصائص التأليف النحو في القرن الرابع الهجري**، دار الغريب، القاهرة
- ط1، 2000 .
- 65- شعبان محمد إسماعيل ، **القراءات أحكامها و مصدرها** ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ،

66- شهاب الدين أحمد بن محمد ، لطائف الإشارات لفنون القراءات ، تح : الشيخ عامر السيد و عبد

الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية للتراث ، القاهرة ، د ، ط / 1972 .

67- شهاب الدين أحمد بن محمد الساعاتي ، إتحاف فضلاء البشر ، تح : شعبان إسماعيل ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1989 ، ص : 175 .

68 - شمس الدين ، التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين ، دراسة ابستمولوجية ،

الإسكندرية ، 1994 .

69 - شمس الدين الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، تح : بشار عواد معروف وشعيب رأود ، صالح المهدي

عباس ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1988 .

70- شهاب الدين بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : محمد

الأرناؤوط ، دار ابن الكثير ، دمشق - بيروت ، ط 1 ، 1988 .

71- طرفة بن عبد ، الديوان ، بيروت ، لبنان .

72- غسان حمدون ، كتاب الله في إعجازه ، يتجلى وردود على أحدث الغارات المستهدفة لإعجاز القرآن

، صنعاء مركز الدراسات ، د ، ط ، 2001 .

73- الفرزدق (همام بن غالب) ، الديوان ، بيروت ، لبنان .

74- فاضل صالح السامرائي ، ابن جنّي النحوي ، دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد (د.ط) ، 1939 .

75- فهد محمد خاروف ، كتاب المسير في القراءات الأربعة عشر .

76- القلقشندي (أحمد بن علي) ، الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج4، تح: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 11981.

77- القفطي (جمال الدين أبو الحسين) ، أنباه الرواة عن أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986.

78- قدرى بن محمد بن عبد الوهاب، الآداب والمنح الربانية في أصول الشاطبية ودرة المضية، إدارة الدراسات الإسلامية، الكويت: ط2، 2007.

79- قرطبي بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء، دار الكتاب الحديث، ط1، الجزائر، 1999 .

80- كثير عزة ، الديوان ، بيروت ، لبنان .

81- كريم حسن الناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء ، عمان ، ط1 ، 2006.

82-العجاج ، الديوان ، دار الشروق ، بيروت ، .

83 - عبد العلي مسؤل، الإيضاح في علم القراءات ، عالم الكتب اريد الأردن: ط1 ، 2008.

84 - . عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ورسائل ابن الأزرقي،

85- عبد الجبار علوان ،الشواهد و الاستشهاد في النحو، بغداد: ط1/ 1976 .

86- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، معانيها، وحجيتها، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، .

87 -عبد راجحي ، في اللهجات العربية ، مكتبة أنجلو مصرية ، القاهرة : د، ط/ 2003

88- عبد العزيز برهان، القراءة في الكتب السبعة وتوجيهها نحويًا، جامعة أم القرى مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1982.

89- عبد العال سالم مكرم، أثر القراءة القرآنية في الدراسات النحوية، مؤسسة على جراح الصباح، الكويت،

90- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن - روافدها و دفعها- مكتبة وهبه- القاهرة: ط، 4-1999 .

91- عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي ، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط1، 1989.

92- عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1981 .

93- عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب و لباب لسان العرب ، تح : محمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان / ط1 ، 2003 .

94- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار السعد الدين، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .،.

95- عبد الله أحمد الكريم، النحو العربي علم اللغة العربية و الدين، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، 2002.

96- عبد الله الياصري، الفكر النحوي عند العرب، أصوله و مناهجه، عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003.

97- عبده الصبور شاهين:

*تاريخ القرآن، دار القلم:د،ط/1966 .

*القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

98- عفاف حسنين، في أدلة النحاة، المكتبة الأكاديمية، مكتبة عين شمس، 1996.

99- علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار الغريب، القاهرة، 2008.

100- علي الصفاقسي ، غيث النفع في القراءات السبع ، تح : محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب ، بيروت ، :د،ط /د،ت .

101- علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، لبنان ، د،ط/1985 .

102-علي توفيق جميل الزغبى المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، ، دار الأمل ، ط2 ، 1993

102- علي فرحان العقيلي، الدراسات النحوية عند إبراهيم السامرائي، جامعة مصر، 2004،

103- علي مزهر الياسري، الفكر النحوي عند العرب - أصوله و مناهجه، تقديم: عبد الله الجبوري،
الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003.

104-عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ، عالم الكتب ، ط2 ، 1998 .

105-عنتر بن شداد ، الديوان ، المكتبة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1893 .

106-محمد أبو بكر الرازي ،مختار الصحاح، الضبط و التخريج: مصطفى ديب، دار الهدى، الجزائر،
ط4، 1994،

107-محمد السيد أحمد عزوز، موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة، عالم الكتب بيروت،

لبنان: ط1 ، دت .

108-محمد العيد:

*أصول النحو العربي، في نظر النحاة و رأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب،

القاهرة مصر، 1989.

*أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، 1983

109- محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة ، تح : عبد السلام هارون، الدار المصرية .

110- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب،

القاهرة، ط3.

111- محمد بن محمد الجزري :

*منجد المقرئين و مرشد الطالبين، المطبعة الوطنية الإسلامية، القاهرة: (د.ط) / دت

*غاية النهاية في طبقات القراء، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982 .

*النشر في القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان:(د.ط)(د.ت) .

112- محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار

النهضة، مصدر: د.ط/ د.ت.

- 113- محمد بن يوسف الشهيد بن حيان الأندلسي، - تفسير البحر المحيط ، تح : عادل الموجود و علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993 .
- 114- محمد آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن 3 ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان، ط1، 1980 .
- 115- محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار العربي، ط1/ 1995.
- 116- محمد خضر حسين، القياس في اللغة، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1/ د.ت .
- 117- ، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس.تح: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت، ط1/2001.
- 118- مصطفى إبراهيم، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط1/ د.ت.
- 119 -محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة و توجيهها اللغوي، و دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان دار الفكر ،دمشق ، سورية ، ط1 ، 1989.
- 120- معروف فجال نادي ، الحديث النبوي في النحو العربي ، ط1 ، 1984 .
- 121-مكي أبي القيسي ، الإبانة عن معاني القراءات ، تح : عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ، د،ط / د، ت
- 122- مخلوف بن لعلام ، مبادئ في أصول النحو، تيزي وزو، د.ت/ د.ط.
- 123-مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ط2 ، 1958
- 124- النابغة ، الديوان ، دار الهاشم ، بيروت .

125- نور الدين الحسين الباقولي ، إعراب القرآن و علل القراءات ، تح : الشرسي شديدة ، دار اليقين ،

ط1 ، 2010 ، مصر

126- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)،

1993.

127- يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن ، تح: أحمد يوسف ومحمد علي النجار، دار الكتب القاهرة،

1955

128- يحيى بن محمد أبي زكرياء الشاوي المغربي الجزائري، ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، دار

الأنبار، ط1، الرمادي العراق، 1990..

الرسائل الجامعية :

1-أسامة صباح عبد الله الرفاعي، الأوجه الإعرابية في القراءات أهل البصر و أثرها في دلالية النص

القرآني، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة، 2004.

2013 .

2-ابراهيم بن عبد الله الزهراني، توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معاني القرآن، ماجستير،

جامعة أم القرى السعودية.

3- إبراهيم بن علي قسري ، أصول التفكير النحوي عند ابن ولاء من خلال كتابه الانتصار لسيبويه عن

المبرد، رسالة ماجستير ، جامعة مكة المكرمة.

4- إبراهيم سلطان، عواد المساعدة، الاستدلال بالقراءات القرآنية (في كتاب الخصائص) لأبي فتح عثمان

بن جني الموصل، جامعة آل البيت، إشراق إبراهيم

5- جميل إبراهيم علوش، ابن الأنباري و جهوده في النحو، أطروحة دكتوراه، بيروت، 1977.

6- رحيم جمعة علي الخزرجي، أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جني، جامعة بغداد، العراق.

7- رقية محمد صالح إبراهيم الخزامي، القراءات واللغويات في معاني القرآن للزجاج، دكتوراه، 1987.

8- صلاح محبوب محمد التنفازي، موقف النحاة من القراءات، دراسة تأصيلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ماليزيا.

9- صليحة جبرون، كتاب القواعد للثمانيني دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، 2011

10- عباس علي حسين، الدرس النحوي في الموصل، جامعة البصرة، 2003،

11- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية والتواتر، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر.

12- علي فاضل الشمري، أصول النحو عند المبرد، جامعة موصل، 2003، إشراف محي الدين توفيق،

جامعة الموصل، أطروحة دكتوراه في فلسفة اللغة

13- فاطمة رواق، منهج السهيلي في الدرس النحوي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2009

14- محمد الحباس، النحو و العلوم الإسلامية دراسة في المنهج، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،

د.ت،

15- محمد جمال القاسمي ، التفسير اللغوي و محاسن التأويل ، دكتوراه ، جامعة الموصل ، 2003

المجلات :

1- إبراهيم احمد سلام الشيخ عبد، السّماع و القياس في كتاب جمع الصّوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي، المجلة الإسلامية.

2-عاطف فاضل محمد خليل، استصحاب الحال بين أصول الفقه و أصول النحو، جامعة السراء، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها،

3- علم الدين الجندي، مجلة المجمع (مقال الصراع بين القراء و النحاة)، القاهرة ،

4-مزيد مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين، 2006

5-ناصر غالب، المبرد القراءات القرآنية ، مجلة الموارد،2001،29،ص:124

6-نعيم مرجان، أثر القراءات النحوية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين .

ملخص باللغة الأجنبية

Considère lectures où l'espèce est célèbre anormale parmi les sources traditionnelles qui ont fait l'objet de la deuxième type de lectures coraniques livre calculés montrant les visages des lectures homosexuels et clarification par Ibn récolter une Guinness linguistique et doctrinale et logique purement à travers ce livre a des caractéristiques spéciales et les lignes qui sollicitent approche grammaire afin que apparu ses fonctions en dirigeant les lectures anormales recueillies par la prise de fils-le dans ce livre ont émergé de cette recherche par le biais personnelle récolter le fils de linguistique et la grammaire et al-Faqih et logique, et ce ne est pas étrange univers linguistique subjective comme le fils de M. récolter les Bagherha arabe dans le 4ème siècle de l'Hégire. Parmi les œuvres qui l'a laissée dans la blessure arabe qui est à l'étude et les caractéristiques du mystère d'expression et d'autres industries, et si nous avons parlé du livre de blessures est un livre, l'arbitre a accordé à Dieu Tout-Puissant et était dans l'ancienne oak, de sorte que le titre de ce livre montre que l'anomalie du Coran et de la direction et de clarification avec lui, mais avec elle il trouve livre jurisprudentielle parce qu'il a donné de nombreuses dispositions doctrinales cette intersection plupart du temps avec d'autres chercheurs étaient ses vues essentiellement Hanafi acceptent et soutiennent son opinion, et le visage de beaucoup de lectures basée sur la logique à démontrer et clarifier son visage linguistique et l'interprétation des visages de certains des lectures sur la base de routes d'inférence linguistique de écouter, mesurer et de consensus et à travers nos recherches est marquée par cette «grammaire curriculum Andaben récolter grâce à des modèles de sa blessure n'a été trouvée dans les visages des lectures des homosexuels et des éclaircissements sur, était la plus importante Ashkalyate:

- Quelle est la vérité sur ces lectures anormales?
- Quelle est la nature du programme et de la grammaire est-elle fondée?
- Quelle est la balise de nom pour ce livre?
- Est-ce les lectures anormales dans le livre de l'égalité ou variant selon les vues de l'homosexualité?
- Quelle est la nature du programme à la grammaire fils récolter grâce à des modèles de lectures anormales phonétiquement et grammaticalement et Srvia?

Mots clés:

Curriculum, la grammaire, la prise de fils, modèles, son livre, calculé, indiquer, gays, objet, des lectures, des éclaircissements.